# أيقونة التراث الفلسطيني

## فؤاد عباس نموذجاً

للأديبة الفلسطينية
فدوى فؤاد عباس

إصدارات مؤسسة الحسيني الثقافية

إصدارات دار الحسيني للطباعة والنشر والتوزيع

اسم الكتاب: أيقونة التراث الفلسطيني "فؤاد عباس نموذجاً) ـ سيرة ذاتية

اسم المؤلف:فدوى فؤاد عباس

رقم الايداع:2018/22452م

ترقيم دولي:978-9777-6663-18-3

**حقوق الطباعة محفوظة للمؤلف**

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تجزته

في نطاق استعادة المعلومات أو نقله أي شكل من الأشكال

المعروفة حاليا أو التى ترد مستقبلاً دون إذن خطي مسبق

المراسلات:

دار الحسيني للطباعة والنشر والتوزيع

المقطم الهضبة الوسطى الحي الرابع منزل رقم 5275 شارع عماد مصطفى

موبايل:01144059975 ت: 27304004

# إهداء

إلى

أبي

أيقونة التراث

الفلسطيني

# فدوى فؤاد عباس

# تقديم

يسر مؤسسة الحسيني الثقافية أن تقدم لجمهور الأدباء هــذا الكتاب " أيقونة التراث الفلسطيني فؤاد عباس نموذجا " للأديبة الفلسطينية فدوى فؤاد عباس وهي أبنة الأستاذ فؤاد عباس رئيس اتحاد كتاب فلسطين الأسبق وأحد أهم من كتب عن التراث الفلسطيني ، وهذا الكتاب هو سيرة ذاتية تكتبه الأديبة الكبيرة نيابة عن والدها ، ولسوف تــتوالى إصـدارات المؤسسة التى تلبي رغبات الشعراء والأدباء في كل مجالات الإبداع خلال الفترة القادمة ، ولا يسعنا في هذا المـقام إلا أن نتــقدم بالــشكر الجزيـــل لكل من تعـــاون معــنا في سبيل تحقـيق أهداف المؤسسة في نـــشر الثقافة الحقيـقية التي تعبر عن هــويـة الأمــة ، وترتــقي بالـذوق العام وتواكب الحاجة الملحة لالقاء الضوء على ابداعات الشعراء والادباء خارج القاهرة ، ونخص بالذكر نــقادنا الافاضل الدكـتور حسام عقل ، والدكتور على جاد الحق ، والناقدة رانيا مــسعود ، والدكتور رمضان الحضري الذين يثرون الأعمال الأدبية بنقدهم البناء ، ان مشروع مؤسسة الحسيني الثقافية مشــروع طـــموح لاستعادة دور مصر الريادي الموكول بها في عالما العربي منذ بدء الخليقة ، وسوف نمضي قدما لتحقيق هذا الهدف، وبذل

الكثـير من الجهد لإيماننا بأهمـية الثقافة في تحقـيق النهضة المأمولة لأمتنا . لقد قررت المؤسسة منذ بداية عملها أن يكون في أوليات عملها رعاية الابداع والمبدعين لاكـتشاف المبدعين الحقيـقيين في مجال الأدب ورعايتهم وإلقاء الضوء عليهم من خـــلال النـــقد البـــناء لتسهيل فرصة حصولهم على الجوائـز العـالمية في مجال الأدب من خلال نقاد مؤهلين للنقد، كذلك فقد أطلقت المؤســـسة مـبادرة ميـــــثاق شرف المثقفين أفراداً ومؤسسات وجمعيات ، ونود في هذه المقدمة أن نشير إلى ان اهتـــمام مؤسسة الحسيني الثقافية بشعراء وادباء الاقاليم شيئ أساسي ضمن سياستها برعاية الابداع والمـــبدعين في كل مكان فهنـاك الكثير من المبدعين في حاجة لمـساعدتهم وإلقـــاء الضـــوء على أعمالهم الأدبية، ومؤسسة الحسيني الثقافية ليست فقط مجرد ندوات أدبية أو ثقافية أو فنية فقط ولاتهدف للربح في المقام الأول ، وإنـما ترعى المبدعين في كل مجالات الابداع ، مثل الفـنون التـشكيلية وفنون المسرح والسينما وغيرها من الفنون ، نضع بين يدى المثقـفين هذا الديوان ، آملين أن يحـوزعلى القـبول والله الموفق

**رئيس مجلس الأمناء**

**عبدالقادر الحسيني**

# أيقونة التراث الفلسطيني

## فؤاد عباس نموذجاً

للأديبة الفلسطينية
فدوى فؤاد عباس

# فؤاد عباس أيقونة التراث الفلسطيني

## سيرة ذاتية سياسية – فكرية – اجتماعية

## أكتبها نيابة عن أبي

1

فقد عاش أبي وفياً للتراث الفلسطيني ولروحانيات هذا التراث وبدوري ألخص الأساسيات في فكر أبي إلى فضيلة الروح وشرف الوجدان ، إلى روح أبى الطاهرة ، أبى الذى رفض طاعة القوة واستجاب لنداء الحق ، إنه أبى فؤاد عباس الأصالة المقرونة بالعبقرية والقلب الصافى ، والعقل الصافى ، أبى الكاتب الموسوعى الذى ألف موسوعة " بيت المقدس " التى تشمل ثلاثين جزءا.

أقدم القرابين لحكاء فلسطين " فؤاد إبراهيم عباس " علمتنى يا أبى أبجدية الحياة ، لم أكن أعرف أننى بدفنك سأكون وحيدة ، أنا وحيدة بعدك يا أبى ، أقاوم أرطال الحزن ، أنا بعدك يا أبى أخاف من الحياة ومن مكائدها ، لطالما وجدتك يا أبى الرجل القابل للإقتناع ، طالما وجدتك سيدا فى كبريائك ياصاحب الكيان العميق ، سيدا فى فكرك فقد عشت تبدع فى أعماقى ، سيدا فى تساميك وفكرك العميق ، آه يا أبى أذهب لقبرك وأعود أبكيك يا أبى على الورق ، وأزرع ورود النور بجانب شاهد قبرك ، لطالما أجبتنى يا حكاء فلسطين على كل أسئلتى ، أجبتنى إجابة كاملة ، بعدك أنا متعبة يا أبى ولا أعرف آخر المطاف ، عبأت يا أبى لى سنوات عمرى بكل ماهو جميل وعظيم ، أنا بعدك يا أبى غير قادرة على الحياة ، أشواك تبكى فى قلبى ، أشواك الحياة تخترق لحمى.

بعدك يا أبى لم أعد أفهم الحياة ، لقد ابتلعنى الحزن ، بعدك يا أبى ، وكان فراقك قاصما قاهرا ، لقد تجهمت حياتى بعدك يا أبى يا حدائق الروح أفتقدك ، أفتقد أفكارك الشمسية العميقة ، أفتقد حكاياتك عن فلسطين ياحكاء فلسطين ، يامن علمتنى الحياة وأناشيد الحياة ، وحكمة الحياة وحكمة الموت.

كنت الضائعة يا أبى فأصبحت دليلى فى الحياة ، أنا بعدك أضيع ، كنت لى إكسير الحياة فأصبحت روحى بعدك ريحا وسرابا ، إننى جانعة للحنان بعدك ، آه يا أبى شاهد قبرك الغريب يحزننى ، نعم يا أبى أعرف أنك كنت تتوحد مع الأرض ، وأنك تمزقت حين نزعوك من أرضك ، كنت أسمع أنينك على فلسطين وأسمع إنتحابك ، بيادرك الثقافية لن تموت يا أبى ، ووثائقك الثقافية خالدة ، ها أنا أكتب شهادة حياة أبى.

**فدوى فؤاد عباس**

## البداية

2

أدرك أبى ثراء اللغة العربية وعلمنى أبى كيف أفكر وكيف أكتب ، كان التفكير يحيط بأبى من كل جانب.
أكتبك يا أبى فأسير فى حديقة الذكريات ، كنت ضوئى فى الحياة واختفى الضوء ، نعم فى هذا الكتاب أتناول سيرة حياة أبى " فؤاد إبراهيم عباس " ، إننى أتساءل كم خسرت القضية الفلسطينية لأنها لم تستفد من عباقرة فلسطين وواحد منهم أبى " فؤاد عباس " الذى ولوه منصب رئيس " اتحاد كتاب فلسطين " لكنهم لم يطبعوا له موسوعته وهى ثلاثون جزءا ، كان أبى واحدا من عباقرة فلسطين الذين من الممكن الإستفادة منهم على نحو أعمق.
لقد انتهيت من سيرتى الذاتية لأبدأ فورا فى كتابة سيرة أبى التى أمزجها أيضا بالرواية فهى سيرة ذاتية تشى بالرواية ، ورواية تشى بسيرة ذاتية ، إن منهج التحليل النفسى أو نظرية التحليل النفسى التى حوت دراستى فى جامعة عين شمس وهى الجامعة التى أدين لها بكل ماكتبت من روايات ، فكل إبداعى صيغ على أساس هذا المنهج ، لقد عملت وصايا أبى الفكرية والسياسية وإلتزمت بهذه الوصايا ، ومن أهم هذه الوصايا هى أن أكرس حياتى لقضيتى النادرة ، قضية فلسطين.
نعم أنا امرأة قومجية ، ورثت القومجية عن أبى ، لقد تربيت على الطموح القومى ، وعلى شعارات الإخوة العربية والتضامن العربى والوحدة العربية ، عشت مع أبى هذه الأيام الرائعة ، إن العروبة يجب أن تدوم ، وتراث العروبة يجب أن يدوم.
السياسة القومية الوحدوية يجب أن تستمر ، أثر أبى كثيرا فى تكوينى ، لقد فارق أبى الحياة والقضية الفلسطينية تشهد تهميشا عربيا وعالميا ، لكن يا أبى أقول لروحك العظيمة أن الأعوام الماضية شهدت تصاعدا فى أعمال المقاومة الفلسطينية ، فالمقاومة الشعبية الفلسطينية تجلت فى مظاهر التضامن مع الأسرى فى معركة الأمعاء الخالية ، أى الإضراب عن الطعام وفى مواجهة مشروع " برايفر " وإقامة قرية " باب الشمس " و " مخيمات العودة " والتصدى لإعتداءات المستوطنين واتساع دعوات المقاطعة ونزع الشرعية عن إسرائيل والدعوة لإنتفاضة ثالثة ، والتفاؤل يا أبى قد عاد إلى كل فلسطينى حر ، والذين يدعون إلى إنتفاضة ثالثة يثقون بنجاحها ، ويثقون بشباب قوى قرر أن ينتصر ، وكما حُررت غزة من السهل يا أبى تحرير الضفة الغربية.

3

لقد خلق الصهاينة يا أبى ليقتلوا الآخرين ، فى دمهم أحاسيس خبيثة ، لقد طردوا ثلاثة ملايين من الفلسطينيين من ديارهم ، نعم يا ابنتى هو الضياع وليس الخوف من الضياع .
أقول لك يا أبى الفلسطينى الحر لا يفرط فى حقه فى أرضه ، ولا يفرط فى حق العودة ، ولايفرط فى كرامته وشرفه ، إنهم يريدون إلغاء وجودنا وكما حكيت لى يا حكاء فلسطين ، إنها أرضنا.
أقول لك يا أبى أطفال فلسطين يموتون جوعا " الله يلعن كل من يسيل دم السنابل والأبرياء ، أشتكى لله يا أبى عبده الظالم ، أشتكى إلى الله الذين وضعوا الخطط لهذا التجويع الممنهج لقتل أطفال فلسطين وإبادتهم ، وتفتيت المخيمات لتنتهى قضية فلسطين ويهاجر الفلسطينيون ، أنت يا أبى منذ قلت لى إذا ماتت فلسطين سيموت العرب ، أحلف لك يا أبى لن تنتهى القضية.
أحلف لك يا أبى إنهم مهما سرقوا وطنى لن يسرقوه كما قال شاعرنا العالمى الخالد " محمود درويش " ، نعم يا أبى لن أنسى قولك لى بأن الصهاينة بلا سلالة ، يتقنون الخراب العميم.

اتذكر قولك لى لولا طغيان التقنية لما لمسوا شبرا واحدا من فلسطين ، لولا الإنجليز لما لمسوا شبرا من أرضنا ، لولا أمريكا ما استمروا يوما واحدا فى أرضنا المقدسة ، يا من تعبدون الظلم اعبدوه كما شئتم سيأتى يوما ينتهى وجودكم وتتطهر الأرض من جراثيمكم يا أقانيم الفجور.

كان حديث أبى لى يشرح صدرى وكان يفيض أبى فى الحديث ، رفض أبى الزمن بعد النكبة وعاش بروض الزمن ، كان أبى يفكر كثيرا كيف سينجو بعد هذا التهجير القسرى ، أما أنا فمنذ نعومة أظفارى أرى أبى رجلا عظيما.

عانى أبى كثيرا من وجع الحنين ، لم يترك أبى فراغا على الورق ، كتب كثيرا كثيرا عن فلسطين ، فى الستينات شاركت أبى التفتح الثورى ، حزن أبى بسبب فقده لوطنه جعلنى أتعثر فى الحياة وأنا طفلة ، عرفت طفولة الكتابة وكان أبى يشجعنى.

كان أبى يشك ليصل إلى الحقيقة وهذا طبع العباقرة ، وكانت تحاوره الإحتمالات ، وكان أبى رحمه الله عالما لغويا وتراثيا ، كان أبى يقرأ أولاده بعينيه ، ويفهم كل إبن له فهما عميقا ، وقد أخذت عنه هذه الصفة ، وكتب عنى " أبو جبير " الكاتب الرائع

4

الذى كنت أحرص على قراءة عموده اليومى فى جريدة الشرق الأوسط ، قال : الكاتبة " فدوى فؤاد عباس " لها قدرة على سبر غور الشخصية ، كان أبى دائم الإنكباب على الكتابة ، فالكتابة شغله الشاغل ، كان أبى صريحا وكأنه كتاب مفتوح ، وقد ورثت عنه هذه الصراحة وكان فى حالة بحث دائم عن الحقيقة.

درس أبى الأدب اللاتينى والأدب الإنجليزى فى الكلية العربية ، كان لأبى صوت رخيم محبب لى ، خرج أبى من نوبات توتره حين عمل فى إذاعة منظمة التحرير الفلسطينية ، وقد ازدهر أبى كثيرا فى الستينات وحذرنى من إضاعة وقتى فى اللاجدوى.

وداع لاشعورى قام به أبى قبل أن يموت فألقى نظرة على موسوعته وتفقدها وكأنه يعرف أنها ستسرق بعد موته ، حيث طبع أبى على حسابه تسعة أجزاء وسُرق 21 جزء ، كما قرأ الأهرام قبل الغيبوبة التى انتابته بساعة واحدة ، قرأها قراءة وداعية ، وكان يطلب فى كل يوم أن أحضر له جريدة الأهرام وأقرأ فى عينيه الرضى علّى.

أعد أبى برنامجا عن شهداء فلسطين فى إذاعة منظمة التحرير الفلسطينية ، هذا البرنامج إسمه " أحياء عند ربهم " وهناك حكاية شهيد سمعتها فى البرنامج ولن أنساها ، إمرأة مات لها ولدان ، استشهدا على يد الصهاينة ، تمكنت من دفن واحد والآخر لم تتمكن من دفنه لأن المسجد هُدم عليه بعد أن قصفه الصهاينة وعندما تقدمت لتلم عظام إبنها قال الصهيونى " : لقد جاءت لتبحث عن الكنز " وأطلق الصهيونى الطلقات على الفلسطينية التى قالت له لقد أتيت لأجمع عظام إبنى.

وكان العصر الناصرى من أخصب الفترات التى عاشها أبى ، لقد تخلصت يا أبى فى هذا العصر الناصرى من قلق مؤلم بعد النكبة فقد عشت الإستغراق الذاتى والنفسى والزمن الغير واقعى .

كان أبى شغوفا بالكتب ، مولعا بكل ماهو مطبوع وكانت أغلى هدية أو هدية الحياة ، أن يُهدى كتابا ، وأصبح أبى محاطا بآلاف الكتب مما جعل أمى تصرخ : الكتب تخنقنى ، وكانت الكتب أغلى مايتمناه أبى ، نعم يا أبى كنت أرى عظمتك ، أراها جيدا ، كنت ممطرا يا أبى وكنت تجد الخلاص فى القراءة والكتب ، الصور الميتة كانت كثيرة ، لكن كما فهمت من أبى أن الحياة تحمل معنى التحول وإن الإنسان لايمكن أن يعيش نمطا واحدا ، لقد شعر أبى بإنهيار كونى بعد النكبة وفعلا حدث التحول فى حياة أبى ، فقد لاحظت طفولتى العصف الذهنى الذى أصاب أبى بسبب النكبة وأدركت طفولتى ذلك.

5

لكن أبى فى فترة لاحقة حوّل هذا العصف الذهنى إلى إيجابية ، وعرف أبى كيف يسيطر على إضطرابه أو ذلك الزلزال الذى زلزله " زلزال النكبة " هكذا تحوّل أبى فى فترة لاحقة وتحوّل من لاجئ إلى مقاوم ، أصبح أبى أسير الفكر ، وليس أسير الغضب والإحباط ، هكذا حدث التحول فى حياة أبى ولا غرابة فى ذلك فالعباقرة دائما يتحدون اليأس ويتحدون الظلام ، لقد تحرر أبى من الإستياء والغضب واليأس وأصبح العمل من أجل فلسطين غذاء لروحه ودواءا لروحه التى يعذبها الحنين ، لقد شرب أبى الألم حزنا على فلسطين.

كلا لن تموت فلسطين يا أبى ولن تظل عيناك معلقة بالسقف تفكر وأنت حزين ، لقد تعلمت منك يا أبى حين أتحدث عن فلسطين أن أقول الحقائق بصراحة لقد أصبحت مثلك أتمتع بجرأة أحسد عليها.

إبنتى لن نمسك الراية منكسة ، وعلم فلسطين سيظل خالدا ولن ينتحر الذين يطالبون بالأرض ، إنها فلسطيننا ، إنها أرضنا رملها مقدس وطينها مقدس .

إننى أفشى مثلك هموم فلسطين وهموم الأمة العربية ، أفشيها مثلك بجرأة رائعة ، كلا لن تتمزق عباءة أبى البنية ، صورة العباءة الفضفاضة أمامى ، نظرات أبى شاخصة لى وأسلاك غريبة تخرج من أنفه وفمه ، لكن عينيك كانت تلمع يا أبى كالبرق الذى بعد المطر ، أنت تودعنى وأنا أتخيل أننى أرى معك أزهار الياسمين التى زرعناها معا والورود الجورية التى زرعناها معا ، هل يمضى يا أبى زمن الورد ؟ عيناك الدامعة قالت وداعا يافدوى ... لا تتركنى يا أبى فأقف وحيدة فى مرج فلسطينى بعيد بعيد كالحلم الأزلى وأتمتم سلاما عليك يا أبى ، نادنى يا أبى كما عودتنى " فدو " لكن أبى مات ، فمت ، لمن تركتنى وحيدة ؟ أبكيك مع طيور الربيع وأزهار الحديقة ، وحيدة شاردة بلا قرار ، بلا استقرار ، يرن صوتك فى أذنى " نحن نعيش الحياة يافدوى لنفهم أكثر ، نعم يا أبى ليتنا نفهم فالفهم شفاؤنا الأكيد ، كنا نغنى معا أغانى فيروز بلبل السماء وقد كان لأبى صوت جميل ، أنت يا أبى الذى تعلمت منه تجاهل اللامعنى والإهتمام بالمعنى ، فالعاهات الفكرية أشد خطرا من الأمراض العضوية ، وحين سافرت يا أبى لأعمل بعيدة عنك علمتنى أن أكون إستغنائية فالوقت من ذهب ، والكاتب يحتاج لبعض العزلة ، لم يكن أبى يغضب الغضب السطحى ، علمتنى يا أبى أن الهزيمة الداخلية هى أصعب أنواع الهزائم ، قلت لى بعد النكسة ، لم يكن أبى يغضب الغضب السطحى ، علمتنى يا أبى أن الهزيمة الداخلية هى أصعب أنواع الهزائم ، قلت لى بعد النكسة إذا إنهزمنا داخليا

6

فمعنى ذلك إننا نسقط من شجرة الحياة ، ومهما جفت الحياة يافدوى علينا أن نحلم بألوان الثمار ، إسرائيل لن تدوم ، تدعى أنها دولة دينية وهى دولة غير دينية.

الإرادة والمعرفة سلاح أبى فى المنفى ولاسلاح للفلسطينى غيرهما ، وكان ابى واقعيا وبعيدا عن الوهم والتوهم ولديه التصميم التاريخى لضرورة العودة.

أنت يا أبى الذى علمتنى ألا أقهر ذاتى ، وقد لاحظت شدة رومانسيتى فحرصت على أن تعلمنى الإنتماء لصميم الواقع ، آه يا أبى أجدك فى غيابك ، كان أبى يمنعنى من أن أقهر نفسى وأن أحاول مقاومة قهر الآخرين لى ويعلمنى كيف أنمو ، علمتنى يا أبى أن وعى الإنسان بالظلم ، وإدراكه بأن لايطول ، من أهم العوامل على حماية الذات ، إن الهزيمة الداخلية يا إبنتى جرم نرتكبه فى حق أنفسنا دون أن ندرى ، فلسطين ستعود هذا أمر لاشك فيه.

كان أبى لايؤمن بصلف الفكرة ويؤمن بالإحتمالات وقد ملك أبى الكينونة الإنسانية الحقيقية ، وكان لأبى وجه نضر ، لقد كان الوجه الأكثر نضارة فى أسرتنا ، بل والأكثر قوة ، إنه الرجل المتفرد ، وكان لديه

طرقا كثيرة للتفكير يفكر كثيرا وبمختلف الطرق ، كان أبى يقرأ نفسه قبل أن يقرأ الآخرين ولم تكن هناك غوامض فى حياة أبى ولدى فكرة واضحة عن تاريخ حياته.
رأيت أبى يبكى مرتين ، مرة حين ماتت جدتى أم أبى " أسماء سليم الحوت " اللبنانية الأصل ، والمرة الثانية رأيته يبكى حين خرجت المقاومة الفلسطينية من لبنان ، نعم هو يبكى فلسطينيتنا التائهة ، ماذا أقول لك الآن يا أبى ؟ رأيت يا أبى الفخ منصوبا للعالم العربى ، الدم يجرى فى عالمنا العربى ، الزمن يبكى يا أبى والشوارع تبكى والشجر ينتحب ، مات أبى فتوقف الزمن أمامى ، أصبح الزمن ترابا وأصبحت الحياة مستحيلة ، لقد عرفت معنى الخوف بعدك يا أبى وبدت الحياة غريبة.
هل الحياة كاذبة ؟ نعم يا أبى الحياة كاذبة هى وهم ، هى خيالات ، بعد موتك يا أبى عرفت أن الحياة يكمن فيها الموت ، آه يا أبى حدثنى الكثير من أصدقائك عنك ، حدثونى بحب كبير .
إننى خائفة يا أبى وكلما زاد خوفى أزداد رغبة فى الكتابة ، أكتب فى محاولة لأوٌبد وجودى ، ويأتينى صوتك معترضا على حزنى وخوفى استمرى استمرى فى إكمال مشوار التحرير.

7

شجرة الحياة يا إبنتى لازالت خضراء ، إزرعى اللوز الأخضر فى حواكير فلسطين ولاتدعى الحزن يحرثك ، فدوى إبنتى هيا إنهضِ من جديد.
ورأيت أبى يوٌدى واجبه المعنوى والأخلاقى والإبداعى تجاه وطنه ، وكان أبى قوى الروح ، قوى الجسد لكنها القوة الراقية ، كان أبى يسعى لأن يكون كاملا .
الفلسطينيون يستشهدون جوعا ، أين الفعل المقاوم ؟ الفلسطينيون فى اليرموك يهتفون يافدوى بدنا خبز ، بدنا كرامة ، إن مايحدث خطة للقضاء على فلسطين تماما ، لتهجير الفلسطينى ، إن مايحدث خطة لتموت فلسطين ، خطة لإلغاء حق العودة ، يجوعون الفلسطينى يافدوى حتى يهاجر ، يضربون المخيمات حتى يتشتت الفلسطينى وتموت القضية ، قولى يافدوى للعرب سيموت العرب لو ماتت فلسطين.
الفلسطينى فى المخيمات يذبح ويتعرض للإهانة أثناء توزيع الخبز عليه ، إنهم يريدون تغييب الفعل المقاوم ، حفريات فى المسجد الأقصى تصل إلى 47 حفرية ، لم يجدوا شيئا يا إبنتى ، إنهم يقيمون إحتفالاتهم التلمودية فى الأقصى ، أين فعل المقاومة ؟
آه ياحقول الزيتون التى تحولت إلى مقابر ، نعم يا أبى سأكتب فلسطين وسأكتبك ، لقد كتب جلجامش ملحمية حزنا على موت صديقه أنكيدو.
وكتب هوميروس ملحمته حزنا على الحرب بين سبارطا وطروادة ، وأنا يا أبى حزينة لفراقك ، وحزينة عما يحدث لفلسطين وللأمة العربية ، لقد عشت يا أبى حياة كاملة ، حزنى يا أبى ليس إراديا ، الصهيونى لئيم يا أبى يبتسم وهو يخدع ويسرق ، إكملى يا إبنتى الطريق الذى بدأته.
لا أنسى يا أبى وجهك الميت فوق جسدك الحى فى أول النكبة عندما أطلقوا علينا لفظ لاجئين ولا أنسى كيف استبدلت الوجه الميت بالوجه القوى المشرق حين أصبحت مقاوما.

## أحزان أبى

8

لم يقبل أبى فكرة معايشة المنفى ، وعاش أبى بقوة الحنين ، وعاش قويا وكان سيد نفسه وعظمتك يا أبى فى إنك تمكنت من كبح الحزن بل تحويله إلى صمود وإيجابية ، فالحزن ليس قضيتنا.
أحزان أبى هى أحزانى ، وأعماق أبى هى أعماقى ، رغم أحزان أبى إلا أنه أحب الحياة ولم يكن يريد لحياته أن تنتهى ، كان يريد المزيد من الحياة ، لكن الصمت الأبيض يا أبى خيم وعرفت أنه الموت ، وجهك كان مبتسما ولم أكن أدرى أن الموت ممكن لمن عاشوا الحياة بقوة.
بعد تهجيرك من فلسطين كنت سفينة ضائعة ، كلماتك مقتضبة ضائعة ، أبى أيها الحزن العبقرى أخبرك يا أبى أن الحياة ماتت ، لا أنسى يا أبى المحاكمات المعنوية التى كانت تنفذها لى إحدى أخواتى لكنك كنت دائما معى.
منذ نعومة أظافرى وأنا أسأل أبى لماذا سرق الصهاينة وطنى ؟ لماذا سرقوا دارنا وحكورتنا ؟ لماذا يريد الصهاينة للفلسطينى أن يموت ؟ أخاف عليك من الحزن ، أرسل لك نداءات الإستغاثة.
نعم يا فدوى إن من نجا من ذبحهم لم ينج من ظلمهم ، آه يا أبى لطالما راقبت إغترابك ، وشعرت بنوستولجيا أبى فى كتاباته ، أريد يا أبى أن أدخل فى جذورى الكنعانية أريد فلسطين.
ما أشبه أبى بجبل الصمت ، وأصبح قلب أبى الوطن الذى إنكسر ، كنت صغيرة جدا ولا يمكننى أن أعرف أن الحزن يمكن أن يكون غير إرادى ، لكن حزن أبى اليابس ووجهه اليابس الجامد إستوقفا طفولتى إلى حد الترويع ، أبى يتحد مع السقف يبحلق به دوما ، إنه يعيش مع الموت أكثر مما يعيش معنا ، وكانت طفولتى تعجز عن فهم الذى يتخيله والدى ، كان أبى كيانا غير موجود.
أتساءل هل حقا يعيش أبى معنا ؟ أو يعيش مع السقف الذى يبحلق به ، كان أبى دائم الشرود تائه فى دهاليز من الصعب أن تدركها طفولتى.
لا لست يتيمة فأبى يسكن السرير ولكن عديم الكلام ، عديم الفعل ، ورغم سنواتى السبع إلا أننى كنت ألاحظ هذا الشرود عند أبى ، كان أبى بحر هائج ولكن بدون صوت.

9

كان أبى يختبئ داخل نفسه من شدة الحزن ، كبرت واستمر الغضب فى عينى أبى وأصبحت أرى أن حزن أبى سرمديا ، واستسلم أبى لداخل فاجع ، كان أبى يعمل وأنا فى هذا السن ، كان يعمل تاجرا للأقمشة ولم يكن أبى يحب هذه المهنة وكنت طفلة تدمن التحديق فى وجه أبيها الحزين ، وإذا ماحدثت أبى كان يهز رأسه دون أن يرفع عينيه ، أعتقد أن أبى فى هذا الوقت كان يفكر فى الأشياء السينة التى يمكن أن تحدث لأسرته وهو الغير قادر على كسب رزقه ، وكان أبى يفكر فى وطنه الذى أجبر على تركه وكان أبى رحمه الله يفكر بشكل إنفعالى ، فقد كانت نكبة فلسطين الزلزال الذى زلزل كيانه.
لم يكن أبى بصحة نفسية جيدة ، حياته محطمة ، وكلما مرت الأيام وهو بعيد عن فلسطين ، كان يزداد إكتئابا ، كان وجه أبى الحزين يبدو كبرتقالة ممصوصة ، كان شديد الشحوب ، ولم يكن يتحمل أى كلمة ، كنت أأتى من شارع المنظرة إلى شارع شيكولانى بشبرا حاملة الطعام لأبى بعد عودتى من مدرسة رفعت ، أنوء بما أحمل وأخاف من تكسر الأوانى ، أسير وأنا أحتضن الأطباق فى طريقى إلى الدكانة التى فتحها أبى لبيع الأقمشة ، وطوال الطريق أخاف أن تنزلق الأطباق منى ، أسير من شارع المنظرة إلى شيكولانى وأنا أظن أننى قطعت العالم كله مشيا على الأقدام ، فالشوارع طويلة لا تنتهى ورعشة

مزمنة تلازم يداى لذلك أقبض بشدة على الأطباق.
وعاش أبى منزويا بعد النكبة وعاش التراجع ، كنت أشعر بأن أبى يخاف من الجدران أن تبتلعه .
كان إغتراب أبى بالغا ، وقد نقل لى هذا الإغتراب ، وكان أبى يفضل أن يعيش حياة منفصلة ومستقلة بذاتها ، وأصبحت مثل أبى أخاطب من حولى بصمت العيون ، هكذا رأيت أبى وانتقل حزن أبى لى ، يبدو أن حزن الأباء يعدى الأبناء ، عاش أبى غربة ملتاعة ، وقد روعه المنفى ، وكان حزن أبى يوقظ أسئلتى عن معنى الحياة ، فألعق دموعى المالحة.
سميتنى يا أبى فدوى من الفداء ، فلسطين فدوى يا أبى وفدوى هى فلسطين ، كنت أشعر إننا نقترب من نهاية مخيفة ، أكتبك يا أبى فأستعيد طفولتى وشبابى ، وأستعيد المكان والروح ، لم يكن أبى يعيش الواقع معنا ، كان يتوحد بالأرض المقدسة التى فيها الصخرة والأقصى ، واستطاعت طفولتى توصيف أبى وفهمه ، حين قلت له

10

لماذا أنت محطم ؟ كنت أريد أن أفهم سر الضيق ، كنت فى حوالى التاسعة من عمرى ، واستغرب أبى من السؤال وأخذ فى توصيف الوطن الذى فقده وبدأ أبى يحكى لى فلسطين ، هواؤها النقى الذى لم يستنشق مثله لأن هواءها يهب من الجنة ، فهواء فلسطين مقدسى ، روى لى العمر الهانئ الذى عاشه ، حدثنى عن القدس ومسجد الصخرة والقبة المذهبة ، نعم يا بنيتى أريد لأيامى فى فلسطين أن تعود ، واستطاعت طفولتى أن تفهم أن أبى يعانى من إغتصاب فلسطين.
ماذا حدث يا أبى ؟ وكانت أسئلتى مفاجئة ومخيفة ومرهقة ، حكاء النكبة قال وعيناه من تحت النظارة السميكة بتجويفين حزينين ، قال أبى : كنا ملايين أيقظونا فى مطلع الصباح ، إجتثونا من أرضنا وبيوتنا وحواكيرنا وأمرونا أن نسير فى طوابير وأن ندلى رؤوسنا ، وخانتنا مقاييس الزمن ، أصابنا التعب والهزال ، إننا فى إتجاه زمن آخر ، نترك فلسطين ونتجه للمجهول ، ثقيلة خطواتنا ، نسير وكأننا القطيع تركنا عشب المرج.
أجبرونا على ترك بيوتنا وأشجار الزيتون ، تركنا كرومنا وأخذنا المفاتيح تركنا الجمال المزهر ، أغلقوا أبواب وطننا فلسطين وهاجمنا الظلام وتركونا للشتات لأرض لا نعرفها ودخلنا بوابات سجن المنافى ومرت السنون ونحن فى منافينا نعيش زمنا آخر غريب ، لازلنا نحمل مصابيح صغيرة ، ونحمل مفاتيحنا والحكام العرب يهبون فلسطيننا للصهاينة ويحكمون علينا بالخرس.
لماذا ذبحوك يا أبى ؟ ولماذا ذبحونى ؟ نعم يا إبنتى أتوا بشراسة الصعاليك وإغتالونا ، ورحلنا رحلة أبدية .
قتلونى يا إبنتى ، ولم أكن أدرى ، وعشت فى زوايا نفسى أسألها ولا أجد إجابة ، الوطن يا فدوى لا يهون إلا على الخائنين والخانعين ، وعرفت يا أبى إنك ترى فلسطين بقلبك وتراها بروحك ، وأنا مثلك يا أبى أرى الأقصى ضياء وتسابيح ونورا أبديا ، نعم يا فدوى كانت كلمة فلسطين ثقيلة على الحكام العرب إلى أن جاء " جمال عبدالناصر " هذا الرجل العظيم الذى أحيا القضية الفلسطينية بعد أن عشنا مطويين ، هكذا عرفت أن أبى حمل فلسطين فى قلبه ، وأصبحت مثله أحملها فى قلبى فى كل مكان أذهب له.
وكان أبى يبحث عن بوابة يصل بها إلى فلسطين ، وتعرض الفلسطينى كما حكى لى أبى إلى مظالم إجتماعية وسياسية.

11

كان مستوى معاناة أبى عاليا ، والنكبة مستمرة تسرى فى كيانه ، وبعد خروج أبى من فلسطين تحول

من رجل ثرى إلى فقير ، لم يكن أبى قادرا بعد النكبة أن يعيش فى القحط ، كان أبى طفلا كبيرا ينظر لسماء غريبة ويبكى.
وانتهى عصر الغروب وبدأ الشروق مع الوجه الناصرى المشرق ، هكذا أعتق عبدالناصر أبى من مرارة الحزن ، وكل شئ بدا مختلفا ، لقد أخرجنا عبدالناصر وأخرج القضية الفلسطينية من خانة اليك ، وعاش أبى الحرية والحيوية الثورية وأصبح إيجابيا .
وجاء" جمال عبدالناصر "وأخرج العالم العربى من سذاجته السياسية ، استطاع عبدالناصر أن يمنح الحرية للعالم العربى ، عبدالناصر يافدوى كان رجلا عميقا ومثقفا ملأ العالم العربى بشحنات الحرية وأصبح عبدالناصر رمزا لشروق الحرية.
نعم يا أبى لطالما رأيت جمال عبدالناصر حين كنت مع زميلاتى نخرج من المدرسة لنستقبله عائدا من دول عدم الإنحياز ، فقد كانت مدرسة سراى القبة الإعدادية ترسلنا إلى المطار ، رأيت جمال يا أبى ، نظراته يا أبى كشعاع الشمس ، إن وجهه يا أبى لم يكن يشبه غيره ، كان يا أبى آية فى الجمال ولم يخلق على منواله ، يتوشح الحرية من رأسه إلى أخمص قدميه وهو الممتلئ داخليا بالحرية ، هذا الرصين العظيم أذهلنى يا أبى ، هذا العظيم غمرنى بطهارته وعظمته وإنسانيته ، أوجد الأمل وقذف بقاذورات اليأس ، إختار أبى الحبيبة " مصر " ليعيش فيها واستمر أبى فلسطينيا بروحه وكيانه ، وعلمنا كيف نحتفظ بالروح الفلسطينية والكيان الفلسطينى ، كان لأبى القدرة والمراس على رؤية الابعاد ، وكان أبى صاحب مراس لغوى ، وقرأ عيون الكتب القديمة ، وكان يؤمن بقيمة الثقافة العربية والحضارة العربية ، أما القدس فهى المدينة التى فتنته ، عشق أبى عبدالناصر وكان يردد دائما كلنا عبدالناصر ، وأقسم بالله أنه قبل أن يغيب غيبوبة الموت كان يردد كلنا عبدالناصر.
كما أعجب بالثائر العظيم " ماناديلا " ثائر القارة السوداء صاحب المقولة الشهيرة الذى كان يقول " : نعرف تماما إن حريتنا ناقصة دون حرية الفلسطينيين. "
كنت يا أبى تحمينى من العيون الحديدية ، تلك العيون التى تشع غضبا على ، فقد كان أبى يحمينى حتى من إخوتى وأخواتى ، كان يحمينى من زمن يكرس نفسه للمادة وكان أبى رحمه الله متواضعا ، لكنه لم يكن ضعيفا ، كان مبصرا وواضحا ، سيأتى يا أبى يوما يعودون فيه إلى موسوعتك وكتبك التراثية ومقالاتك المهمة ، لقد

12

رأيت الصهاينة يدمرون الثقافة الفلسطينية ويسرقون التراث فقررت أن تكتب عن التراث ، نحن الحضارة يا أبى ، نحن الحرية ، نحن الوجود ، نعم يا إبنتى إنهم يريدون محو تراثنا ، لن أمكنهم من ذلك سأكتب تراثك يا فلسطين ، لن يسرقوا تراثنا.
زالت كوابيس الداخل ، ما أجمل حيوية الحياة ، زال الحزن وزال حطام المنفى وزالت الدموع الغير مرئية ، هكذا تحول أبى بعد عمله فى إذاعة منظمة التحرير الفلسطينية ، تحول أبى إلى شجرة زيتون عريقة نامية ، وترطب خياله ، كان يولى ظهره للوجود ، فأصبح ينظر إلى السماء بإتجاه الحرية ، وصوت وطنه المقدس فلسطين ، وأصبح يعيش فى سياق الحياة الطبيعية المملوءة بالأمل والعمل ، لقد مر من نقطة الإحباط ونقطة اللافعل.
وقالت لى عيناه ملاحم الحرية ، وكتب أعمالا ناجزة من أجل فلسطين ، عاش أبى أكثر لأنه وهب فكره لفلسطين ولم يهرم لأنه عمل كثيرا من أجل فلسطين فنسيه الهرم ، ونسيه الموت ، وأصبحت تلميذة نجيبة أتعلم من أبى دروس الحرية من أجل فلسطين ، كان عقل أبى يجوع إلى المعرفة ، وعرفت من أبى كيف يجوع العقل وتغذيه القراءة ، نعم أصبحت مثل أبى شجرة زيتون نامية و واعية ، إلتحقت بفتح

دون أن أخبر أبى وكان أول درس لى فى فتح " حذارى من الذين يحبوننا " واستغربت يا أبى ، ولم أكن أعرف يا أبى إنه سيأتى يوم نقول فيه حذار فلسطين من فلسطين نفسها ، ليتنا لم نعش لنشهد هذا اليوم ، وسقط ساعد فتح يا أبى ، ولم أكن أتصور هذا اليوم.
كيف لا وقد سيطر " دحلان " وحمل العصا لكل ثائر ، آه يا أبى الجسور القوى ، تحول قوس قزح إلى قوس خوف ، وأصبحنا يا أبى نرتب خيبات آمالنا ، وبقيت لى ذكرى شجاعة جمال عبدالناصر وبقيت لى ذكرى شجاعتك ، وبعد يا أبى إفتقدت الطمأنينة الكاملة ، لكننى أطلبها من ربى ، أشعر أننى إبنة الحرية التى أصبحت يا أبى تعيش حياة إحتضارية ، لقد أعطيتنى يا أبى عيون الكتب الإسلامية ، ومنها عرفت أن حضارتنا خالدة عميقة ، وتحول عقلى يا أبى إلى فرن يحرقنى ماذا حدث لنا يا أبى ؟
لقد نجحت يا أبى أن تقاوم الحزن الراكد من أعماق روحك ، حزنك على وطنك المسروق ، وقلت لى ذات يوم نعم الحياة تضربنا أحيانا ضربات عنيفة ويجب أن نقاومها لكننى يا أبى أخبرك وأنت ترقد فى قبرك أن الفلسطينى عاد يائسا يائسا جدا ، ولم يعد يتحمل الحب الكريه وإدعاء الحب وأصبح الخبز مشكلته.

13

الفلسطينى لايموت ولا يحيا ، هل هناك حالة أشد بؤسا من ذلك ؟ الحياة ماتت يا أبى تصور ، تصور يا أبى لم يعد أحد قابل للإقناع ، أكل الطفل الفلسطينى أوراق الشجر ، ومات جوعا ، لكنهم قالوا لى أنتم أغنياء ، وأصبح يا أبى المجد للمنافقين والكذابين ، وأنا يا أبى لا أعرف كيف أعيش فى هذا العصر المزيف ، عصر الكمد ، فأبكى سيلا جارفا وأنت يا أبى يامن علمتنى عمق الإبداع أخبرك يا أبى وأنت راقد فى قبرك إن من يبدعون الأعماق على وشك الإنقراض من عالمنا الغريب الذى لم أعد أفهمه.
كان أبى رحمه الله يؤمن أن دولة تقوم على أساس عنصرى ، هو أمر فى حكم المستحيل ويرى أن أطماع الصهيونية لاحدود لها ، ولم يكن يؤمن بالسلام مع إسرائيل ، فهذا يشكل الخطر الأكبر على العرب لأن الصهاينة لا يؤمنون بالسلام ، وكان أبى يعشق عروبته ، ويتفاعل مع قضايا العالم العربى والإسلامى ، وكان حسه القومى موصول بأواصر العروبة والإسلام ، وكان يتمنى من صميم قلبه الترابط والتكاتف لأبناء الأمة العربية ، وكم كانت تحزنه الخلافات العربية ، وكان يريد سموق العظمة والقوة للأمة العربية.
كان أبى لايتخذ أى موقف قبل التحليل الدقيق والإستقراء العميق ، ويرفض السرعة فى إتخاذ القرار ، وقد حزن حزنا عميقا بسبب " كامب ديفيد " ورأيه أن " كامب ديفيد " قرار سريع هدفه موت فلسطين وحزنت لهذا القرار الحزن العميق ، تغلبت على حزنك على الجدران لكنك لن تنسى الحنين إليها ، الجدران المغتصبة والأرض المغتصبة ، حولت معاناتك الذاتية إلى معاناة جمعية ونظرت نظرة شمولية حين احتضنت العالم العربى بقلمك ، وقدست عروبتك ، نعم يا أبى أنت من الذين قدسوا عروبتهم وعشقوا كل البلاد العربية ، لقد عشقت كل ماهو عربى ، كنت قليل النعاس دأبك موسوعة " بيت المقدس " استبدلت هواجس الحزن بالقلم وبرصد الحقائق ، لم تعد الوتر الهارب بل الوتر الفاعل ، والقلم المفصح.
( لقد ذكرت لى يا أبى كل من ذبحتهم الصهيونية ثم قلت لى كلنا مذبوحون ، خبز الأوطان لم يعد موجودا ، الفلسطينى يعيش فى المنفى حياة غير عادية ، إننا نعود يا أبى لبداية النكبة ، ، إنه العسر يا أبى ، لقد عرفنا معنى التحول ، كيف نعود للبداية)

14

وقد كان أبى يدرك إستحواذه التام على قلمه العميق ، كان أبى رحمه الله موفور القوة لكنه حساس جدا كطير طنان يعشق الطبيعة ، وكان أبى يسعى لأن يكون كل شئ أفضل ، ولكن جوهر تفكيره يتجه نحو

قضية فلسطين ، لقد وهب حياته لقضيته ، ولاحظت أن أبى بعد إنخراطه فى قضية فلسطين وبعد عمله فى إذاعة منظمة التحرير أصبح صافى الذهن ومشرقا ، لقد عثر أبى على ذاته فى عيون وطنه وليس فى عيون الآخرين.

وأحسست أن أبى ولد من جديد وكان هناك أملا خلاقا أبديا يحثه على العمل بدأب لم أر مثله مثيلا ، كان يعد العدة للعودة ، هاهو أبى يستيقظ من موت النكبة ليحيا الحياة الثورية الكاملة ، وأصبح حلم الإنبعاث ، حلم العودة للوطن المغدور قاب قوسين أو أدنى ، لقد تغلبت على سنوات الهوان حالة الثورية الرائعة ، جعلتنى أبدو بدورى أكثر حيوية ، وأصبحت مثل أبى فلسطين وحلم الرجوع ، والحلم الثورى العظيم كلها تحثنى على العمل ، وكما شرع أبى فى كتابة التراث وكتابة موسوعة بيت المقدس ، شرعت بدورى فى كتابة القصائد الثورية واعتليت منبر الجامعة لأصدح بها فى وجود عظماء شامخين كالناقد العظيم " عبدالقادر القط " والدكتور " الشكعة " وبحضور الشاعر " معين بسيسو " ، لقد قطع أبى من وجوده حوالى خمسة عشر سنة ، وعاد ليواصل الحياة بحيوية فائقة ، والسبب يعود إلى رجل عظيم فهم القضية الفلسسطينية وفهم كم ظلم الإنسان الفلسطينى ، هذا المفكر العظيم العميق " جمال عبدالناصر " لقد استطاع عبدالناصر أن يشفى أبى من وحشة الإغتراب ومن النكبة ، لقد وجد أبى اليقين ، هذا الرجل النبيل الذى عشقه أبى ، وعشقه كل عروبى عريق ، ثورية رائعة فوارة غمرتنا ، وجعلت حياتنا تفور بالإشراق ، حرية فوارة ، ووعى مشتعل يزيد ولا يتناقص ، إن إرادة القوة غمرتنا ، بل وغمرت كل العرب ، تلاشى الإحساس بالضعف عند أبى وأصبح يتصرف بقوة ، أحسست أن ابى حبس عن نفسه الذكريات الحزينة واستبدلها بالإلتزام بكل ماهو إيجابى ، سأعثر فى المجدل على حصان أبى الأبجر.

وبدورى بدأت أفهم معنى الحرية ، ومعنى الإلتزام ، وأطلقت لأفكارى العنان ، كان أبى فى هذه الفترة فى كامل إشراقه وانتقل هذا الإشراق لى.

كان أبى متفائلا ويرى أن كل شئ سيكون أفضل وكان أبى فى قمة إنشغاله بالقضية قضية فلسطين أو الوطن المسروق ، لقد حل الأمل فى جدله محل الجدل الحزين جدا ، لقد أحب أبى فلسطين أكثر من أى شئ آخر وبدورى أحببت فلسطين أكثر من

15

أى شئ ، وموسيقى سماوية كانت تغمر منزلنا الكائن فى الزيتون ، وحثيثا بدأت الشجاعة تقترب منى حين استبدل أبى الشجاعة بدل الضعف ، نعم أصبح أبى يصغى لنفسه من الخارج ، أصبح يخطط مع الثوار كيف ستعود فلسطين ، ولم يعد يصغى لذاته الموجوعة ، لقد تغلب أبى تماما على الهلوسة النفسية التى لاحظتها طفولتى ، وكنا نستيقظ على صوت برنامج أبى " خاطرة الصباح " وكان البرنامج يبث فى السادسة والنصف يكتبه أبى وتذيعه المذيعة الفلسطينية " محاسن الحسينى " هكذا زالت حالة الركود وتراجعت كل المشاكل عند أبى ، وتفرغ تماما لفلسطين الحبيبة وعشت هذه الفترة الثورية المفعمة بالوعى والأمل وقد أصبحت الحياة حلما رائعا وإلى الآن أتذكر هذه الفترة حينما كانت الحياة حلما رائعا ساحرا ، إنه حلم الحرية وحلم الإنتصار ، إنها الأعوام الخصبة فى حياة أبى وحياتى.

وكان أبى يحفز أقصى درجات ذكائه ، لم يعد ابى غائبا ولم يعد يشبه الإغتراب ،

)ولم تعد كلماتك مقتضبة يا أبى ياجوهرة العقد وأصبح حلم العودة وسيلة رائعة للحياة والإبداع عند أبى ، وسياقات الحرية تقود لذلك ، وعمل مع أبى رجال جيدون منهم خالد الفاهومى وخليل عيلبونى وعلى هاشم رشيد(

كان أبى يكتب فلسطين بدقة مذهلة ، زالت النظرات المهزومة من عين أبى وحلت محلها نظرات

الإنتصار ، لم يعد يرعى الفراغ كل دقيقة لها ثمنها ، كل ماكان يقوله أبى هو الحقيقة ، أقول ذلك بسبب كراهية أبى للتزييف والكذب وبسبب الدقة المتناهية ، هكذا أبى فهم الحياة ، دقة وعدم كذب ، فقول الحقيقة ديدنه ولم أجرب الكذب على أبى حتى ولو من باب المزاح ولأبى رأى " الرجال لايمزحون " واعتبرت ذلك دليل عبقريته ، فأبى يمنح نفسه للحقيقة وحدها ، مهما كانت الحقيقة مؤلمة يقولها.
وكان أبى لايقول إلا كل ماله معنى ، وكان حرا طليقا فى إبداعه وتأثر أبى كثيرا بهزيمة السابعة والستين وبكى دما على حلم الإنتصار ، ورفض الشعب المصرى الهزيمة ، وأصر على المقاومة ضد إسرائيل ، وإزداد أبى حزنا على وفاة عبدالناصر وبكاه أبى بكاءا جما وبكيته بالدم وليس بالدموع.
وحدثت حرب 73 وتغيرت توجهات القيادة السياسية ، لقد أراد السادات أن يجعل من هذه الحرب آخر الحروب ، وشعر أبى بالغربة من جديد ، وأغلقت إذاعة منظمة التحرير الفلسطينية لكن أبى استمر يكتب موسوعة " بيت المقدس " واستمر يكتب فلسطين ، وعاش حالة ثورية مجيدة وعظيمة.

16

تأثر أبى كثيرا لموت " جمال عبدالناصر " القائد التاريخى الذى تولى شئون مصر الحبيبة منذ قيام الثورة وحتى وفاته عام 1970 ، هكذا عشت مع أبى سنوات الأمل الرائع أما سنوات الهزيمة فكانت من أصعب الفترات ، وامتزج الحزن بالغضب وبالأسئلة ، وأعلن الشعب المصرى الحبيب عدم إعترافه بالهزيمة وأصر على بقاء جمال عبدالناصر رئيسا.
ولم يعترف أبى بهزيمة جمال عبدالناصر وكان لديه شك فى هزيمة هذا البطل التاريخى ، ولابد أن هناك أشياء مخبوءة لم يكشف عنها ، لم يصدق أبى هزيمة عبدالناصر ، هذا البطل التاريخى الذى عشقه كل عربى حر , هذا الرجل الأسطورى النادر ، لقد فقدنا حبيب فلسطين ، رجل أحب فلسطين بطهارة ، وحزن أبى على السياسة التى استبدلت الإتحاد السوفييتى بأمريكا ، وحكى لى أبى إنهم يعدون مصر لتعيش فى نظام شرق أوسطى جديد ، ويكون فيه لإسرائيل مكان آمن وأمين ،
نعم يا فدوى دمرت الصناعة التى خطط لها الزعيم العظيم ، أصبح الإعتماد على السياحة ، تفككت القاعدة الإنتاجية فى مصر ، وتفككت الصناعة وتفككت المشاريع الإنتاجية وتعبنا من الضعف والكسل ، ويتذكر أبى ثلاجات إيديال ويصر على

17

الإحتفاظ بها وبوتاجازات مصانع الحديد والصلب ، وسيارات ناصر ، وحصلت إسرائيل فى السلم أكثر مما حصلت عليه فى الحرب ، إن الصهيونية لم تجرؤ على تهويد القدس إلا بعد كامب ديفيد ، لم يكن الصهيونى يريد فى فلسطين له مكانا تحت الشمس بل أراد أن يقتل شعبا بأكمله ، وتعرض شعبنا لألم صامت مفرط يا إبنتى ، ومع ذلك لا زال شعبنا يحتفظ بحيويته رغم الحرب التى لاتتوقف ضده ومن جميع الجهات ، كل الجهات تريد للفلسطينى أن ينتحر ، وربما علينا أن ننتحر إنتحارا جماعيا على ضفاف البحر الميت ، يا قدس الروح ماذا يريدون أن يفعلوا بك ؟ يا قدس القلب قلبى ينفطر ، نعم مات جمال عبدالناصر واستمرت عمليات الثوار الفلسطينيين داخل الأرض المحتلة واستمرت فى الوقت نفسه عمليات الرد العسكرى على الوجود الفلسطينى فى لبنان وتحول الوضع إلى حرب صهيونية فلسطينية محدودة ، آه يا إبنتى فدوى كان الصهيونى ذليلا لاجئا عندما أتى لفلسطين والآن الصهيونى اللئيم لايرى الإنسان الفلسطينى الذى سمح له باللجوء تصورى إنه لاينظر إلى ضحيته ، لا يعيره حتى مجرد النظر ، تعرفى يا فدوى حين حرق النازيون الصهاينة أتصور أن صهيونى أراد الفرار من الحريق فقفز من النافذة ليسقط على فلسطينى ليقتله ، إن الوجود الصهيونى يريد أن يمحى الوجود الفلسطينى.
الصهيونى أسوأ شخص فى العالم وهو مادى يؤمن بالحياة فقط ، وكنت أسأل أبى هل إختفت عمارتنا فى

المجدل ؟ هل إختفى الكروم ؟ الصهاينة حقيقة كانوا ضحايا مرة حين أحرقتهم النازية ، لكنهم الآن ليسوا ضحايا هم يقتلون الفلسطينى ويحرقون الفلسطينى ، إنهم يلعبون نفس الدور ، تصورى يا فدوى العربى لا يستطيع أن يحصل على تأشيرة ليدخل القدس !! عقل أبى يحوم حول القدس المدينة الرائعة التى تعلم فيها ولأنه عشق القدس كتب موسوعة بيت المقدس المكونة من ثلاثين جزءا ، يقول لى : هواء القدس مترع بالقداسة يافدوى ، إن بفقدى فلسطين يافدوى أشعر بأن شيئا عظيما فقدته .
من الأمور الغريبة أن يأتى الصهاينة إلى مدينة القدس ، المدينة العربية الفلسطينية ، جاءوا بدون أى فائدة إلى مدينة عربية فلسطينية قديمة ليبحثوا عن أثر قديم يدل على الرب ، لكن الصهاينة يمارسون جنونهم.

لأجلك يا بهية المساكن
يازهرة المدائن ياقدس

18

"ياقدس يامدينة الصلاة
عيوننا إليك ترحل كل يوم
تدور فى أروقة المعابد
تعانق الكنائس القديمة
وتمسح الحزن عن المساجد
يا ليلة الإسراء
يادرب من مروا إلى السماء
عيوننا إليك ترحل كل يوم
وإننى أصلى "

لا تغيرى هدفك يا إبنتى ولا تغيرى غضبك ، ما أجملك يامدينة القدس ، آه يافدوى ما أجمل جبل الزيتون ، إن للمكان سنا إلهى ، أتعرفين يافدوى الفلسطينيون قادرين على أن يفعلوا المعجزات لكن العرب يمنعوهم من ذلك ، هذه ورقة صعبة يا أبى لأننا مع صلاة حزينة لفيروز ، أشتاق للأقصى ، أشتاق لصخرة القدس أجمل مكان فى الدنيا هواء القدس يافدوى محمل بالشمس والأوكسجين ، حدثنى يا أبى عن القدس ، إحكيها لى يا حكاء فلسطين ، إحك لى القدس ، إحك لى فلسطين ، إحك يا أبى فالوطن لايموت حين نحكيه ، والقدس لاتموت حين نحكيها لأولادنا وأحفادنا.
إحك يا أبى حكايات الديار ، إحك يا أبى حزنك المركب فمنذ طفولتى وأنا أرى أبى يكتب القضية الفلسطينية ويوثقها ، إحك لى يا أبى القدس مدينة الرب المقدسة ، إحك لى عن عصى موسى ، وعجل هارون الذهبى ، والخضر الذى يحرك المحاريث ، إحك لى يا أبى عن الزعماء العرب ماذا فعلوا بالقدس إحك لى عن سياستهم المجحفة ، لقد برع الزعماء العرب فى تأجيج المشاعر الكاذبة ، ولم يدرك الزعماء العرب بإستثناء جمال عبدالناصر وأقلية منهم ، أغلب الزعماء العرب لم يفهموا خطورة الصهيونية ليس على فلسطين بل على العالم العربى ، وسؤال يلح عليك ويلح على لماذا يصمت العرب ؟

## فلسطين تموت يا أبى

19

أنا الزمن الحاضر والزمن الحاضر كئيب يا أبى ، إنه زمن الهزات السياسية وعبادة السلاطين وبكل التناقض أعيش زمنى ، ويأتينى صوت أبى إياك من الحياة الشاحبة يا فدوى ، إنها بذور الحياة وليست هشيم الحياة يا إبنتى ، والله يا أبى بعدك لم يعد لى الفرصة لأصاب بالدوار لأن الدوار مستمر يجول فى حياتى ، كنت شمسا تنير لى وكنت أظنك معفى من الموت.

والفلسطينى فى المنفى طوال حياته خائف ، خائفة خائفة خائفة يا أبى ، أتحسس جدران الكتب آلاف الكتب التى تركتها ، كيف أسيطر على عصبيتى المرعبة يا أبى ؟ يا أبى أقول لك وأنت فى اللحد غريب ، أريد وطنا أريد شمسا ، الزعماء العرب يضيعون القدس والأقصى يموت يا أبى ، مات الذين يحرسون الضمير ، قولى لهم يا إبنتى : يضيع كل من يضيع الأقصى ، يقول تعالى فى كتابه الكريم " : سبحان الذى أسرى بعبده من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى " صدق الله العظيم ، وسحقا لأصحاب الهيكل وعبدة الطاغوت.

يحاولون نزع الصفة الإستعمارية عنهم ، ويسعون لحمل العرب على الإعتراف بالوجود الصهيونى وإغتصاب الأرض العربية كلها وعقد تسوية نهائية فى المنطقة العربية ، ويصبح لهم دورا وظيفيا هذا الدور يسمح لهم بتحقيق الأهداف النهائية للحركة الصهيونية ، هكذا تسيطر الصهيونية على كل البلاد العربية ، هل يدرك العرب خطورة ذلك ؟

نحن هنا يا فدوى منذ بدء الخليقة ، القدس لنا ، آه يا إبنتى وصلت فى القدس إلى السماء السابعة وفى المدينة المقدسة يافدوى قتل قابيل هابيل .

قل يا أبى ، إحك ياحبيب القدس ، ياعاشق القدس ، للقدس مكانة كبيرة يا إبنتى عند المسلمين ومن جوانب الإعجاز الإلهى " رحلة الإسراء والمعراج " تلك الرحلة التى تؤكد مكانة القدس فى الدين الإسلامى ، ذلك لأن الرباط الذى صنعه الله تعالى وليس البشر ، بين الحرم المكى والحرم القدسى الشريف ، هو عقيدة من عقائد الإسلام ولابد للأمة العربية والإسلامية ، لابد من التكاتف والتعاون للوقوف جميعا لإنقاذ المسجد الأقصى وحماية الأرض المقدسة ، ورد الحق لأصحابه والعمل لنصرة المسجد الأقصى وفك أسره من المحتلين لمكانته الدينية والتاريخية العظيمة لدى المسلمين ، باعتباره أولى القبلتين وثالث الحرمين ومسرى رسول الله عليه الصلاة والسلام.

20

إننى أدعو يا إبنتى أدعو الدول العربية والإسلامية وندعو الشعوب المحبة للسلام ، ندعوهم إلى تحمل مسئولياتهم تجاه السياسة التهويدية ففلسطين تبكى ، ومنذ أن رحلنا وهى تبكى ، نعم يا أبى سلطات الإحتلال الصهيونى فى مدينة القدس المحتلة تهدم المنازل وتطرد السكان العرب وتحفر الحفريات فى مناطق كثيرة حول المقدسات الإسلامية والآثار التاريخية فوق الأرض ومن تحتها على مرأى ومسمع المجتمع الدولى.

القدس يا إبنتى عربية إسلامية ، القدس هى من صميم عروبتنا وإسلامنا ، أما الخرافات التى تتحدث على الوصايا العشر ليس مجرد هرطقة ، إنما هو جزء من إدعاءات غير صحيحة لتيار المتطرفين الصهاينة الذين يدعون الحق فى غقامة إسرائيل التاريخية.

فوق أرضنا أرض فلسطين ، هذا التطرف الصهيونى يشكل خطرا ، فالصهيونية هنا تحاول أن تبرر

إحتلالها لأرضنا والصهيونية تلح على حتمية الإيمان بمنطوق الأساطير.
قلت لى يا أبى فى القدس معراجنا وتسابيحنا ، القدس مدينة السماء ، قلت لى يا أبى لن تموت فلسطين ، فلسطين لها كيان والدول العريقة يا إبنتى لايمكن أن تموت ، لن نرسم لوحات الإنسحاق ، نحن صامدون ومقاومون .
آه يا أبى أين نحن من خرافات بنى صهيون ؟ وماذا نفعل تجاه إدعاءات الصهيونية وكذبها ؟
أقول لك يا إبنتى إن فتح الإسلام للقدس والعهدة العمرية التى أعطاها عمر بن الخطاب لنصارى القدس يرينا مكانة القدس وأهميتها.
لم يدخل المسلمون القدس إلا بعد الصلح ، وارتضوا شروط أهل القدس ورهبانها فى ضرورة حضور أمير المؤمنين " عمر بن الخطاب " ليتولى أمرها ، هذه يا إبنتى هى أخلاق الإسلام وهذه قيم الإسلام العظيمة.
إن فتح المسلمين للقدس يؤكد قداسة المدينة على عكس الأمم السابقة التى احتلت مدينة القدس المباركة ، فمنذ نشأة المدينة تم تدميرها وسفك دم أهلها ، وذكر سفر يشوع أن يشوع بن نون إحتل أريحا فدكها دكا ، وقتل من وجده فيها ، لافرق بين رجل وامرأة ، شيخ أو طفل " سفر يشوع – الإصحاح. " 6

21

كذلك عامل الغزاة المدينة على مر العصور بنفس الطريقة من القتل والحرق والتدمير والتنكيل ، كما قال تعالى على لسان ملكة سبأ " : إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة " ، فكان الفتح العمرى بيانا لإسلامية المدينة المقدسة وترسيخا لطابع الإسلام العميق فيها.
وعندما دخل يا إبنتى سيدنا عمر بن الخطاب القدس نقب عن صخرة بيت المقدس ، وقام بتنظيف مكانها من القمامة التى كانت عليها من ايام هيلانة ، وقد روى عنه إنه قال لكعب الأحبار أين ترى أن أصلى ، صلى خلف الصخرة فتصبح القدس كلها بين يديك.
كان أبى يحكى لى ويمدنى بالدعم الفكرى ، إنه أبى حكاء فلسطين وصديقى الأبدى ، وهو الذى نسج خلايا رأسى خلية خلية ، وحولنى من فتاة مذعورة إلى فتاة تفكر وتتأمل .
ويحكى لى أبى القدس وهو يستمر فى الحكى دون أن يتعب أو يمل ، يقول لى " : وعندما تجول عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى المدينة وكانت لاتزال تئن فى الخراب الذى أحدثه الغزو الفارسى ، رأى عمر أن يبدأ بالتنظيم الإدارى والقضائى وفرض للمسلمين الفروض وأعطى العطايا ، ووضع التاريخ الهجرى ، ودون الدواوين ، وعين لكل منطقة أميرا ، وعين قاضيا وأسس الحسبة فى المدينة.
لقد فتح المسلمون بيت المقدس ورجعوا به إلى أصله ، الأصل الأول حيث نزلت القبائل العربية فيه واستقرت به فانتشرت اللغة.
القرار فى مكتبك فى إذاعة منظمة التحرير ، وطالبت مصر الحبيبة ، مصر عبدالناصر العظيم ، ومنذ صدور القرار طالبت مصر بتطبيقه ، وهذا معناه أن القدس من الأماكن التى يحكمها قانون الإحتلال الحربى ، وهذا يجعل من الضرورى أن نستردها.

22

لقد احتلت يا أبى القدس بأكملها فى يونيو سنة 1967 ، إفتراءات إسرائيل لاحد لها، وكذبها كذب كبير فى الظاهر والباطن ، ووقاحة إسرائيل لامثيل لها.

آه يا إبنتى أجبرونا على ترك فلسطين واستمرت أشجار الزيتون الحزينة تنادى علينا .
إسرائيل تريد القدس عاصمة أبدية لها ، وأذهب أبعد من هذا يا أبى الصهاينة يريدون فلسطين بلا أصحابها ، يريدون فلسطين بلا فلسطينيين وتلك هى المهزلة الكبرى التى لا يقبلها عقل ولا منطق ، ودون أدنى إعتبار لقرارات الشرعية الدولية.
إن قرار 242 لعام 1967 ينص على عدم جواز احتلال أراضى الغير بالقوة ، وضرورة إنسحاب إسرائيل من الأراضى التى إحتلتها سنة 1967 ، إن الصهيونية غير أمينة يا إبنتى على المقدسات.
إن أول ما فعله الصهاينة عند دخولهم مدينة القدس العربية فى يوينو 1967 هو إقتحام المسجد الأقصى وتحطيم نوافذه وأبوابه ، وتدنيس طرقه وممراته بممارسات بذيئة وخليعة وبعد أسابيع قليلة من وقوع القدس المقدسة أسيرة عام 1967 قام الجيش الصهيونى فى 15 يوليو بوضع الحواجز على الشوارع المؤدية للمسجد الأقصى ، ومنعوا المسلمين من الوصول إليه.
وهناك الجرم الأكبر عام 1969 عندما قام صهيونى متطرف دنئ بإحراق المسجد الأقصى يوم 31 أغسطس ، فأحرق قلوب كل المسلمين ، إن محاولاتهم القذرة لإحراق مسجدنا الحبيب تتكرر من حين لآخر ، هكذا يا أبى تسييل دماء الحياة.
الصهاينة يريدون إزالة المسجد الأقصى من الوجود بل ويريدون إزالة الفلسطينى الكنعانى من الوجود !!
نعم يا أبى يا عاشق القدس ويا صاحب موسوعة بيت المقدس التى أفنيت عمرك فى كتابتها ، إنهم يا أبى يستهدفون الأقصى ، يلبسون طواقيهم السوداء فى الأقصى ، يسيرون فى النفق المؤدى إلى حائط المبكى ، يغنون فى الأقصى بالعبرية ، يغنون أمام باب العامود ، يعبرون البوابة العتيقة ، إنهم يهودون القدس القديمة ويستعدون لهدم مقدساتنا ، الفلسطينيون فى القدس يقتلون والمدينة تهود ، الأقصى يهدم وقد صادر الصهاينة الأسواق القديمة ، الشوارع خالية والمحلات مغلقة ، الصهاينة



يطردون أهل القدس يا أبى ويحتلون بيوتهم والصهاينة يعتدون على المقدسيين ويلقون عليهم القاذورات ، هذا ماتشهده قدسنا الآن.
أحدثك يا فدوى عن قدسنا القديمة التى بنيت بالحجر الوردى ، شوارع المدينة ضيقة والمنازل تسند بعضها ، نعم يا أبى والذى أعرفه أن يوم السبت هو أسوأ الأيام ، الصهاينة يعتدون على المقدسيين ورغم ذلك الفلسطينى يافدوى لن يعتاد الظلم وسيظل يقاوم .
إنها أرضنا يا أبى ، إنها قدسنا يا أبى فى الشروق والغروب والحرم حرمنا يا أبى ، هكذا وضعنى أبى على طريق آخر ، طريق الحق والحرية طريق فلسطين ، لماذا يريدون تهويد القدس ؟ القدس عربية يا أبى ، نعم يا إبنتى هم يريدون طمس تاريخ القدس ، يريدون يا إبنتى أن يلغوا كل القصص إلا قصصهم ، لقد دمروا مزارع الزيتون ولم نعد نسمع فى قدسنا سوى كلمة " شالوم " ولم نعد نرى فى وطننا سوى كمائن الموت.
إنهم يا إبنتى يضربون كل فلسطينى يدخل إلى المسجد الأقصى ، هل نعيش فى خوف مزمن ؟ إنهم يا أبى يحاربون شعبا أعزل يحاربونه بالتكنولوجيا الأمريكية ، يحكى لى أبى ويتذكر حتى ما يستحيل تذكره ، يحاربوننا يا أبى معنويا لكن الفلسطينى يعرف هدفه جيدا ومن يعرف هدفه يصل إليه.
نعم يا فدوى تعرضنا لأوسع أنواع الألم والألم الأكثر عمقا ، لكننا صامدون وهذا الصمود يذهل عدونا الذى قال الكبار يموتون والصغار ينسون ، إغضب أيها الفلسطينى إغضب إغضب ، إستمر فى حالة الغضب .

يحفرون الطرق حتى يصعبون الحياة فلا يستطيع الطالب مثلا أن يذهب إلى مدرسته ولا يستطيع العامل أن يذهب إلى عمله ، إنهم يتلاعبون بتاريخ القدس ، إنهم يضطهدوننا ونحن أصحاب القدس وأصحاب الأقصى والصخرة وأصحاب فلسطين ، أحجار الأقصى تبكى على مايحدث.
أهلنا يعانون كثيرا فى فلسطين ، يعانون من العنصرية الصهيونية ، إنها عنصرية عميقة متجذرة ، يؤسفنى يا أبى أن أقول أن أوسلو لم يعطنا أى شئ ، أوسلو أخذ منا كل شئ.

24

أقول لك يا فدوى أوسلو أخذ من الفلسطينيين فلسطين فقط ، أوسلو أخذ من العرب كل شئ ، إن كل عربى يعترف بالصهيونية يحمل قلبا أسود ، كان يا أبى الوبال على فلسطين شديدا.
فى المدارس لايسمحون للفلسطينى برؤية خرائط فلسطين ولايعرف التلاميذ أى شئ عن تاريخ بلادهم ، أطفال فلسطين جائعون ، أطفال فلسطين يذبحون تحت دبابات الصهاينة ، الصهاينة أخذوا من الزمن خسته ، إنهم لايفهمون معنى الإنسانية ، كيف يا أبى سينشأ الطفل الفلسطينى ؟ إنهم يبقرون بطون الرجال أمام أبنائهم.
السلام يا أبى عند الصهاينة كلمة مرفوضة والصهاينة يريدون كل فلسطين ، يريدون كل شئ يريدون كل الأرض التى لم تكن فى يوم من الأيام أرضهم ، إنهم يخطفون الأطفال بمصفحاتهم ، يفتحون الطرق فجأة ويغلقونها فجأة ، يطفئون الكهرباء ، يقطعون الماء ، كيف سيعيش الفلسطينى ؟ موجات الحنين للعروبة لا تغادره ، أقول لك يا أبى شعبنا حزين والأشواق المذبوحة تضنيه ولقد عرفت يا أبى أن شعبنا فى القدس يحن للعروبة وللناصرية ، لازال يغنى " ياجمال يا حبيب الملايين " الفلسطينيون يا أبى يعشقون جمال ويعشقون أعماله الخالدة ولازالوا يحملون فى قلوبهم شحنات الحنين للعروبة ، لازال الفلسطينيون يغنون فالمتن اللغوى المفعم بالثورية والأناشيد الرائعة لازالت توحد الأمة العربية.
لاشئ يا إبنتى يعوض الفقدان الفاجع لفلسطين ، أحن إلى المجدل ، رائحة المجدل ، الأماكن القديمة فى المجدل ، رائحة البحر ، رائحة التراب ، أرض فلسطين ، برتقالها وزيتونها .
"قلنا حنبنى وأدى إحنا بنينا السد العالى " الشعب الفلسطينى يا أبى يحب مصر وشعب مصر ، إن مصر يا أبى أمنا وأم الأمة العربية ، الأمة التى يريد الصهاينة أن يغتالوها ويبلعوها.
إنهم يا أبى يقفون أمام المسجد الأقصى بدباباتهم ورشاشاتهم وهم يرتدون الدروع ، نعم يافدوى هم يريدون هدم الأقصى فماذا نحن فاعلون ؟ نعم يافدوى أوسلو موت ثالث للقضية والموت الثانى هو النكسة ، هل نترك لهم الأقصى يا إبنتى ؟ هل نترك لهم الصخرة ؟ هل نترك لهم القدس ؟

25

إن أبسط حقوقنا العودة إلى حدود 4 يونيو 1967 دولة مستقلة ذات سيادة فى الضفة والقدس الشرقية ، الإفراج عن المساجين ، حق العودة للاجئين ، ياعرب يامسلمين إستيقظوا - نام العرب ناموا واستسلموا للصمت ، الأقصى يستغيث بكم ، " إن ينصركم الله فلا غالب لكم " صدق الله العظيم.
أقول لك يا إبنتى الصهاينة لايريدون لنا أى حق من الحقوق ، يعارضون حق العودة ، إنهم دولة عسكرية مرعبة ، المصفحات تملأ فلسطين ، أغلقوا المسجد الأقصى ثم تطاولوا على هدمه ، وأصبحوا يقيمون إحتفالاتهم الماجنة داخل المسجد المقدس.
كانوا لايجرؤون ، بعد أوسلو أصبحوا يجرؤون ، المزارع الفلسطينى يخاف على محصوله ، المستوطنون الصهاينة يحرقون له محصوله ، ومع كل هذا الفلسطينى صامد ، إنه نموذج رائع لقهر الصعاب ، الحواجز فى كل مكان تملأ الشوارع والمصفحات تملأ الشوارع ، أوضاع الفلسطينى يا إبنتى

تحت الحكم الصهيونى بالغ القسوة ، قطع الماء ، قطع الكهرباء ، بطالة ، فقر ، قتل أطفال ، تعصب صهيونى عنصرى ، يتحدثون كثيرا عن أرض الميعاد يقولون أن فلسطين لهم وينفى أبى الديمقراطية عن الصهاينة كيف يكونوا ديمقراطيين وهم يجعلون الفلسطينى صاحب الأرض مواطنا من الدرجة الثانية.

يا إبنتى الفلسطينى يموت كل يوم بعيدا عن وطنه ، واستمر شوق أبى لفلسطين لآخر لحظة فى عمره ، لقد ذاق أبى لوعة الحنين لفلسطين .

إن الصهاينة يا إبنتى ينكلون بالإنسان الفلسطينى دون أى مساءلة من العالم ، لكن الفلسطينى لازال يستشهد من أجل فلسطين وتسمعين الزغاريد ملازمة للموت ، الشهيد يتوحد بالأرض ، أطفال محاصرون فى البيوت.

السلام يا إبنتى هو حديث العرب وليس هو حديث الصهاينة ، الصهاينة يحاصرون الشعب الفلسطينى ، الصهاينة يخنقون الشعب الفلسطينى ، الصهاينة يقهرون الشعب الفلسطينى ، يجوعون الشعب الفلسطينى ، ويروعون الشعب الفلسطينى ، ماذا نقول بعد أوسلو يا إبنتى ؟

تضاعفت المستوطنات غير القانونية فى الأراضى المحتلة ، الصهيونية تمزق مستندات الفلسطينيين ، تمزق أوراقهم وهوياتهم ، إنهم يتمركزون على أسطح المنازل ، تصورى نفسك فى منزلك والصهيونى يراقبك من سطح المنزل المجاور

26

، من الأسطح يرمون بقاذوراتهم حتى يترك الفلسطينيون فلسطين ، يرمون بفضلاتهم من أوراق التواليت ، يجبرون الرجال على خلع ملابسهم الداخلية حتى يمرون من الحواجز ، إن الفلسطينى ينتظر معجزة من السماء لتنقذه ، الصهاينة ينسفون أناس للسخرية من الفلسطينى وليصبح الفلسطينى خائفا ، لكن يا إبنتى إطمئنى أكثر من ستون عاما والصهاينة فى فلسطين لكنهم لم يكتسبوا شرعيتهم ، الصهاينة يعيشون فى فلسطين بلا شرعية ولذلك لابد أن يرحلوا ، وعلى الصهاينة أن يمتثلوا للقانون الدولى.

حدثنى يا أبى عن القدس إحك لى يا أبى ياحكاء فلسطين ، ويستمر أبى يحكى لى القدس التى يعشقها وبدورى أعشقها مثله ، نعم يا أبى إحك لى كل شئ عن القدس ، انتهت الصهيونية من بناء2000 وحدة إستيطانية فى القدس الشرقية فى مستوطنة " جيلو " الواقعة فى محيط القدس الشرقية المحتلة ، هذا ما أعلنته الصهيونية بكل وقاحة مما دفع الإتحاد الأوروبى إلى إنتقاد إسرائيل على سياسة الإستيطان ، هذه السياسة التى تهدد بزوال قدسنا الشريف ومعالمها العريقة.

إيقاع حياتك يا أبى هو إيقاع حياتى ، فقد صاغ أبى عقلى ، ووضع خطواتى على درب فلسطين ثم أصبح لى قراءاتى الخاصة وغواياتى الإبداعية .

الصهاينة يلتهمون أرض الضفة الغربية وفى القدس القديمة تنتشر المدارس التوراتية والحدائق التلمودية والرموز اليهودية ، ويظل التهديد بهدم المسجد الأقصى يظل مستمرا وتتصاعد حملة الأنفاق والحفريات تحت الأرض ، أسفل المسجد الأقصى ، وأسفل مسجد قبة الصخرة التى يعتقد الصهاينة أو أنهم يزعمون أن الهيكل المزعوم أسفله حتى وصل الحفر إلى أربعة مستويات بأعماق تصل إلى 60 مترا.

وحول الصهاينة الأنفاق إلى مزار سياحى يشرح فيه الصهاينة قصة هيكل سليمان من وجهة النظر الصهيونية.

إن 15 مايو يا إبنتى هو ذكرى النكبة نكبة فلسطين سنة 1948 إنه عام النكبة ، وفى هذا اليوم احتلت الصهيونية فلسطين وطردتنا الصهيونية من أرضنا ، طردنا قسرا وقامت المذابح ، استولى الصهاينة على منازلنا وممتلكاتنا ، استولوا على الأرض وعلى ممتلكاتنا وأموالنا وذهبنا ، وتحتفل الصهيونية بهذا اليوم وتسميه يوم الإستقلال ، وهذه يافدوى مهزلة المهازل ، فيوم إستقلالهم هو يوم نكبتنا ، وهذا ماتحمله لافتاتنا فى أرضنا المحتلة يوم نكبتنا هو يوم إستقلالهم.

27

لقد طردنا قسرا من أرضنا أجبرتنا الصهيونية على ذلك ، وترتب على ذلك أن فقد الفلسطينى هويته وأصبح لاجئا ، وأبى كان يكره كلمة لاجئ ، نعم يا إبنتى طردت الصهيونية مليون فلسطينى فلجأوا إلى المخيمات فى الدول العربية ، ومارست الصهيونية أعمال النهب والسرقة ، هكذا دمر الصهاينة مستقبل شعب بأكمله وهذه جريمة فريدة ونادرة .

وهام الفلسطينى على وجهه ليبحث عن مخيم أو مستقر ، إن حق العودة يا فدوى ثابت ، إياكم يا أولادى أن تتنازلوا عنه ، أوصيكم بذلك ، إن حق العوة يا إبنتى مثبت فى أحكام القانون الدولى فمن حق الفلسطينى أن يعود إلى فلسطين والقرارات الدولية كلها تؤكد هذا الحق.

لابد يا إبنتى من إنتفاضة ثالثة توقف تهويد القدس لنحافظ على تراثنا ومقدساتنا ، وبكل بجاحة كشفت لجنة الداخلية والأمن الإسرائيلية النقاب عن مشروع لتوسيع مستوطنة ) أرئيل ( شمال الضفة الغربية على مرحلتين ومد منطقة نفوذها وتطويرها على حساب مساحات واسعة من أراضى الفلسطينيين فى محافظتى قلقيلية وطولكرم ، وقد إقتحم المستوطنون مساء أمس قبر يوسف فى المنطقة الشرقية لمدينة نابلس تحت حراسة قوات كبيرة من جيش الإحتلال ، وقام الفلسطينيون برشق المستوطنين بالحجارة فرد جنود الإحتلال بإطلاق قنابل الغاز والرصاص المطاطى ، وكانت المحكمة الدينية اليهودية المركزية بمدينة القدس أصدرت أمرا قضائيا بتسليم السيطرة القانونية والإدارية على قبر يوسف بمدينة نابلس للحاخامين المسئولين عن منطقة نابلس .

هذا يا إبنتى مايحدث فى أرضنا المقدسة فلسطين ، نريد يا إبنتى صحوة عربية إسلامية ، نريد إنتفاضة ثالثة ، وترك أبى لنا كنوز الورق حين كتب موسوعة بيت المقدس وكتب مصادر عروبة القدس:

آه يا أبى
القدس منارة الشرائع
تقول القدس يا أبى
وينكم ياعرب وين وين وين
البراق زعلان يا أبى

28

البراق يسأل
وينكم يا عرب وين
الأرض يا أبى زلزلت زلزالها وأسأل أبى ما الغاية من الحياة إذا فقدنا القدس ؟ الصخرة يا أبى تبكى ، الصخرة تنتظر أن تغسلها الدموع.

آه يا أبى ليت العرب لا يتركون الصهيونية تقضم القدس وتبلع الأقصى وتغتال الصخرة ، وينكم وينكم وينكم ياعرب ، لاتتركوا الفلسطينى للجوع وقنص الأطفال ، لاتتركوا ياعرب فلسطين للقنابل العنقودية والإنشطارية ، ياعرب لاتتركوا قباب القدس للهدم.

يا أبى ياحبيبى أريد أن أقبل تراب يابوس ، أريد يا أبى أن أفتح باب العامود الموصد ، أتسمعنى يا أبى ؟

آه يا أبى إلهامك يحدثنى أن القدس لن يدنسها الصهاينة فى قبرك الغريب البعيد القريب.
إن الصهيونية تسرف وتفرط فى إستخدام القوة والعرب يا أبى يفرطون فى إستخدام القسوة ضد الطفل الفلسطينى ، أنت فى قبرك البعيد القريب ، أقول لك يا أبى كيف هو نوم الموت ؟ إننى أبكى كل يوم أبكى على طفل يأكل أوراق الشجر ، أطفال فلسطين ينوحون يا أبى من الجوع ، والصهاينة لا يرحمون الضعف.
أطفال فلسطين يذوبون جوعا ، الوطن يا أبى أغلى شئ فى الحياة ، نريد يا أبى حق العودة ، نريد أن نعود لفلسطيننا.
إن أحدث صورة للإستيطان فى أرضنا المقدسة جبل الزيتون الجبل المقدس العريق الذى حولوه مقبرة لأمواتهم وأمواتنا فى المزابل ، الضعف مرفوض يا أبى ولابد أن نحوله لقوة ، لقد زرعوا أمواتهم فى جبل الزيتون ، إن جبل الزيتون الذى يصل إرتفاعه إلى 726 مترا على سطح البحر يستطيع أن يرى بالعين المجردة كل الريف الفلسطينى حتى بحر سدوم ) البحر الميت ( ، وعلى الجانب الشرقى من الجبل وعلى تلة صغيرة كان هناك حجر مستدير يزيد إرتفاعه قليلا عن الركبة ، ومن على هذا الحجر صعد المسيح إلى السماء ويوجد بجبل الزيتون كنيسة الصعود ، وكان المسيح عليه السلام يستخدم جبل الزيتون ليعلم تلاميذه الأسرار المقدسة ، إن جبل الزيتون من المناطق المحتلة سنة 1967 ويخضع لسلطة الأوقاف الأردنية ، لكن الكنيست الإسرائيلى يسعى لضم جبل الزيتون إلى الدولة العبرية.

29

)نعم يا أبى سعادتك سلبية مهما تظاهرت بها لأن سعادتك بدون القدس لم تكن إيجابية ، آه يا أبى لقد تخلى عنا العرب ، ما أصعب ذلك ، الفلسطينيون يموتون بردا وجوعا(
لطالما حكيت لى يا أبى كيف يحاول الصهاينة سرقة التاريخ وسرقة الأرض وسرقة التراث ، إنهم يسرقوننا يا أبى ، ففى شرق جبل الزيتون يوجد مقام ) رابعة العدوية ( المعروفة بإسم ) أم الخير ( التى توفيت 135 هجريا كما فى شذور العقود لإبن الجوزى ، ورغم أن كتب التراث يا أبى وصفت المكان بدقة منذ أكثر من ألف عام كما يقول الشيخ عابد من المترددين على المقام ، والمثير فى الموضوع يا أبى ، المثير فى ضريح ) رابعة العدوية ( أن الصهاينة يدعون أن من ترقد فيه هى النبية خلدة وهى إحدى نساء العهد القديم.
إنهم يا أبى يهودون القدس ، إنهم يا أبى يهودون القدس التى عشقتها ، ويطورون القدس كمركز قومى لهم ، ويدعى الصهاينة أنهم دفنوا موتاهم فى جبل الزيتون منذ ثلاثة آلاف سنة ، بينما أكد المنصفين والمعتدلين من الصهاينة أن الدفن يعود إلى 500 عام وإن الصهاينة كانوا يدفعون للدولة العثمانية رسوما مقابل هذا الدفن.
إن عبقريتك يا أبى فطنت لخبثهم فكان أهم أهدافك رصد التراث الفلسطينى ، فأنت حذر عميق فى التراث الفلسطينى ، وصمت أبى فجأة حين إقترب من التسعين ، عاش حياة هادئة وعاش سعادة سلبية.
تصور يا أبى إنهم يعبثون بعظام شهدائنا ، منتهكون حرمة الموت ، يكرهون حتى عظام الأموات ، وينتقمون من عظام الشهداء.
تصور يا أبى إنهم يحرقون القبور ، قبور شهدائنا الأبرار ، لاتحزن يا أبى لأنك لم تدفن فى فلسطين كما كنت تتمنى ، إنهم يحرقون قبور العظماء فى فلسطين ، لكننى أستعيد ما كنت تقوله لى : المستقبل لنا وفلسطين لنا ، والعروبة هويتنا ومصر هى الأرومة العربية.
كنت تؤمن بأن مصر تؤمن بعروبة فلسطين وبضرورة تحريرها ، ويأتينى صوت أبى من القبر البعيد

**الغريب لماذا توقفت فتح وتوقفت حماس عن المقاومة ؟**
**يا أبى الفلسطينى يصفى الفلسطينى ، الفلسطينى يموت بإرادة عربية ، الفلسطينى لايجد لقمة خبز .**

**30**

**سيكتسبون شرعيتهم بالمقاومة ، سيحررون القدس بالمقاومة ، سيجبرون العالم على إحترامهم بالمقاومة ، الشرعية للمقاومة ، قاوموا ليؤيدكم القانون الدولى وسيحكم لنا بالقدس ، إن من لايقاوم لا حق له.**
**العالم كله أيد القضية حين قاوم ياسر عرفات ، قولى لهم يافدوى : هيا على المقاومة ليعطيكم القانون الدولى حقكم فى الوجود.**
**لقد رفع حسن نصرالله العلم على جنوب لبنان حين قاوم ، إبنتى فدوى لابديل عن المقاومة والقانون الدولى لايعترف بشعوب لاتقاوم وتطلب التحرير هذا ماقاله الخبير القانونى ) أحمد حسن عمر ( وأكد عليه.**
**المقاومة / المقاومة / المقاومة / إسرائيل إلى الآن لم تحقق شرعيتها طبقا للقانون الدولى ، نعم يا إبنتى ولا أتصور أبدا أن إسرائيل ممكن أن تحتل فلسطين منات السنين ، بل عشرات السنين...**
**ومن القبر يأتينى صوت أبى قولى لفتح وحماس هيا على المقاومة:**
**"قاوم حتى أقصى حياة / وأبصر الوطن / قاوم ببقايا دم / وببقايا خبز / ينقصنا الورد / ينقصنا المقاومة وبين الرجل العابر / والرجل الصامد يكمن الفرق / أنت يا فلسطينى تكون أجمل حين تكون مقاوما / الزمن لن ينتهى / حى على المقاومة إسترد مفتاح بيتك / من الصهيونى المغتصب"**
**وأصبح شعار أبى أتحدى أتحدى أتحدى.**

## حياة أبى فى فلسطين

"صباح الخير يابلادى
ياوردة نورت نيسان
صباح الخير ياجروحى
يا دم ذوَّق الحيطان"

31

هى أرض الأنبياء ، أجل يا إبنتى والله يافدوى لم أر أجمل من رمال السوافى فى فلسطين ، إنها رمال بلون الذهب ، ويحكى أبى كنت أجلس فى كرومنا ويحلو لى أن أرقب الفضة بين أشجار العنب ولا أمل من هذا المنظر ولم أكن أمل من فضة البحر فى المجدل ، أعشق بحر المجدل الساطع البراق ، فلسطين يافدوى هى الجنة المشتهاة ، ذكرياتها تقيم فى الروح ، فلسطين أرض مقدسة عرفت الأنبياء ، فيها البحر الأبيض أجمل البحار فى فلسطين ، أشم عبير القداسة والغضارة ، سماء فلسطين طاهرة.
)أحب أبى الطبيعة فى فلسطين وعشقها وقال لى : الطبيعة تمنحنى الحنان الأخضر ومن يعشق الطبيعة يعشق الحرية ، فالحرية توأم الطبيعة ، ويتذكر أبى شجرة الزيتون فى القدس التى تقترب فروعها منه وتقبله وكان إسم هذه الشجرة شجرة فؤاد عباس(
أكتب ما قاله لى أبى عن حياته فى فلسطين وأتخيله الشاب اليافع الجميل ، كما أراه فى الصورة ، ذكرياتى يافدوى قريبة منى وكأنها حدثت بالأمس.
حدثنى عن ذكرياته فى الكلية العربية ، أتخيله فى الصف يجلس منصتا لأساتذته ، قال : كانت دار المعلمين نواة الكلية العربية على جبل المكبر جنوبى مدينة القدس ، نعم كانت الكلية العربية تقع على جبل المكبر ، وكانت دار المعلمين ثم الكلية العربية تقبل الطلبة المتفوقين من مدارس فلسطين الإبتدائية والثانوية ، فكان المتفوقين الذين أنهوا التعليم الإبتدائى يلتحقون بالصف الأول الثانوى فى المدرسة الرشيدية فى القدس والتى تقع خارج باب ) الساهرة ( ويمضون فى المدرسة نفسها الصف الثانى الثانوى أيضا ثم يكملون دراستهم فى الكلية العربية ، أما المثقفون المتفوقون من مدارس فلسطين الثانوية فكانوا يلتحقون بالصف الثالث ثانوى فى الكلية العربية مباشرة ، وكان النظام قبل فترة الأربعينات يسمح ويتيح لطالب الكلية الناجح فى شهادة الإجتياز إلى التعليم العالى الفلسطينى ) المتريكوليشين ( الإلتحاق بالصف الخامس الثانوى فى الكلية العربية إذا كان متفوقا وهو صف خاص بعلم التربية النظرية والعملية ، إضافة إلى بعض المواد الآخرى ، كان الطالب يدرس علم النفس وآثاره فى التربية والتعليم وإدارة الصفوف وأركان التدريس ، لاحظ معى أيها القارئ إن نظام التعليم كان متطورا فى هذه الفترة المبكرة.

32

ويتابع أبى حديثه لى : كان الأستاذ أحمد سامح الخالدى مدير الكلية ، وقد ألف كتبا فى هذه المواد ، ومن الناحية العملية كان أساتذة الكلية يدربون الصف الخامس تدريبا جيدا على التدريس فيقوم هؤلاء بالتدريس فى مدارس القدس بإشراف أساتذتهم وتوجيههم .
فى سنة ألف وتسعمائة وأربعين أستحدث نظام جديد ، فقد ألغى الصف الخامس التربوى واستعيض عنه بإشراف مدرس الكلية على تصحيح إمتحان المعلمين الأعلى للمدارس الثانوية الذى كانت تنظمه إدارة

المعارف فى فلسطين ، أما فى الكلية العربية فقد ألغى الصف الخامس ، الصف التربوى وأصبح هناك تأهيل بشهادة الإنترميديت بقسميها العلمى والأدبى فى صفين متتابعين الخامس والسادس الثانويين بعد مرحلة المتريكوليشن ، ويشترك القسمان فى دراسة التربية ، لاحظ أيها القارئ الإهتمام بالتربية والتعليم فى آن واحد ، ولقد لاحظت إهتمام مدارس الأونروا بالتربية إلى جانب التعليم حينما عملت بمدارس الأونروا فى عَمان ، كما لاحظت التطور البالغ فى النظم التعليمية فى عَمان علما بأن المفتشين الذين كانوا يشرفون على التعليم فى عَمان الكثير منهم درسوا فى فلسطين ، وقد لاحظت وعيا غير عادى فى نظام التعليم فى وقت لاحظت فى فترة السبعينيات التخلف فى المناهج العربية ، وقد حاولت تطبيق المناهج التعليمية التى درستها فى الأونروا وقد كنت أحظى بإهتمام ورضى المفتشين ، لاحظت هجوما شديدا عندما حاولت تطبيق نفس النظام ، وأجبرت فى مدارس السعودية الثانوية ، فوجئت بأن المفتشة تطلب منى إستخراج الأفكار وشرح الكلمات الصعبة بدلا من تدريب الطالبة على النقد والفهم الشامل وتوجيه الأسئلة إلى زميلاتها ، حيث تصبح العملية التعليمية نقد ممتع ، وهنا تدرب الطالبة على الإستنتاج والنقد وليس الحفظ ورص الأفكار ، فطريقة الحفظ طريقة بالية لن تفيد الطالبة ولن تعلمها التفكير والمناقشة والنقد.

ويحكى أبى : كنا ندرس اللغة العربية والإنجليزية والمنطق ، ويختص القسم الأدبى بدراسة نصوص لاتينية ، وكثيرا ماكان أبى يتغنى وينشد الشعر اللاتينى ولم أر فى حياتى أحد ينطق اللغة الإنجليزية مثل أبى ، وكان ينشد لى الشعر اللاتينى ويترجمه لى ، ودرس أبى فى الكلية العربية تاريخ اليونان والرومان وتاريخ الفلسفة ، بينما يختص القسم العلمى بدراسة الرياضيات العالية بمختلف فروعها وتاريخ العلوم ، والجدير بالملاحظة إنه فى موازاة الكلية العربية كانت المدرسة الرشيدية تنحى المنحى نفسه فى تقسيم المناهج إلى علمى وأدبى ، وكان من المعاصرين لأبى من

33

الذين يدرسون فى الكلية الرشيدية على هاشم رشيد ، وهارون هاشم رشيد ، وأحمد فرح عقيلان الفالوجى إمام المسجد الكبير فى الرياض ، وخليل إبراهيم الخطيب وغيرهم.

ويحكى لى أبى : كانت الكلية العربية فى القدس رأس هرم التعليم الفلسطينى فى فترة الحكم البريطانى عام 1918 إلى عام 1948 ، لكن يبرز سؤال طرحه أبى هل يكون رأس الهرم هذا مسخرا لإختيار النابغين من الشعب فى فلسطين كلها من أجل إعدادهم للتدريس فى مدارس فلسطين ، أم يكون رأس الهرم هو نواة جامعة حقيقية قادرة على إرساء مناخ ملائم للحرية الأكاديمية والإبداع الفكرى لتخدم هذه النواة التخصصات التى تسد حاجة الشعب الفلسطينى ولو بالتدريج ، لا أن تكون لإعداد معلمين لازمين للتعليم الإبتدائى والثانوى فقط ، هكذا كان يفكر أبى يريد لفلسطين أقصى علم ، يريد التعليم الجامعى والشامل فى مختلف التخصصات.

لاحظ معى أيها القارئ سياسة الإنتداب البريطانى لايريد للفلسطينيين تعليما عاليا حرا ، ولقد أحدث هذا الطرح جدلا فى شأن الصفوة وكان الجدل يتكرر لدى الكثير من المربيين الفلسطينيين الأوائل بعد ثورة 1939 – 1936وإنتهى بتغيير إسم هذا المعهد الشامخ من دار المعلمين إلى الكلية العربية ، نلاحظ هنا أثر الثورات على الوعى الثقافى والعلمى .

ويستطرد أبى ، قبل المسؤولون البريطانيون فى فلسطين الفكرة على مضض على أمل إستمرارهم فى التخطيط لإستراتيجيات تربوية غير واضحة المعالم للعرب فى فلسطين وذلك فى إطار تنفيذ حق الإنتداب

.

يحدثنى أبى عن مدير الكلية ، لم يكن يكلف أيا من الأساتذة القيام بأنشطة معينة بإستثناء مشاركتهم

الطلاب فى بعض المناوبات ذلك لأنه رحمه الله كان يؤثر تشجيعهم على المبادرات الذاتية ، ملاحظة لقد لاحظت إعتماد مدارس الوكالة فى عمان على المبادرات الذاتية.
يقول أبى : إلا أن الأستاذ " جورج خميس " كان مكلفا بإدارة شؤون مكتبة الكلية فى أغلب الأحيان ، وإذا عرفنا أن عدد طلاب الكلية لم يكن يتجاوز كثيرا المائة طالب ، فإنه كان من الممكن أن يرعى كل أستاذ من أساتذة الكلية عشرة طلاب ، يرعاهم رعاية أكاديمية كاملة ، ولقد لاحظت أن من تخرجوا من الكلية العربية والكلية الرشيدية هم رجال فلسطين العظماء فمعظمهم حصل على ثقافة عالمية

34

ولاحظت عمقهم الثقافى ، إنهم رجالات فلسطين وقد أينعوا وأبدعوا وكل طالب درس فى الكلية العربية أو الرشيدية قد ترك لنا مساحة فكرية شاسعة ، وصف أبى زملاءه بالذكاء الخارق والنبوغ.
كان أبى من المعجبين بأستاذه " نيقولا زيادة : " كان يقوم يا إبنتى بدور نشط فى تنظيم رحلات لنا خارج القدس ، وقد رتب لنا رحلة إلى دير القرنطل وأريحا وغور الأردن والبحر الميت وكلها رحلات خارج القدس ، ويذكر لى أبى أنه أعطاه لفافة كبيرة من الفستق ، وطلب منه أن يوزعها على زملائه ، يقول أبى : إن جمال الأرض الفلسطينية ألهانى عن حمل اللفافة وتوزيعها ، وبادرنى الدكتور زيادة بالسؤال عن اللفافة بعد أن خرجنا من الدير ولما ذكر أبى لأستاذه أن جمال الطبيعة فى فلسطين أنساه كل شئ ، قال وهو يبتسم : يافؤاد دعنا نتمتع بجمال الطبيعة ونحن نأكل الفستق.
يقول أبى عن أستاذه العظيم : أرسى الدكتور زيادة قاعدة البحث العلمى عند طلابه وكان يقلق عليهم من دراستهم الشاقة ، وكان يكتب سؤالا على السبورة مثلا ويطلب منا الإجابة عنه مع إعطائنا الحرية الكاملة فى إستخدام الكتب المقررة وغير المقررة فى أثناء الإجابة.
ملاحظة : لاحظت هذا عندما درست فى عمان هذا ما تتبعه مدارس الأونروا ولا غرابة فى ذلك فالقائمون على مدارس الأونروا قد درسوا إما فى الكلية العربية أو الرشيدية وقد أكملوا تعليمهم فى أمريكا وأوروبا ، وقد حاولت أن أطبق ذلك فى مدارس الرياض الثانوية وفوجئت بسخط شديد من المفتشة ، ومنعت عن الطالبات الإستعانة بأى مرجع والإعتماد فقط على الكتاب المدرسى وعلى طريقة الحفظ ، يقول أبى : كان الأستاذ نيقولا يشجع الطلبة على البحث عن مصادر للمادة المقررة ويشجعهم على الإستعانة بهذه المراجع ، ويشرح الأستاذ نيقولا تجربته الخاصة عندما كان الدكتور نيقولا زيادة طالبا فى دار المعلمين قبل أن يكون أستاذا فيها ، يعترف الدكتور نيقولا زيادة إنه حين دخل مكتبة دار المعلمين سلك سلوك البدوى الذى وقع فى سل التين كما يقول المثل الشعبى ، إذ لم يترك فى المكتبة كتابا واحدا إلا قرأه وقد لاحظت أن أبى مثل أستاذه كان يقرأ بنهم شديد وقد أخذت عن أبى هذه العادة الرائعة.

35

ويروى أبى عن أستاذه الدكتور نيقولا زيادة إنه تعلم النظام من الكلية العربية ، والنظام ليس عنده النهوض مع الجرس المعين ، واللجوء إلى الفراش عند إطفاء الأنوار ولكن النظام فى فهم معنى النظام لا مجرد السير بموجبه.
يقول أبى : كنا كطلاب نقوم بمراعاة أنظمة الكلية ، كنا نلتزم الإشتراك فى الأنظمة الرياضية التى كان يضع لها الخرائط اليومية ضابط الكلية " فخرى الخطيب " ولم يستثن أى طالب منها ، كذلك نلتزم بمواعيد الخروج إلى البلد وتقديم الطعام والخدمة فى غرفة الطعام بالتناوب ، ونرى معلمين يأكلون معنا بالتناوب ، وكنا نتقيد بساعتين فقط وقت الدراسة ولا أحد يستطيع أن يتخطى هذا الوقت فالمذاكرة

الإجبارية كانت محدودة بهاتين الساعتين ، وهذا نفذه أبى على ، فعندما لاحظ أبى إسرافى فى المذاكرة كان يأمرنى بعدم الإسراف على عكس الآباء ، فقد كان يلاحظ إرهاقى من المذاكرة المضنية المستمرة وزال إستغرابى عندما عرفت منه إنه يطبق قوانين الكلية العربية ، فقد كنت فى فصل المتفوقين فى مدرسة سراى القبة الثانوية فى الصف الثالث ثانوى وكان التنافس بين الطالبات شديدا.
ويخبرنى كنا نراقب إستعمال الحمامات مناوبة ونرتب فراشنا يوميا فى الصباح ، وننظف أحذيتنا ونرتب خزاننا ، نلاحظ أن الكلية العربية كانت تعلم طلابها الحياة وأسلوب الحياة ، وطريقة التعاطى مع الحياة ، إنها التربية والتعليم فى آن واحد ، ويستطرد أبى أما آداب السلوك فكانت تتم بالنسبة لهم بالممارسة الحقيقية ، والحقيقة أن أبى طبق ما تعلمه فقد كان مولعا بالنظام مما حدا بالسفير " محمد صبيح " إلى إعجابه الشديد بنظام أبى وترتيبه الرائع لكتبه ، وشده عنايته بالنظام والترتيب ، وهالنى هذا الجهد العظيم الذى يبذله فى ذلك ، هذه العقلية المحبة للنظام والترتيب ساهمت إلى حد بعيد فى كتابته لثلاثين جزءا من موسوعة بيت المقدس التى طبع منها تسعة أجزاء وسرقت الأجزاء الواحد والعشرين أثناء إنشغالنا بدفنه وقد سبب لى ذلك ألما كبيرا ، فأبى رحمه الله كان دائما يراقب موسوعته ويخاف عليها وكأن حدسه كان يتوقع سرقتها وقد حدث ماتوقعه أبى ، سمعت الكثير عن أبى من أصدقاءه الأوفياء كصديقه العظيم " محمد صبيح " والقرعى الذى كتب كثيرا عن موسوعة أبى ، جزاه الله كل خير ، أصدقاء أبى كثيرون جدا، ومنهم الناقد العظيم الدكتور مدحت الجيار ، والدكتور المبدع محمد جبريل .
درب أبى بعد 67 جنود فلسطين تدريبا عسكريا وسياسيا ، وكان أبى يقول لى لقد تحول الفلسطينى من لاجئ إلى مقاوم ، ما أجمل الفدائى الفلسطينى وهو يحمل بارودته ، إنه يشبه الفلاح الذى يحمل فأسه كلاهما يعشق الكفاح.

36

كان أبى يعشق الصحو ويعشق الصباح ، يستيقظ فى الفجر ويشرب قهوته فى الشرفة ، وكان يقدس عمله فى منظمة التحرير الفلسطينية وكان يحب كثيرا أصدقائه فى المنظمة ، وحافظ على خطه السياسى.
كان يحمل هموم أولاده ويحمل هموم أصدقائه ويتقبل هذه الهموم ، ويتقبل حتى أخطائهم ، كان أبى بالمجدل مسقط رأسه فى فلسطين وما كان يلتف حولها من قرى مجاورة مثل الجورة ونعاليا والخصاص وحمامة وأسدود والبطانى وبيت دراس ، وبربرة ، والسوافيرات الشرقية والغربية ، والفالوجا وغيرها.
كان أبى يعشق المزارات التى هى من منبع المأثورات الشعبية ، سواء كانت هذه المأثورات مساجد أو أضرحة أو أشجارا أو كهوفا أو ينابيع ، سواء كانت هذه المأثورات مساجد أو آبار أو صحف ، كلها ذات طابع خاص ، وتقام حولها الإحتفالات أو الأذكار أو الموالد الموسمية والدورية واليومية ، وما ينسج حولها من حكايات وتعبيرات شعبية تفسر ظواهر معينة ، ومايعمل من حجابات المشايخ بهدف إستجلاب البركة ، وطلب العلاج الشعبى وغير ذلك من الملامح الفولكلورية فى بلادنا الحبيبة فلسطين
حدثنى أبى عن صخرة الخضرا فى قرية الجورة بعسقلان ، وهى تنحدر بهوة رأسية صوب البحر ، وتنبسط جهة البر على الطرف الشرقى بكثبان رملية محاطة بشجر التين المعروف بحلاوته ، ويعتبر موقعها كما يقول أبى من أجمل المواقع فى عسقلان ، وعسقلان تصلح لأن تكون مصيفا ، وكان أهل المنطقة يعتبرون صخرة الخضرا مكانا مباركا ، ويأتى الشباب لقضاء العطلة الأسبوعية عندها أحيانا و يتناولون الطعام الذى جلبوه معهم.
ويأتى الشيوخ والنسوة والصبيان يلهجون بذكر الله سبحانه وتعالى من فوق صخرة الخضرا إذا تأخر

البحارة من أهل الجورة فى عرض البحر وهم يصطادون السمك إذا كان هناك نو واشتد فى عرض البحر ، واشتدت الرياح وأشرفوا على الغرق.
وكان حديث أبى عن المجدل لوحات سرعان ما تتشكل صخرة المجدل فى ذهنى وأدعو الله أن تعود لى فلسطين وأرى المجدل وأرى صخرة الخضرا التى يحكى لى أبى عنها.

37

أما مزار الشيخ عوض الذى يحبه أبى كثيرا فله قصة معه ، مزار الشيخ عوض ضريح لأحد أولياء الله الصالحين ، وعرف بإسم الشيخ عوض وبنى حول الضريح مسجد الصالحين ، ويتوافد أهل المنطقة إلى هذا الضريح خلال السنة وخاصة بعد ) براءة أيوب ( أى بعد موسم وادى النمل ، ووادى النمل هو منبسط رملى تحفه وتتخلله أشجار التوت والجميز والتين فى الغالب ، ويعتبر جزءا من أرض عسقلان وفيه كان يقام موسم وادى النمل ، ويقال أنه أحد المواسم التى توارث ضرورة إقامتها سنويا فى أول الربيع ، توارثها الخلف عن السلف من الحروب الصليبية ، وذلك من أجل الإعداد لدفع العدو عن غزو البلاد ، وقبل زمن صلاح الدين.
أما الشيخ عوض فهو مزار يفد إليه الناس خصوصا بعد فترة موسم وادى النمل ، ويذبحون عنده النذور ويكتفون بذكر إسم الله عند ذبحها ويقرأون الفاتحة للشيخ عوض ، ويصلون هناك ويقيمون بعض الأذكار والأهازيج ، ويرقصون الدبكة ويستحمون فى البحر الذى يشرف على المزار مباشرة ، وعلى صخرة بقرب الضريح بئر يستقى منها الناس.
وفى موسم وادى النمل يومان يوم يسمى ) براءة أيوب ( يغسل منه الفلاحون الإبل المصابة بمرض الجرب فى مياه البحر ، إعتقادا منهم أن مياه البحر تشفى الإبل فى هذا اليوم ، كما يخرج الناس زمرا وجماعات للإحتفال على شاطئ البحر فى جورة عسقلان ، والذين يأتون للمشاركة فى إحتفالات الموسم أهل المجدل وقراها وأهل يافا والرملة والقدس والخليل وقراها ، وشبيهة بالموسم موسم النبى صالح ، وموسم النبى روبين ، وموسم النبى موسى ، وجميعها تقام إحتفالاتها فى موسم الربيع ، إلا موسم روبين فكان يقام فى الصيف.
وفى اليوم الثانى لبراءة أيوب على شاطئ الجورة ينتقل الموسم إلى منطقة آخرى تحف بوادى النمل ، وهو أرض مكشوفة تتخللها وتحيط بها الأشجار القريبة من

38

ضريح سيدنا الحسين بن على رضى الله عنه ، ويقال أن الذين حملوا رأس الشهيد الحسين بن على بعد مأساة كربلاء كانوا قد طافوا به فى بر الشام وإنهم مروا بهذه البقعة من أرض عسقلان واستراحوا هناك فترة من الوقت فأقيم الضريح فى المكان ، وقيل إن قطرات من الدم الجاف ظلت فى المكان ، وقيل بل دفن الحسين هناك.
وكان الإحتفال يبدأ من مدينة المجدل ، وتهيؤه لجنة جماهيرية من سواد الشعب والمثقفين ويحمل رئيس اللجنة علم سيدنا الحسين ، ويحمل مندوب من شباب المجدل والمنطقة علم فلسطين العربية يرفرف قريبا من علم الحسين ، وتسير أفواج الكشافة والأشبال حول رئيس اللجنة الذى غالبا مايكون من رجال الدين ويركب على حصان أو بغل وخلفه مواكب أهل الذكر والدراويش والمتصوفة يحملون أعلامهم ويدقون طبولهم ، ويحدون بأدعيتهم وصلواتهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن خلفهم الشباب ، وطلاب المدارس ، مدرسة المجدل ومدارس قراها يهتفون ويهزجون بالأناشيد ،

ويهتفون فلسطين حرة عربية ، وكانت فرقة كشافة الشباب هى فرقة ) صقر قريش ( وهى من الفرق الكشفية اللامعة فى فلسطين ، إشتركت فى أغلب مظاهرات فلسطين كما إشتركت فى معظم إحتفالاتها الوطنية ، وقال لى أبى : كان يرأس الفرقة ) رشيد الخطيب ( ومن أعضائها ) محيى الدين داوود ( و ) إبراهيم شمعة ( و ) منير شبلاق ( و ) إبراهيم شاتيلا ( وغيرهم أما فرقة الأشبال فقد وضع جذورها ) مخلص عمرو ( ثم ) عبدالكريم أبو دف ( ومن الذين رأسوا فصائلها وهم أطفال ) محمود نجم ( وأبى ) فؤاد عباس. (

آه يا أبى إحك فالوطن يحيا بالحكى ، إنك يا أبى تحفظ وطنك رملة رملة ، إلى هذا الحد عشقت وطنك ؟ نعم يافدوى وكل فلسطينى يعشق وطنه ، ولا يمكن أن ينساه ، فلسطين لا تنسى يافدوى.

الصهاينة يراهنون على أن الآباء يموتون والأبناء ينسون ، إنهم مخطئون ، فلسطين فيها أمثالك يا أبى من الذين يحفظون الوطن شبرا شبرا لايمكن أن ينسوا ، نعم يافدوى فلسطين لن تضيع ، ولا يظن الصهاينة أنهم سيمكثون فى فلسطين ستين عاما آخرى فهذا محال ، هم يعرفون أن مايفعلوه خرافات وأساطير كاذبة.

أجل يا إبنتى كانت فرقة الكشافة تردد أناشيد وطنية ، عرف منها قبل نهاية الإنتداب مباشرة النشيد المعروف الذى يقول:

"شبوا على الخصم اللدود نار الوغى ذات الوقود

39

نحن الألى فتحوا البلاد وأتت لنا كل العباد

يا أيها العرب الكرام إلى متى أنتم نيام

قوموا إلى الموت الزؤام وامشوا له مشى الأسود"

ونشيد آخر:

"نحن خواضوا غمار الموت كاشفوا المحن

نبذل الأرواح نفديها لإحياء الوطن

هل سوى الأرواح للأوطان فى الدنيا ثمن"

ونشيد آخر:

"نحن جند الله شبان البلاد نكره الذل ونأبى الإضطهاد

فارفعوا الأعلام وامشوا فى البلاد حيث أعدائنا تمادوا فى الغرور"

ونشيد آخر :

"يا ليوث الوغى خصمنا قد طغى

فلنمت كلنا فى سبيل الوطن"

ونشيد آخر:

"سيروا للمجد طرا سيروا للحرب واستعيدوا بالمواضى دولة العرب"

ونشيد آخر أحبه وأغنيه كثيرا مع أبى وأمى:

"بلادُ العُرب أوطاني منَ الشّامِ لبيسانِ

ومن نجدٍ إلى يَمَنٍ إلى مِصرَ فتطوانِ

فلا أحدٌ يفرقنا لنا دينٌ يوحدنا

لسان الضَّادِ يجمعُنا بقحطانٍ وعدنانِ"

40

كان أبى ينشد هذه الأناشيد وأمى ترددها معه وبدورى أنشدها معهما ، أما نشيد موطنى فحين كنت أنشده معهما أمسح دموعى وأشعر بجسدى وروحى ملكا لفلسطين ، النشيد يقول:

"موطنى موطنى
الجلال والجمال والسناء والبهاء فى رباك
والحياة والنجاة والهناء والرجاء فى هواك
هل أراك
سالما منعما وغانما مكرما
هل أراك فى علاك قاهرا عداك"

وتبكى عيناى يا أبى حين نغنى هذا النشيد ويبكى قلبى وأسأل نفسى هل سأراكى يا فلسطين ؟ والآن يا أبى أردد النشيد مع أمى ، وأدعو لها بطول العمر وأخالك تغنى معنا ، وتخفق فلسطين فى قلبى.

ويستمر أبى يحكى وكانت الأشبال تنشد ما تنشده " صقر قريش " النشيد الذى يقول:

"بادروا للعمل دون خوف أو وجل
هدنا داء الكسل والشعوب تحيا بالعمل
لاشئ كالعمل ينعش الهمم
هيا هيا
نفلح الأرض ونزرع ذاك للبلدان أنفع
هيا هيا فالشعوب تحيا بالعمل
بادروا للعمل"

يحكى لى أبى وآراه وكأنه يعيش فى مكان آخر إنه ليس معى ، إنه فى حضن الوطن الحبيب ، هكذا يحكى لى ويصف لى الإحتفال وتمر يا إبنتى مواكب الإحتفال بمقبرة المجدل ثم تخترق شارعا يوصل المجدل بجورة عسقلان إلى أن تصل المواكب أرض وادى النمل ، فيقبل الناس هناك ويسرحون ويمرحون ، ويرقصون الدبكة ، ويلعبون ويأكلون المرطبات وصنوف الأطعمة ، ويطلقون الرصاص وهم يهللون ويكبرون ويذكرون وطنهم الغالى فلسطين ويرتبون أمر مظاهراتهم ورفضهم لمشاريع الإنتداب والصهيونية ، وترتيبات المندوب السامى البريطانى.

41

بعد أن تتداول مجالسهم الشعبية هذه الأمور تعود المواكب لتصطف بإنتظام ، وتعود الطبول تدق وتعود الرايات تخفق لتمر من وادى النمل إلى حيث مزار سيدنا الحسين بن على رضى الله عنه وفى ساحة الحسين يقام إحتفال آخر قرب الظهر ، ويرقص الناس رقصة الدبكة ، ويتبارى الخيالة الفرسان على ظهور خيولهم ، وقلما كانت تحدث مشاحنات بسبب المباريات وأحيانا تنتهى بشجار عائلى مؤسف ، ولكن كثيرا ماكانت الجماهير تثبت أنها فوق هذه الظاهرة ، وأقوى منها ، ثم تخرج المواكب بعد ذلك بعد صلاة العصر لتعود إلى مدينة المجدل ، ويقوم أهل المجدل بحق زيارة الوافدين من المدن والقرى الآخرى ويشترى الأهالى والوافدون النقل والحلويات ، ويسمون النقل نقل وادى النمل ، النقل هى المكسرات وهى خليط من اللوز والجوز والبندق والفستق والملبس والشيكولاتة والزبيب والتمر والحلاوة الطحينية البيضاء والحلاوة الجوزية التى بداخلها الجوز والقرعية المصنوعة من القرع وهى

مستوردة من دمشق الشام غالبا ، أما النقل ) المكسرات ( فبعضه من إنتاج فلسطين وبعضه مستورد.
ومن المزارات فى فلسطين فى المجدل الحبيبة ) ضريح الشيخ العجمى ( فى قلب المدينة وفى الحارة الغربية من البلد ، وقد اهتم أهل الحارة الغربية من آل عباس والحلالقة والعوضية والهندى والزناتى وغيرهم بأمر الضريح الذى يقع فى حارتهم ، فبنوا حوله مقاما واسعا يؤمه بعض الغرباء ، وقد تعهدوا بإطعامهم ، وعند مفرق من مفارق الطرق بين المجدل وقرية نعاليا ، حيث توجد بعض الطرق التى أنشئت زمن احتلال الرومان لفلسطين أى بعد الفترة الهيللينية ، يوجد مكان يفد إليه بدو المنطقة بعد الغروب لإشعال سراب خافت النور يضئ وينطفئ ثم يعود فيضئ ، وتقوم النساء البدويات عنده بطلباتهن وأدعيتهم ويعدن بنذورهن.
ويستعملن الحضريات والبدويات طاسة الرجفة لعلاج الأمراض العصبية والنفسية ، وهى طاسة يدعى إن من شرب منها يشفى ، ومن المزارات مجموعة من الآبار المهجورة فى المنطقة يقال بعضها فيه أرواح خيرة ، وبعضها فيه أرواح شريرة ، ويهاب الناس الوصول إلى مواقعها ليلا ، ولكنهم حطموا كل الحواجز فى العهد الأخير من الإنتداب البريطانى ، عندما كانوا يتدربون على الكفاح المسلح حولها وحول غيرها من الأرض ليلا ونهارا.
ومن المزارات فى قرية نعليا قرب المجدل مسجد الأربعين ويقال أن فيه مدفن أربعين من الشهداء زمن صلاح الدين الأيوبى ، ومزار الست نعيمة وهو لايعدو

42

كونه كومة من الرمل فوق بعض الشجيرات ، ويأتى إلى الموقع غالبا السيدات دون الرجال لقراءة الفاتحة والدعاء إلى الله بإرجاع غائب أو شفاء مريض أو ماشابه ذلك تماما كما يفعل المصريون عند السيدة زينب.
وينظر الفلاح الفلسطينى نظرة التشكك فى هذه الأشياء إلا أنه بدافع من غريزة حب الأرض وطلبا لوفرة المحاصيل وحفظها سالمة يطلب البركة من المزارات.
أقول لك يا إبنتى إن الإرث الروحى قد اختلط بالتركة الوطنية وانصهرا معا فى بوتقة واحدة زمن الإنتداب البريطانى على بلادنا فلسطين ، ويستطرد أبى فى تحليله لتلك الإحتفالات فيذكر أن الإحتفال بموسم النبى موسى فى القدس ماينبئ عن إمتزاج أكثر من تراث واحد.
مثلا أولا التراث أو تراث الطقوس الوثنية الذى ينبع من الإحتفال بفصل الربيع وتجدد الحياة وما يتبع ذلك من مراسيم الربيع القديمة العتيقة منذ العهود الكنعانية القديمة ، فهو عيد الطبيعة والناس وتشارك الأرض نفسها الناس مما تقدم من أزهار الربيع البرية من مختلف الأصناف والألوان.
كما يعكس الفلاح الفلسطينى هذه المشاركة بمزماره ذى القصبتين الذى يبعث موسيقى بديعة.
ثانيا التراث العربى بما فيه من صراع بين القيسية واليمنية ويتنفس فيه فى المواسم الشعبية بأساليب التنافس المختلفة كسباق الخيل ومبارزة السيف وتطقيش البيض ، وتصعيد الحشود المتنافسة كما فى مواكب نابلس والخليل والنبى موسى ، ومواكب اللد والرملة فى النبى صالح.
ثالثا التراب الإسلامى العام من تفضيل تقديس حج مكة بزيارة بيت المقدس فى هذا الموسم ، وكما يتوقع أهالى الحجاج وأصدقاؤهم هدايا الحجاج الآتية من القدس مثل الملبن ، ملبن الخليل المصنوع من العنب والمحشو بالصنوبر وعين الجمل ، كذلك غويشات البنات وخواتم الصبيان وسبح الرجال.
رابعا تراث عصر صلاح الدين الأيوبى وما اختص من حتمية الإعداد للحفاظ على عروبة فلسطين فيجئ موسم النبى موسى مع موعد الإحتفالات النصرانية ) أحد الشعانين وما يتلوه حيث يتقاطر المسيحيون أيضا من جميع أنحاء العالم فى الوقت نفسه. (

خامسا تراث العصر العثمانى إذ اهتم المسلمون بجعل موسم النبى موسى فى أواسط القرن الماضى يوازى بحشوده حشود الحجاج المسيحيين.
سادسا تراث عصر الإنتداب البريطانى وفيه أصبح الإعداد لمقاومة الصهيونية وحليفها الإستعمار البريطانى جزءا لا يتجزأ من طبيعة الموسم بل أنه كان بالفعل يتحول أحيانا من إحتفال شعبى شبه دينى إلى مظاهرة وطنية مقاتلة.
ومن ذلك ماحصل فى موسم عام 1920 فقد هتف المحتفلون بالموسم ضد الصهيونية والإستعمار وسرعان ما انقلب الإحتفال إلى مظاهرة مقاتلة وحدث إحتكاك بين العرب والصهاينة تطور إلى اشتباك دموى ، وحمى البوليس البريطانى الصهاينة من مذبحة كبيرة ، واستطاع البوليس أن يجعل الإشتباك محدود النطاق.
إذن يا أبى الفلسطينيون لم يكن يغفلوا عن الخطر المتربص بهم ، وكما تحمى الآن أمريكا الصهيونية كانت انجلترا تحمى الصهاينة ، أتصور يا أبى لو لم تكن هناك إسرائيل لجاءت أمريكا أو انجلترا لإحتلال فلسطين إحتلالا دائما كما هو حاصل ، نعم يا إبنتى فالهدف من وجود إسرائيل فى عالمنا العربى خطة أوروبية غربية مدروسة ، إنها موجهة ضد العرب.
إكمل يا أبى حديث المواسم ، كما حكيت لك يا إبنتى كان موسم النبى موسى يبدأ فى العادة قبل أحد الشعانين بزفة الأعلام الصوفية من كل جهة فى القدس ومن بعض قراها ، وتستقبل الطرق الصوفية بعضها البعض فى هذا اليوم ، واليوم الذى يليه بقرع الطبول وبحركات وجدية صوفية كأنها تتبادل التحيات ، وخلال ذلك يتوافد أهل نابلس لإستقبال أعلام الخليل ، ودخول موكب نابلس من باب العمود إلى الحرم ومنه يكون الخروج من باب ستنا مريم منحدرا إلى رأس العمود ، وأهل الخليل يتجمعون يوم السبت عند دير مار إلياس على مسافة أربعة كيلو مترات جنوبى القدس ، وفى الصباح يدخل الموكب القدس من باب الخليل (4) وتلتقى الوفود كلها فى الحرم ثم تبدأ مسيرتها بالدواب والسيارات إلى مزار النبى موسى ويبعد ستة وثلاثين كيلو مترا عن القدس.

44

تكلم يا أبى فعندما يتكلم أبى تتكلم فلسطين ، فقد خرج فكر أبى من عباءة الوطن وحمل شذى فلسطين ، فقد استقى عناصر ثقافته ولغته من فلسطين الحبيبة ففلسطين منبع إلهامه العميق .
ويحكى أبى فالحكي عن المواسم من الأحاديث التى يعشقها أبى لأنه يندمج كثيرا فى ذكرياته الحميمية التى لاتغادره ، يقول : كان موسم النبى موسى يبدأ فى العادة قبل أحد الشعانين بزفة الأعلام الصوفية فى هذا اليوم وتستقبل الطرق الصوفية بعضها البعض فى هذا اليوم ، واليوم الذى يليه بقرع الطبول وبحركات وجدية صوفية كأنها تتبادل التحيات ، وخلال ذلك يتوافد أهل نابلس لإستقبال أعلام الخليل ، ودخول موكب نابلس من باب العمود إلى الحرم ومنه يكون الخروج من باب ستنا مريم منحدرا إلى رأس العمود ، وأهل الخليل يتجمعون يوم السبت عند دير مار إلياس على مسافة أربعة كيلو مترات جنوبى القدس ، وفى الصباح يدخل الموكب القدس من باب الخليل (4) وتلتقى الوفود كلها فى الحرم ثم تبدأ مسيرتها بالدواب والسيارات إلى مزار النبى موسى ويبعد ستة وثلاثين كيلو مترا عن القدس ، ويفضل البعض الدواب على السيارات طلبا لمزيد من المثوبة لأن الزيارة فى نظرهم تقديس للحجة إلى البيت الحرام فى مكة ، ويحدث عند إلتقاء الوفود فترة استقرار محدودة فى الشوارع وقرب الحرم والقلعة ، فتبدأ مباريات السيوف وتسمعين يا إبنتى الأناشيد والأهازيج والأغانى وأغلبها أناشيد وطنية ، وبعضها أهازيج مثل الخليل عروس مزينة ومزينة برجالها وتردد النساء أهازيجهن:

العرس ماهو فرحة ولا طهور الصبيان

مافرحة إلا زيارة موسى عليه الصلاة والسلام
لولاك ياموسى ماجينا ولاتعبنا ولاتغنينا
ولا دهسنا الحصى ولا الرمل بإجرينا

وفى مزار النبى موسى يقيم الزائرون يومين وربما أكثر ليعودوا إلى القدس على الدواب أو بالسيارت ، حيث تتكرر مظاهرات المواكب مرة آخرى وحيث يودع موكب نابلس العائد إلى بلده فى اليوم الثانى من الوصول من مزار النبى موسى ، وكذلك يودع موكب الخليل فى اليوم الثالث ، وهكذا يكون الإحتفال بموسم النبى موسى لمدة ثمانية أيام تبدأ قبل أحد الشعانين عند الطوائف الشرقية المسيحية وتنتهى يوم الجمعة الحزينة.

45

ومادمت قد ذكرت لك يا إبنتى بوابات القدس ودخول الوفود إليها وخروجهم منها فى موسم النبى موسى فلابد من الإشارة إلى بعض أساطير وأمثولات شهدتها بعض الأبواب القدسية ، وقد ذكر التاريخ أن العرب اليبوسيين هم أول من أحاط القدس بالسور ، ومما قيل عن بوابات القدس ماتراه بعض المعتقدات من أن القدس هى قلب العالم أى مركز العالم ، وترتب على ذلك أن يكون للقدس ذاتها قلب أو مركز ، وقيل أن مركز القدس هو كرة بيضاء فى كنيسة القيامة ، يطلقون عليه باللغة العامية ) نص العالم ( وقيل أن الصخرة الشريفة هى المركز ، أما المذهب الثالث فيعتبر باب العمود هو مركز القدس ، وتقول الأساطير إن خلق العالم بدأ عند باب العمود.

وفى العصر الرومانى أنشئ عند الباب داخل السور عمود كان الرومان يقيسون إبتداء منه المسافة التى تفصل القدس عن بقية المدن التى تحيط بها ، ومع أن هذا العمود قد اختفى منذ قرون عديدة ، فإن العرب ربطوا الباب به حين أطلقوا عليه إسم باب العمود.

ويقول البروتستانت أن السيد المسيح سار عبر هذا الباب حاملا صليبه إلى خارج الأسوار ، وقيل أن القديس ) أسطفان ( رجم حتى الموت فى ذلك المكان سنة 39 م.

ومن ذكريات أبى فى الكلية العربية يقول والدى : كانت دار المعلمين نواة الكلية العربية فى القدس وبعد إضراب 1936 تم تشييد مبنى الكلية العربية على جبل المكبر جنوبى المدينة ، ويحكى لى أبى تاريخ حياته.

ولد أبى فى مجدل عسقلان بفلسطين عام 1924 وهى بلدة تسودها بيئة المزارات التراثية بالإضافة إلى شهرتها بالزراعة والتجارة وصناعة النسيج الشعبى ، ومعروف أن المزار فى موروث العادات والمعتقدات الشعبية إما أن يكون مقاما لشيخ أو ولى أو مشهدا أو ضريحا أو زاوية أو خرائب أو أسوارا وآثارا أو مسجدا أثريا أو بئرا مهجورا أو صخرة مباركة على شاطئ البحر أو شجرة يتيمن الناس بها حولها إستراحة كانت لولى من أولياء الله أو تحتها قبره ، وكما يقول أبى رحمه الله كان داخل البلدة ضريح الشيخ ظلام ، وزاوية الشيخ العجمى ، وضريح الشيخ شاكر ، وزاوية الشيخ التميمى ، وزاوية الشيخ أبوشوش وضريح الشيخ محمد الأنصارى ، هذا بالإضافة إلى مقام الشيخ عوض على شاطئ البحر غربى البلدة ، وفى خارج البلدة وعلى بعد أقل من كيلو متر تقع خرائب عسقلان وآثارها وسورها المهدم وعلى أرض عسقلان وادى النمل الذى ذكر فى القرآن.

46

ويحكى لى أبى عن الإنتداب البريطانى النصاب الذى نصب على العرب يحكى لى ذلك من خلال صندوق العجب .

ومشهد سيدنا الحسين بن على عليهما السلام ، وفى كثبان قرية نعليا قرب البلدة بئرا مهجورة تضم

بعض الشهداء ، وكذلك مسجد الأربعين شهيدا الأثرى وهو مهجور ، وضريح السيدة نعيمة المدفون تحت الرمال ، والذى تعلوه شجيرة شوك متفرعة ، وعلى شاطئ جورة عسقلان من قرى المجدل تقع صخرة الخضرا المقدسة التى يتبارك بها ويتفاءل البحارة قبل خروجهم للصيد فى عرض البحر.
وحصيلة المزارات كانت بلا شك اختلاط وتجمع ألوان وعناصر الموروث الشعبى فى المناسبات وغيرها ، وفى المواسم الشعبية يروى لى أبى إنه تمتع منذ نعومة أظفاره بأحاديث الحكواتى وشاعر الربابة فى المقهى الكبير بالبلدة.
ويحكى لى أبى إحك لى يا أبى المجدل إحكيها لى يا أبى ويبكى قلبى على وطنى ، يحكى لى أبى عن ) صندوق العجب ( فى الأزقة والحارات من خلال السيرة والصورة العنصرين الأساسيين فى صندوق العجب ، ويحكى لى أبى إنه تعرف على مغامرات اللصين الفلسطينيين الشريفين ) أبى جلدة ( ورفيقه ) العرميط ( الذين نددا بالإنتداب البريطانى النصاب الذى نصب على العرب بعد إبرامه معهم إتفاقية ) مكماهون ( كما ندد بالصهيونية التى سرقت أرضنا ثم خططت مع الإنتداب لسرقة وطننا ، بالإضافة إلى أمر الحكواتى الذى حكى لى أبى عنه ، وصاحب صندوق العجب حكى لى أبى كيف أنه تمتع برقصة الدبكة وسباق الخيل فى المجدل ، وحكى لى أبى إنه كان دائما يحتفظ بحصان له فى المنزل والحصان فى حديقة المنزل مربوط وحكى لى أبى كيف أنه كان يحتفل بزفة علم سيدنا الحسين ، ووادى النمل فى فصل الربيع وكان يردد أناشيد الكشافة مع فرقة الكشافة ، وفرقة أشبال الكشافة.
يقول لى أبى : لقد رأيت بعينى وشاهدت بقلبى وعقلى كيف تمارس عاداتنا وتقاليدنا يافدوى وكيف تنمو وتتبلور ولاتموت أبدا ، هذه العادات يافدوى تصبح مع التاريخ معتقداتنا وأوابدنا.
ويحكى لى أبى كانت ولادتى فى المجدل من أب فلسطينى هو إبراهيم عباس تنيرة ، وأم فلسطينية من أصل لبنانى هى أسماء سليم الحوت ، وكان جدى الشيخ عباس محمد تنيرة عميدا لحمولته فى المجدل التى اشتهرت بالتجارة وتملك الأرض وأكدت شخصية الشيخ عباس القوية.

## شخصية الشيخ عباس القوية

47

شخصية الشيخ عباس القوية غلبت الإسم عباس على أبناءه وأحفاده ، كان الشيخ عباس وسليم الحوت تربطهما أواصر مودة بالمرحوم عمر البيطار رئيس بلدية يافا آنذاك وعلى يديه كما يقول أبى تزوج أبى من أمى.

ويحكى لى أبى كانت حمولتنا تتألف من بطنين تنيرة والحلاق وهما من جذر واحد هو سلامة وكما يروى أبى أرانا الدكتور رفعت عودة وهو واحد من أبناء عمومتنا الإسم سلامة فى شجرة العائلة فى البطنين وفى ثلاثة بطون آخرى خارج المجدل عسقلان وهى فى مصر عائلة) الأزهرى (وفى قرية بديا فى مدينة نابلس عائلة) عودة (وفى مدينة أربد عائلة) الشرع (ويحكى أبى ، قال لى صادق الشرع العميد فى الجيش العربى الأردنى فى كتابه ) مذكرات جندى ( يقول صادق : كان جدى ، أى جد العميد صادق القاضى الشرعى فى أربد ، ومن هنا جاءت تسمية الشرع لفرع العائلة فى أربد ، وهو المرحوم موسى بن سلامة بن موسى بن سلامة بن موسى ، وسلامة الأول جاء ومعه شقيقه وابن شقيقه من الطائف فى الحجاز إلى مصر قبل نحو أربعمائة سنة وأقاموا فى الشرقية ، واستوطن شقيقه عبدالسلام هناك وأحفاده الآن عائلة الأزهرى ، ثم ارتحل هو وابن شقيقه محمد إلى مجدل عسقلان فى جنوبى فلسطين واستوطنا فيها وأحفادهما الآن هم عائلتنا ، تنيرة والحلاق وعميدهما إبراهيم عباس ، وقد ذهب فرع سلامة وأقام فى قرية بديا قضاء جماعين فى منطقة نابلس ، أما جدى القاضى الشرعى فقد استوطن) حوارة (التابعة لمنطقة أربد بشرقى الأردن ) مذكرات جندى ( العميد صادق الشرع – عمان 1983 .

ويحكى لى أبى كيف أنه بدأ دراسته الإبتدائية فى مدرسة المجدل الإبتدائية ، وكانت تضم معلمين مرموقين منهم ناظر المدرسة عبدالله الخطيب ، ومنهم مخلص عمرو ومحمد هيكل ، وصانب الناظر والشيخ عايش أبوالوفا ، ومحمد برزق ، وشريف برزق وأكرم العلمى وغيرهم.

وحكى لى أبى أنه إلتحق بالمدرسة العامرية الثانوية بيافا ، ويحكى لى أبى أنه أقام فى بيت جده سليم الحوت ) مختار المنشية ( من عام 1918 حتى عام 1948 ، ويحكى لى أبى أنه درس فى المدرسة العامرية صفوة من رجال التربية والتعليم منهم الأستاذ رفيق التميمى ناظر المدرسة ، والأساتذة أديب خورى ، إبراهيم مطر ، رضا الإيرانى ، عبدالهادى جرار ، وغيرهم.

48

ويحدثنى أبى إنه انتقل إلى الكلية العربية فى القدس وتخرج منها عام 1943 وكان يديرها أحمد سامح الخالدى ومن أساتذتها آنذاك حبيب الخورى والدكتور اسحق موسى الحسينى ، سليم كاتول ، الدكتور محمد الحاج مير والدكتور جورج حورانى وعبدالرحمن بشناق وجورج خميس ، والدكتور نيقولا زيادة ، ومحمد عبدالسلام البرغوثى وجميل على ، وحصل أبى على مؤهل المعلمين الأعلى فى عام 1947 متخصصا فى اللغة العربية وآدابها وعلم التربية ، وحكى لى أبى إن الذين يحملون هذا المؤهل التربوى من المعلمين الفلسطينيين الذين هم على قيد الحياة قليلون جدا الآن.

وحصل أبى على دبلوم الدراسات الإسلامية سنة 1978 وكان أبى زميلى فى المعهد الإسلامى وحصلت مثله على هذا الدبلوم.

وكان الدكتور رفعت المحجوب يقول لأبى : خف على فدوى شوية حرام عليك ، رحمهما الله ، ولم أكن

قد تزوجت.
ويحكى لى أبى أنه زاول مهنة التدريس وآخر موقع عمل فيه فى فلسطين كانت مدرسة المجدل الثانوية إلى أن حلت سنة النكبة 1948 ويحكى لى أبى كيف أصيب بجرح كبير فى فخذه إثر غارة جوية للعدو بينما كان يمارس واجبه فى توزيع الطعام على أهل المجدل.
ويحكى لى أبى كيف اضطره الجرح إلى الهجرة إلى مصر مع الأسرة ليتم علاجه فى مصر ، حيث بقينا يا إبنتى لاجئين.
وعمل أبى مدرسا فى المملكة العربية السعودية من عام 1956 حتى عام 1964 حيث زاول أبى التدريس فى مدارس السعودية الثانوية والمتوسطة ، وفى عام 1965 كان أبى من أوائل الذين التحقوا بإذاعة صوت فلسطين صوت منظمة التحرير الفلسطينية بالقاهرة ، هكذا انتقل أبى من مهنة التدريس إلى مهنة الكتابة.
وكان أبى يمارس الكتابة الصحفية فى السعودية وكان أحد محررى الأدب فى صحيفة البلاد السعودية.
وقد اتخذت الكتابة عند أبى أربعة محاور ، المحور الأول : الكتابة لإذاعة صوت فلسطين حيث مارس كتابة وإعداد برامج إذاعية كثيرة مثل خاطرة الصباح – جسر

49

اللقاء – أحياء عند ربهم – مع المجلات – تحت الضوء – أوراق فلسطينية – سجل الخلود وغيرها ، بالإضافة إلى التحليلات والمطالعات السياسية.
المحور الثانى : الكتابة فى السياسة والقضية الفلسطينية حيث قدمه المرحوم الأستاذ يوسف السباعى إلى مجلة) الكاتب (القاهرية فكان يكتب الدراسة السياسية الرئيسية فيها وغالبا كانت عن القضية الفلسطينية وذلك فى الأعوام من 1975 حتى نهاية 1977 هذا بالإضافة إلى كتابته الكثير من الدراسات عن القضية الفلسطينية فى مجلة ) آفاق عربية ( وهى مجلة عراقية وبعض مجلات الثورة الفلسطينية
المحور الثالث : الكتابة فى التراث الشعبى الفلسطينى وخاصة فى مجلة ) التراث الشعبى ( العراقية حيث كتب أبى العديد من الدراسات ، وقد اشترك أبى فى ندوة الفولكلور الأولى المنعقدة فى بغداد فى عام 1977وفى عام 1985 ، دفع أبى إلى المطبعة بأول كتاب هو ) مدخل إلى الفولكلور الفلسطينى ( الذى نشرته دار الموقف العربى بالقاهرة.
المحور الرابع : الكتابة فى الإعلام التنموى وقد اشترك أبى فى الدورة التدريبية السادسة للمركز العربى للدراسات الإعلامية للسكان والتنمية والتعمير المنعقدة فى طرابلس بليبيا فى يونيو / حزيران سنة 1976، وكان يشرف على المركز عبدالمنعم الصاوى ، والزبير سيف الإسلام ، وكان أبى ينشر فى مجلة المركز التى تصدر فى القاهرة.
لكن واصل أبى نشاطه فى كتابات عن الفولكلور الفلسطينى وأصدر العديد من الكتب والدراسات حرصا منه على حفظ التراث الفلسطينى ، ومنح أبى جل وقته واهتمامه لموسوعة بيت المقدس التى كتب فيها ثلاثين جزءا طبع منها تسعة أجزاء وسرق واحد وعشرين جزءا ، والمحزن أن سرقة الموسوعة تمت أثناء الإنشغال بدفنه مما أحزننى حزنا كبيرا.
ومن كتب التراث لأبى : العادات والأوابد فى الموروث الشعبى الفلسطيني – فنون القول فى الموروث الشعبى الفلسطينى – موسوعة الأمثال الشعبية الفلسطينية – قصة الأمثال الشعبية فى فلسطين.

## ( حكاء فلسطين)

**( إحك يا أبى إنى أفهمك وأحكيك )**

**( هكذا أكتب أبى وهكذا تكتب البنت أبيها برا وإعجابا ورمزا فلسطينيا عريقا )**

**ويستمر الحكى وتتابع أسئلتى ، كان أبى يحكى لى حياته ويعطينى سره وأسرار الوجود ، يحكى لى تفصيلات قضية فلسطين ، هذه القضية النادرة ، ويمتزج وجود**

**50**

**أبى وكيانه بالقضية وأكتشف مع أبى أسرار الحقائق ونتمعن معا فى هذا الوجود ، أبى توأم روحى وتوأم سرى ، لقد منحنا الله روحا واحدة تقاسمناها معا أنا وأبى.**

**لقد كانت الحياة التأملية ديدنه وورثتها عنه ، وهو حين يقرر فهو حاسم فى رأيه ، ورغم إنفراده أحيانا إلا أنه ينخرط تماما فى المجتمعات الثقافية والسياسية اما الحياة الإجتماعية فقد كان قليل الانخراط فى الحياة الاجتماعية.**

**لكن أبى كان يحرص على الحديث معى ويخصنى بجلسات طويلة يحكى لى وكان يناقشنى فى شؤون الأسرة ويأخذ برأيى ، وكان أبى رحمه الله يؤمن بتعدد طرائق الوصول إلى الحقيقة ويؤمن بالرأى الآخر ويستولد الحل من الرأى الآخر فى بعض الأحيان.**

**كان أبى ينحى منحى ليبرالى فى فكره دون أن يمس العقيدة فهو مؤمن ومتدين وعلاقته بالله سبحانه وتعالى قوية.**

**لقد ورثت اليقين القومى عن أبى ، ومن حكايات أبى فهمت سبب غربتى ، إحك يا أبى لأتناغم مع الحياة ، لقد عرفت منك يا أبى إننا الفلسطينيون ضحايا الصهاينة ، إحك يا أبى وأنا الأرض وأنا الضوء وأنا الحياة وأنا الصمود.**

**وأسأل أبى كيف سرق الصهاينة وطنى يا أبى ؟ نعم يافدوى كنا تحت الإنتداب البريطانى وسهل لهم الإنجليز الهجرة ، كان الصهاينة يأتون إلى فلسطين دون إذن ثم يستوطنون فلسطيين ، ولا تلبث السلطات الإنجليزية أن تعترف بهم وتزعم أنها تطاردهم ويزعم الإنجليز إنهم يحرسون السواحل وهم يسهلون لهم الهجرة.**

**وسرعان مافطن الصهاينة للفلسطينيين الذين توافدوا ليحرسوا السواحل ، قتلهم الصهاينة بأسلحة مختلفة ولم يكن الفلسطينيون يملكون السلاح ، وكان الصهاينة يقتلونهم وهم نيام.**

**وأسأل أبى متى يعود الإنتماء العربى إلى القدس ؟ متى يكنس العرب الأقحاح الصهاينة من الأقصى ؟**

**آه يافدوى لو يعرف العرب أن الصهاينة يحلمون بخيبر.**

**آه يا أبى إن العرب يتفرجون على الفلسطينى وهو جائع ومقتول.**

**51**

**ويحدثنى أبى عن فلسطين وكيف أنه كان يقطف من حديقة منزله الزعتر والمرامية والعتر وحدثنى كيف ترك منزله ورأى المنزل صامتا ، ويحدثنى أبى كيف ترك الأشجار صامتة وحزينة تبكى بصمت ، لقد لاح لى الوطن وكأنه الأبدية.**

**إنه أبى الذى علمنى كيف أفكر وعلمنى جماليات الفكر وحثنى أن أبحث عن جماليات الحياة ، وعلمنى الفرق بين العربى والعروبى ، فالعروبى يحمل مبادئ العروبة الحقيقية فهناك عروبى تقليدى وآخر يعشق عروبته ، وأبى العروبى ثقافته عالمية فقد كان ينشد القصائد باللغة اللاتينية ويتغنى بأقوال شكسبير ، لكنه درس البلاغة العربية درسها بعمق واستمد ثقافته من القرآن الكريم ، ويرى حقنا فى**

أرضنا فلسطين ونظرة العدالة هى نظرة القرآن الكريم ، فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم " العين بالعين والسن بالسن. "
منحنى أبى الحرية المشروطة بالإلتزام وعودت نفسى على الحرية لأنه لاقيمة للحرية بدون إلتزام .
كان أبى رحمه الله حارسا أمينا للغة العربية فقد كان يرفض رفضا باتا أن أكتب كلمة واحدة باللغة العامية ، وكان أبى حارس القضية وحارس التراث الفلسطينى ، ولأن أبى يتحدث معى كثيرا عن فلسطين لذلك سميته حكاء فلسطين ، إحك يا أبى.
أمتنا العربية أمة عريقة وأمتنا العربية كما قال " جوتة " يافدوى أمتنا أمة شجاعة لاتخاف الموت.
علمنى أبى ألا أحرم نفسى من أن يكون لى رأى ، على أنه يجب أن يكون هذا الرأى بعد البحث والتمحيص ، هكذا ربانى أبى.
رغم حاجتنا المادية إلا أن أبى كان مولعا بالكتب وتراكمت الكتب لتصبح بالآلاف ، ومنذ نعومة الأظفار كنت ألتهم من مكتبة أبى كتب جورج زيدان التاريخية ، وكتب طه حسين والعقاد واحسان عبدالقدوس ويوسف السباعى ويوسف ادريس وعبدالرحمن الشرقاوى ، ونجيب محفوظ وتوفيق الحكيم ، ومجلات عظيمة كالكاتب.
وأحدث أبى كثيرا ، حدثته عن جوتة الذى شغف بالإسلام والقرآن الكريم ونطق كلمة الله كما ننطقها وحكيت له كيف شغف جوتة بالمعلقات العربية واللغة العربية والقصائد العربية ، لقد مجد جوتة الإسلام يافدوى ومجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هذا

52

الألمانى العريق الذى يثبت يا أبى أن الشرق والغرب يلتقيان ، فالوحدة الإنسانية بين البشر قائمة بين البشر مهما ادعى المدعين غير ذلك.
كنت أراقب أبى فأجده يتأمل الشجر ويقول لى أنا أسبح ما أجمل تسبيح الشجر يافدوى، فأقول له الشجر يسجد لله يا أبى .
الإدراك يافدوى
الإدراك الإدراك
هدف أسع إليه يا أبى
أنا أدرك إذن أنا موجود
أغسل يا أبى همومى بالإدراك والوعى
)من عبدالناصر العظيم ومنك يا أبى تعلمت اليقين القومى(
كان أبى الإبن الوحيد الثرى فقد كان جدى ثريا ، هذا الثرى عصره المنفى فقرا عصر قلبه ، لكن أبى تكيف مع الألم وعانى أبى كثيرا من الوجدان المضطرب وعانى من نفسية قلقة ، ولكن بعصر عبدالناصر بدأت قضية فلسطين تاريخا جديدا ، وتحول أبى ، لقد مجد أبى المقاومة ضد الصهيونية ، وفى عصر عبدالناصر انتقل أبى من اللاوعى إلى الوعى ، فرح أبى كثيرا فى الستينات ، ومع جمال عبدالناصر ولدت اليقظة العربية والوعى العربى .
نعم وبموت عبدالناصر ماتت اليقظة العربية ومات الوعى العربى ، من عبدالناصر ومن أبى تعلمت اليقين القومى .
أجمل ما لاحظته على أبى إنه أسقط الكراهية من حياته ، فأبى محب للضعيف قبل القوى ، ومحب للصغير أكثر من الكبير ، وكان أبى متفائلا ويقول لى : اصبر يا شعبنا العظيم فالإنتصار لا يأتى إلا بالألم

، هكذا حاول أبى أن يعلمنى الصبر رغم أنه عانى من إحساس قاهر بالإغتراب أول حياته وآخر حياته ، ورغم قوة أبى إلا أنه عانى من عدم الإستقرار وهذا حال كل فلسطينى يعانى من عدم الإستقرار وعدم الثبات.

53

كنت أدلع أبى بلفظ " فقدش " أما هو فقد كان ينادينى " فدو "ويقول لى دائما : يرضى عليكى يافدوى من الأرض للسماء ومن السماء للأرض ، وكان يقول لى " : اللى عنده بنت زى فدوى لازم يكون أسعد أب فى الدنيا. "

كنت أنحنى على رجله لأغسلها ثم أدهنها ، أقول لأبى منذ أوسلو لم يحصل الفلسطينى على أى مكاسب ، الصهاينة يا إبنتى سرقونا ويمطرونا باللعنات فالسارق برئ والمسروق مذنب.

لقد تخصص الصهاينة فى إتعاسنا ، لقد عرفنا معنى المهانة ، المنفى أهان الفلسطينى يافدوى لقد زرعونا فى المنافى فى تربة ترفضنا فعرفنا معنى المهانة.

كان أبى صريحا ومحبا للصراحة كما يحب الإستماع إلى الصراحة ، وكان يرى أن أوسلو باع القضية الفلسطينية بأبخس الأثمان ، ويرى أبى أن غزة تحررت خارج إتفاقية أوسلو ، أرض قطاع غزة محررة ويقول لى : عقبال باقى فلسطين.

أقول لأبى : الشعب المصرى يعشق القضية الفلسطينية ، إن وجدان الشعب المصرى عميق وجميل .

رأيتك يا أبى كالشمس كالوعى كالصراحة كالضمير الحى ، فهمت أبى كثيرا فأبى عانى من ضياع النفس بعد أن ضاعت فلسطين ، وكان فى أول النكبة يرسم فى حياته لوحات الألم ، نعم يا أبى ذبحوا الياسمين يا أبى فى اليرموك ، ذبحوه جوعا وحصارا ، قتلوا الأطفال والمستضعفين وسؤال يا أبى لماذا يذبح العرب أزهار الياسمين ؟ يذبحوهم لأنهم مستضعفين لأنهم بلاوطن بلا عمل ، باللخيانة باللنذالة ، لكنهم يا أبى أصبحوا متخصصين بذبح الياسمين ، العرب الأقحاح فى سوريا فعلوا ذلك يا أبى ، ليس بيدى يا أبى سوى أن أحول حزنى لقصيدة وأجلس على حصى الحزن فيصبح الجرح جرحين ، جرح صهيونى وجرح عربى ، إنها المهزلة.

حكى لى أبى كل مايتعلق بفلسطين وكان أبى سيد مساحتى الحياتية وأبى كان ديوجين الذى حمل المصباح ليجعلنى أرى الحياة على حقيقتها ، كان أبى المفكر والفيلسوف والحكيم والمتدين والباحث عن الحقيقة.

كان لدى أبى عملا منظما ومتواصلا هو تخزين المعلومات ، كنت أراه وكأنه يجمع الجواهر.

54

حكاياتك يا أبى وفكرك يا أبى عكسا لى قضية فلسطين تلك القضية النادرة العجيبة ، أن يسحق شعب بأكمله من أجل حفنات مشتتة من الشعوب.

منذ صغرى وأنا أسالك وتجيبنى ، سألتك يا أبى وأنا طفلة هل كل الأطفال مثلى بلا وطن ؟ سألتك وأنا دون العاشرة لماذا أنت محطم ؟ سألتك وأنا طفلة أين شهادة ميلادى ؟ فهمتنى يا أبى وفهمت طفولتى الحزينة فقد كنت تتصف بالرؤية الدقيقة وكنت تتمتع بالرؤية الدقيقة.

الآن من يجيب على اسئلتى يا أبى ؟ أنا بعدك يا أبى جملة ناقصة ، حياة ناقصة ، نصف حياة ، بين الحياة والموت أعيش فتور الحياة ، أحكيك يا ابى وأنا أجلس وحيدة ومحرومة من أحاديثك العبقرية النادرة.

ماذا حدث قبيل وفاتك ؟ زرتك فى مستشفى فلسطين كنت على موعد مع صديقتى الصحفية دعاء لحضور ندوة فى نقابة الصحفيين ، إنه يوم 27 مارس فى هذا اليوم قرر شعراء وشباب مصر أن

يخرجوا فى مظاهرة للتنديد بالصهاينة وبضرورة تحرير القدس ، بعدها ستقوم ندوة شعرية للشاعر العظيم " سيد حجاب " ، فى الفجر استيقظت على غير العادة وأحسست أن جسدى غير طبيعى ، جسدى يرتجف وسمعت صوتا وكأنه قادم من العالم الآخر ، لم أفهم ماذا يقول الصوت ، إهتز جسدى وحاولت النوم من جديد ، فشلت فشلا ذريعا فى أن أنام.
فى الساعة العاشرة كانت " صابرين " خادمة أمى تطرق الباب ، قلت لها أبى مات أليس كذلك ؟ هزت رأسها ، شعرت بأن النصف الأيمن من جسدى قد تعطل وبصعوبة تحركت ، قالت : إنهم يستعدون للذهاب إلى المستشفى ، عرفت أن أبى فى الثلاجة نزلت إلى الدور السفلى ، تساءلت كيف يكون الإنسان فى الثلاجة ؟ هل أجرؤ أن أنظر فى وجه أبى وهو على هذه الحالة ؟ صممت على أن أوصله إلى مقره الأخير ، قبلته كان وجه أبى مبتسما وأحسست أن أبى يرقد مستريحا رأيت الإطمئنان على وجهه.
قلت له مع السلامة ياحبيب العمر ، أبى هو الجزء الأيمن منى ، أين الجزء الأيمن ؟ لم أقو على المشى ، رأيت صفصافة بجانب المقبرة ، لقد أحب أبى الشجر هاهو يدفن بجانب الشجرة.
أعود إلى المنزل ، الكرسى الذى يجلس عليه أبى دائما أصبح خاليا ، أفتقدك ياحبيبى ، لقد ابتسم الموت يا أبى حين رآك ، كنت أراقبك يا أبى وأنت تلتهم الكتب

55

بلذة العالم والعبقرى ، آه يا أبى من ترسبات النكبة وترسبات حزنك تكونت فدوى الضعيفة وكنت تريدنى قوية ، نزفت يا أبى الشمس فى دمى ، أحزانك يا أبى تراكمت فى نفسى وكونت ذاتى ، نعم عرف أبى معنى كلمة ضياع وورثت عن أبى هذا الضياع.
كان رأس أبى كبيرا ومستديرا وجبهته عريضة والجبهة العريضة تشير غالبا إلى العبقرية ، أعتقد أن أبى أحرق عقله حين فقد ذاكرته الحاضرة وليس التاريخية ، فقد بذل مجهودا غير عادى حين كتب موسوعة بيت المقدس المكونة من ثلاثين جزءا وهى مرتبة ترتيبا أبجديا.
كانت الكتابة تملأ أبى بالكرامة والشموخ والعزة ، وتغلب أبى بالكتابة على وجدانه المضطرب بسبب فلسطين التى عشقها واضطر لتركها.
تعلمت منك يا أبى أن أتأمل الحياة وأحاول أن أفهم معنى الوجود ، أبى هو فارس من فرسان الفكر العميق فى فلسطين ، عاش أبى حياته الواقعية ، استوطن أبى الكلمة واستوطن التراث حين حرم من وطنه ، كتب التراث بقطرات الحنين ، أدرك أبى جرأته فى الكتابة ، وعشق أبى التراث وكتبه ووصل الجذور بالفروع.
إننى فتاة تعيش لأفكارها الحرة الجرينة فشجعنى على ذلك ولم ينتقد جرأتى بل أخبرنى بأنه ينتظرنى المستقبل الكبير.
غنى أبى قبل أن يموت وزقزق العصفور وأنا روحى معاه ، ودفن أبى فى ذلك الأخدود وبكى قلبى مع أبى ، تذوقت معانى الحياة وتذوقت الفكر والفن ومن أبى تعلمت القراءة الخاطفة الشاملة ، وقال لى أبى أنه تعلم هذه الطريقة من الكلية العربية التى درس فيها بالقدس.
عشق أبى التراث وعشق الأدب الشعبى الفلسطينى فهو الفلسطينى الصميم ، لايخلو العبقرى من غرابة وغرابة العبقرية عند أبى الإنفراد بنفسه والتفكير ، إن ولع أبى بالقراءة والتفكير والكتابة بلا حدود ، قراءة اللغة / تاريخ / أدب / فلسفة / دين ، عرف أبى كيف يربى أولاده وقد ربانا على الحرية ، لا أذكر أن أبى شتمنى أو ضربنى وهذا ما فعله مع باقى إخوتى ، منحنا الحرية الملتزمة بالأخلاق ، وكان أبى واسع النفس وكبير القلب وكان قويا بل شديد القوة.
آه يا أبى لقد رأيت القبر ينفث حزنه المرير عليك يا من رأيت فى المعرفة أعظم كنوز الأرض.

56

نعم يا أبى حدثت النكسة وعاد الحزن إليك أصبحت تخاطب العالم بصمت العيون ، وانتقل حزنك لى وأصبح لدى يقين بأن الحزن ينتقل من الآباء إلى الأبناء.

لا أنسى يا أبى حين قلت لى المخيمات فى الشتات وفى فلسطين تعج بالثوار ، فهمت لماذا تتعرض المخيمات الآن بالذات يا أبى للإبادة الجماعية ، فهمت يا أبى لماذا يحاصر الإنسان الفلسطينى ، لماذا يجوع الطفل الفلسطينى ويأكل القطط المذبوحة ويأكل الحشائش ومع ذلك يموت من الجوع ، المخيمات رمز لوجود الإنسان الفلسطينى .

نعم يا أبى قلت لى كيف أن الفلسطينى بعد النكسة تشتت فى المخيمات ، إنهم يحاربون الآن المخيمات لأن المخيمات يا أبى تحولت من الذل للثورة.

الفلسطينى يا إبنتى فى المخيم محروم لكنه مقاتل ، إن شعبنا العظيم يافدوى يتصف بالصمود العجيب ، نعم يا أبى هو صمود يدفع إلى الغرابة من قدرة الإنسان الفلسطينى على التحمل ، إن الفقر مخيف فى المخيمات ومع ذلك الطفل يا إبنتى فى المخيم يلعب رغم الجوع ، قوة عجيبة يتحلى بها شعبنا وهذه القوة العجيبة تذهل عدونا.

نعم يا أبى يحق لنا أن نصف الفلسطينى سواء داخل المخيم أو خارج المخيم يتصف بالقوة العجيبة والخارقة ، نعم يا إبنتى القوة الخارقة تأتى من عنفوان الألم.

( أسسنى أبى إبداعيا وحياتيا )

كان هدف أبى أن يجعلنى قوية وقد نجح أبى فى ذلك ، وحدث التحول فى شخصيتى من فتاة ضعيفة إلى فتاة قوية جريئة ، وأبى تعلم القوة فى فلسطين فالفلسطينى يقاوم الإنجليز والصهاينة معا والسلاح أغلى من الذهب ، كان يقاومهما معا ، تبيع المرأة الذهب ليشترى الفلسطينى السلاح وللأسف يا إبنتى يجده فاسدا بينما كانت فرنسا تسلح الصهاينة ، واستمرت فرنسا تسلح الصهاينة ، طائرات الميراج التى ضربت بورسعيد سنة 1956 كانت فرنسية.

أكتبى يافدوى أكتبى ماحكيته لك ، المنفى لايتوقف عن الكتابة يا أبى والأرض المحتلة يا أبى لاتتوقف عن الكتابة ، أبشرك يا أبى أن الظلم الصهيونى بات مشهودا والعالم الغربى بدأ يفهم الصهيونية وشراستها ، ولكن متى يعرف العالم أن الحق هو القوة ؟ سيدرك العالم أن التوحش الذى تمارسه الصهيونية هو ضد الإنسانية والقيم

57

الإنسانية ، ولابد أن يعود الإنسان لإنسانيته ، فلو إزداد الإنسان توحشا سيعقد حياته وليس فقط مثله.

إن الزلزال يا أبى الذى أصاب القضية الفلسطينية لن يمر على سلام وتوابعه خطيرة ، ومهما حاولت الصهيونية يا أبى أن تبيد الشعب الفلسطينى فلن تنجح فى إبادته ، والتهويد الذى تحلم به الصهيونية بعيد المنال.

لابد يا فدوى أن تنجو فلسطين ولابد أن ينجو الإنسان الفلسطينى ، أتذكرين يافدوى الشهيدة آيات محمد الأخرس كان عمرها 16 عاما وهى من مخيم الدهيشة ، كانت تغطى رأسها بالكوفية الفلسطينية ، قالت للحكام العرب : كفاكم تخاذلا ، وأضيف يا آيات ياشهيدة الحق تقول لك كاتبة هذه السطور كفاكم ظلما كفاكم قتلا للفلسطينيين ، كفاكم صهينة فلقد أكلت يوم أكل الثور الأبيض.

أقول لك يا آيات يا شهيدة الحرية الفلسطينى يا آيات لم يعد يعان فقط من التسلط الغربى ، الفلسطينى يعانى من تسلط الحكام العرب ، والحكام العرب متهمون ، أنا يا آيات كاتبة هذه السطور أتهمهم بالتفريط فى فلسطين لحساب مصالحهم الشخصية ، فلسطين هى الضحية خافوا الله يا حكام العرب فالحياة لن

تدوم.
)آه يا أبى على الفلسطينى أن يحاول التغلب على الماء الآسن(
أما الفلسطينى فعليه مسؤولية وهو أن يفكر كيف يكون قويا فى مجتمع يأكل الضعيف يأكله أكل الذئاب.
ويأتينى صوت أبى من اللحد الطفل الفلسطينى قوى قوة نادرة ، الطفل الفلسطينى يا فدوى يذهب إلى المدرسة بلا أحذية ولا مريول ولا حقيبة لكنه يريد أن يتعلم ، الفلسطينى يعيش رغم الفقر المتطرف ، المخيم يا فدوى الذى يتعرض للإبادة ، المخيم مستهدف أتدرين لماذا يا إبنتى ؟ لأنه أنجب الفدائى ، وأنجب الشعراء وأنجب الكتاب ، وهو الذى أنجب الشهداء.
نعم يا أبى الدرس الأول الذى علمته لى كيف نحول الضعف إلى قوة ، ينبغى لكل فلسطينى يافدوى أن يحول عامل الضعف إلى عامل قوة ، نعم يا أبى كنت فتاة ضعيفة ورفضت يا أبى ضعفى وصممت أن تحول ضعفى لقوة.

58

والله يافدوى فى المنافى يبصقون على الفلسطينى لذلك لابد أن نكون أقوياء ، ولا أعرف يا أبى لماذا يصدق العالم العهد القديم الذى جاء فيه أن اليهود هم شعب الله المختار وإن الله يحبهم ويفضلهم على باقى شعوب العالم.
والله يا أبى لا أصدق ولن أصدق أن شعب الله المختار والمفضل عند الله يقتل الأطفال الأبرياء ويذبحهم بلا ذنب سوى أنهم فلسطينيون أصحاب حق فى أرضهم من آلاف السنين ، كيف يحب الله القتلة ويجعلهم شعب الله المختار ؟
كان أبى يضع يده على قلبه من إختلاف الفصائل الفلسطينية ، وكان يرى فى ذلك خسارة فادحة للشعب الفلسطينى.
مات أبى وهو يتمنى للفصائل أن تتوحد ، نعم يا أبى اختلاف الفصائل أهلك قضيتنا وأضعفها ، وكان أبى يحتقر ويزدرى هؤلاء العملاء الذين يتعاونون مع الصهاينة وللأسف فللنكبة أمراض ومن أمراضها العمالة عند القليل من الفلسطينيين من أصحاب الفكر المريض وكان أبى يتألم منهم ألما شديدا ، وأرى أن الجوع ربما يكون السبب فى ذلك ، رغم ذلك فلا يمكن أن يكون الجوع مبررا.
حكيت لى يا أبى وأحكى لك الفلسطينى الآن يتعرض للإمحاء ، قلبى يبكى وأنا أكتب ذلك وأتصور أن أبى لم يمت وإنه لازال أمامى فى الحياة وأشعر بأن روحه تجول فى فحاح فلسطين وسوافيها وحواكيرها.
لقد كان أبى يحبنى إلى أقصى حد ولم أكن أتصور الحياة بدون أبى ، فالمسافات شاسعة ولا أستطيع أن أصل إلى ما أريده ، وكان أبى صديقا حميما للمرحوم زوجى الدكتور محمود محمد قمر ، كانت الحياة مع أبى ثرية وكان زوجى محمود رائعا وكنا نحلل غموض الحياة أنا وأبى ، وكان أبى يقول لى عقليتك تحليلية وهذا بفضل جامعة عين شمس قسم اللغة العربية والحقيقة إننى تعلمت التحليل من أبى ومن الجامعة ، كان أبى يحب محمود لأنه يعاملنى برقة ، اروع ما فى أبى إنه لا يصغى للكلام الساذج فالكلام الساذج لا قيمة له عنده ، وأروع ما فى أبى هو أنه علمنى كيف أفكر منذ وقت مبكر لقد أدرك أبى قابليتى لذلك.
كان أبى من القوة والصلابة مطابقا لما يوحى به مظهره فأبى صاحب قوة وهيبة ، وكان أبى رحمه الله يكره الصخب والصوت العالى.
حزن أبى مكتوم دون بكاء ورأيته يبكى مرتين حين ماتت جدتى أسماء سليم الحوت الرحمة عليها وحين خرجت المقاومة الفلسطينية من بيروت.

59

كان أبى يهتم بالفصول فهو يحب الربيع ويكره البرد فى الشتاء فتغيير الفصول له أثر على حياته ، وأتذكر جلسات الربيع مع أبى ونحن نحتسى القهوة ، ما أجمل جلسات الربيع معك وأنت تغنى الإبريق اللى انتصب رنت مناجيله فأرن الفناجيل ما أقسى الوحدة يا أبى وخاصة عندما يكون الإنسان حزينا ، كنا نستمتع بالحياة دون أن ندرى ، كنا نبتسم دون أن ندرى وبعدك يا أبى خاصمنى فرح الحياة.
وكنت تنقذنى من محاكمات أختى عايدة ، تلك المحاكمات المعنوية التى تنصبها لى وكنت دائما نصيرى ، وكنت بالنسبة لى الأب العظيم وكنز المعلومات ما أن أحتاج حتى تمدنى بالمساعدة ، ولا أنسى أبدا عندما عملت فى الرياض كمعلمة ثانوى وفوجئت بأنه على أن أدرس بلاغة تقليدية وكان منهج الدكتور ناصف فى تدريسنا للبلاغة يختلف تماما وهنا وقعت فى مأزق كبير ، فشرح لى أبى عبر الرسائل البلاغة العربية التقليدية ، وقد أنقذنى من مازق كبير وتصوروا مدرسة تدرس نقيض ما تعلمته ، لقد زرع أبى بداخلى الثقة بالذات ، وعلمنى كيف أتحول من إنسانة ضعيفة إلى إنسانة قوية.
هل انتهت الحياة يا أبى ؟ مات محمود وتلاه موتك ، كنت أظن أن النهاية ستأتى بعد فترة أطول لكن ما شعرت به أن الحياة قصيرة أقصر مما تتصور بل تكاد تكون خاطفة ، بعدك يا أبى أصبحت أعيش فى سكون وكمد ، كم تبدلت حياتى بعدك يا أبى ، لقد عرفت بعد موتك معنى الإنقباض ، لقد كان أبى يدعو لى دائما بالسعادة ، لكن الحزن يا أبى جعلنى أفكر أكثر والوحدة زادت من إمكانيتى الروحية ، نعم يا أبى الوحدة تقرب الإنسان من ربه ، أفتقد صوتك الحنون يا أبى ، وقد حمانى الله من أخت لى ما أشبهها بقطيع كامل من المتوحشين ، وقد زوجها أبى مبكرا خوفا على منها.

60

هكذا جعلنى أبى قادرة على أن أقف على رجلى وأن أواجه الحياة ، بل علمنى أبى كيف أسير بخطوات واسعة ، أبى الرجل القوى كان قلبه أرق من عصفور وكان يعامل الضعفاء بعطف شديد ويكرم الخدم ويمنحهم الكثير ، ولكن فى لحظة نفسية يتغير أبى وهنا ماحدث عندما ضرب كاتب كاتبة فى إذاعة المنظمة فإذا بأبى يضربه ويفصله ، ضربه أبى ولم يكن أحد يستطيع الإمساك به أو منعه .
وأجمل ما فى أبى إحساسه بوطنه وقضيته وإحساسه المفرط بجماليات اللغة العربية وحرصه على إستعمالها ، وكان لأبى علاقات رائعة بكتاب رائعين مثل يوسف السباعى الذى عينه فى مجلة الكاتب الإفتتاحية وعلاقته الرائعة بأستاذه نيقولا زيادة ، وعلاقته الرائعة بالكاتب يوسف القرعى والشاعر على هاشم رشيد وصداقته الحميمة لأحمد عمر شاهين الروائى والمترجم الفلسطينى وكان يعتز كثيرا بخاله محود الحوت وهو شاعر عظيم كما كان يعتز كثيرا بابن خاله شفيق الحوت ممثل منظمة التحرير فى بيروت ، وآخرون كلهم أحبوا أبى واعترفوا بعبقريته ، ومنهم السفير محمد صبيح سفير فلسطين فى الجامعة العربية وقد قال لى : أبوك يافدوى عظيم وحين سألته لماذا هو عظيم ؟ قال لى : لأنه أمسك بالقلم لخدمة القضية الفلسطينية من أول الهجرة وإلى الآن.
ومن أصدقاء أبى أستاذى الذى درسنى فى مدرسة سراى القبة " كامل السوافيرى " ولكامل السوافيرى باع فى الإبداع الفلسطينى.
وكان عبدالناصر الحبيب الحميمى لأبى رغم أنه لم يلتق به لقاءا شخصيا ، لك الحق يا أبى أن تعشق عبدالناصر وتعشق العصر الناصرى ، نعم يا أبى قلت لى عبدالناصر كان السياسى والمفكر العبقرى ، وأثبت لنا الزمن عبقرية عبدالناصر ، إن بناء سد النهضة الأثيوبى يثبت عبقرية عبدالناصر الذى أصر على بناء السد العالى ، وتصدى عبدالناصر لأمريكا والصهيونية أيضا يدل على عبقرية عبدالناصر فأمريكا منهجها هو الإفراط فى القوة والتوحش ونهج أمريكا هو نفسه النهج الأمريكى الشديد التوحش

## ( تاريخ حياة أبى )

**نعم يا أبى لقد حكيت لى حكايات الوطن وهاهى فدوى تحكى الوطن الحبيب فلسطين ، حكيت لى كيف أن الكلية العربية أرادت أن ترسلك فى بعثة إلى بريطانيا ورفضت جدتى أسماء الحوت رفضا باتا أن تغادر فلسطين وأرادت أن تزوجك**

**61**

**وتفرح بك وبأولادك ، وتزوجت يا أبى مرغما فقد كنت تعشق العلم ، كان جدى إبراهيم عباس الغنى والذى يعتز بالجاه ، وكانت أمى العروس المقترحة كما حكيت لى وهى إبنة يافا الرائعة الجمال عروس أنستك نهر التايمز الذى كنت تريد أن تراه ونسيت جامعة لندن أو كلية اكستر ، واتبع أبى نفس الطريق الذى اتبعه جدى وهو تصدير الأثمار الحمضية إلى أوروبا ، مرنك جدى على عمليات الشحن والقطف والتعبئة ، وإدارة العمال ، ودراسة الثمر والأمراض الزراعية ، وطريقة التخزين وصفقات البيع والشراء.**

**ولازم أبى الذى عمل مدرسا فى المجدل ، لزم أبيه وسار على درب أبيه وكان يردد أنت ومالك لأبيك ، وقد رأيت أبى يطفئ سيجارة وهو خائف كطفل من أبيه فقد كان أبى يحترم جدى ويحترم جدتى كثيرا.**

**وسار أبى على منوال جدى إبراهيم عباس ، لقد تذوق أبى مهنة التجارة وذاق أبى طعم الربح الهائل ، تزوج أبى وهو فى سن العشرين وكان أبى يشترى الأطيان والعقار من عرق جبينه ، جاء عام 1948 وجاء مع هذا العام النزاع المسلح على نطاق واسع بين العرب واليهود فى فلسطين ، وجرت حوادث تشبه الأساطير.**

**عاش أبى بين صفوف المجاهدين المتطوعين فى الخنادق ، ومارس الحياة بين صفوف العمال ، وتصبب عرقه مع عرقهم ، كان أبى يأكل مع العمال ويعمل معهم ويمنحهم المكافآت ، وارتقى أبى صاحب الروح الجماعية والعاشق لفلسطين ، كان فى صفوف المجاهدين سنة 1948 وكان أبى يشعر أنه لا يحارب الصهاينة بل يحارب دولا كبرى.**

**وشعر أبى كما قال لى أنه يعيش أسطورة ، أجل يا أبى كانت أعظم أنواع الأساطير ، ويتحدث أبى عن الأسابيع التى تلت 15 مايو سنة 1948 أى بعد دخول جيوش العرب النظامية إلى المعركة ، فقد دخلت هذه الجيوش بعدد معين من صناديق الذخيرة ولم نضمن أى معين من هذه الصناديق ، لم يكن هناك أى خطر أشد خطرا من الخطر على خط غير منظم للتموين والذخيرة ، ومع أن أبى رجل غير عسكرى إلا أنه كما وصف لى كان يلاحظ خيبة الأمل على وجوه العسكريين فى الأسابيع الأولى من المعركة ، وكانت رائحة الخيانة تفوح من صفوف الكبار الذين سلمناهم قيادتنا ومصيرنا على حد تعبير أبى ، وكان تقهقر الجيوش فى الجبهة الجنوبية وهى الجبهة الوحيدة التى كانت فعالة ، وكسر أبى بندقيته غما وحزنا لفراغ خزانها من**

**62**

**آخر طلقة ، نعم أروى هذه القصة لكل من يخون الفلسطينى ويقول لقد تركتم فلسطين والفلسطينى أرغم على ترك أرضه ، لاسلاح – مجازر – أوامر بالخروج وترك فلسطين من الكبار ومن الإذاعات العربية.**

**خرج أبى مع أمى " فلك " وجدى وجدتى خرجوا إلى الرمال ، رمال قرية نعليا على بعد كيلومترات قليلة من المجدل التى تركتها طائرات العدو تلالا من الأنقاض ، وهناك فى أرض العنب والتين والجميز جلس أبى لا لكى ينام لكن ليصيب شيئا من الراحة ، لأن طائرات العدو كانت تلاحقهم ، كانت قوات العدو تضرب المدنيين قبل أن تضرب العسكريين ، وكانت بعض زوارق العدو قد رست على شاطئ الجورة**

لتضرب اللاجئين والجنود على طول الساحل.
ويتحدث أبى عن طيار مصرى وكان اسمه " أبوزيد " هذا الطيار العظيم حكى لى أبى أنه تصدى لهذه الزوارق واستشهد بعد أن أبلى بلاءا عظيما ، هكذا حارب الشرفاء فى فلسطين ولم يستسلموا سواء من الفلسطينيين أو من المصريين.
ويؤكد لى أبى لم يكن هناك خطر يا إبنتى أشد من خطر نفاذ الذخيرة ، إن خطر التموين والذخيرة أحد أسباب الهزيمة وترك الأرض ، لم يكن هناك أى خطر أشد من خط غير منظم للتموين والذخيرة ، ولم يكن أبى رجلا عسكريا لكنه ألح لى على هذا الخطر.
ويؤكد لى أبى على رائحة الخيانة التى كانت تفوح من الكبار ، ويثنى أبى على الجبهة الجنوبية ، وأثناء الضرب من البحر والبر والجو وفى ليلة رهيبة سوداء ولدت فدوى فقد جاء لأمى المخاض وكل شئ يجب أن يسير فى مجراه الطبيعى فكيف يكون ذلك ؟ ويحكى لى أبى أن أمى كانت تقاوم الألم بسخرية وتهكم ، وهذه كما يقول أبى هى طبيعتها ، وكان الموت يهدد أمى والقنابل تتساقط على مقربة منها ، وأخذ أبى يبتسم لأمى ويذكرها بالأيام الخوالى ، ويحكى لها عن البدويات الرعابيب اللواتى يلدن بدون طبيب أو حتى قابلة أو ممرضة فى الأحوال العادية وفى أيام الرخاء ، وكيف إنهن بعد إنزال المولود يضربن الخلاصة بحجر على حجر حتى تقطع ، ومنهن فتيات جميلات رقيقات ، وصفهن الشاعر المتنبى حمر الحلى والمطايا والجلاليب ، وتقول له أمى : ربما سأكون أرقى منهن ، وسأتعاون معك على إستعمال سكين البصل وماء الكولونيا المحفوظ فى حقيبتى.
كانت أمى شديدة الغيرة على أبى ومجرد أن تسمع عن أى أنثى لا تخفى غيرتها ، وربما استشاطت غضبا لوصف البدويات بالرعابيب.
موعد ولادتى حان تذكر أبى الذين سبقوه فى الهجرة ولقبوا باللاجئين من أهل حيفا ويافا ، تذكر أبى البواخر القليلة فى عددها والتى نقلت أهل يافا وحيفا من الميناء إلى لبنان ومصر ، وكيف أن لحوم البشر تتكدس فى هذه البواخر القليلة العدد ، وكيف كان الذكر يبول على الأنثى والأنثى تبول على الذكر ، حتى وصولهم إلى مصر أرض الكنانة وأرض الأمان ، أو الوصول إلى لبنان ، ويذكر لى أبى قصة من حيفا ، قصة المرأة التى يلاحقها يهودى دنئ ، ركبت الباخرة وفى تلك اللحظة فقط لاحظت أن الذى تحتضنه ليس وليدها ولكن وسادة ، يا إلهى لقد أخطأت المرأة.

63

خرج أبى إلى المجمع فى صبيحة اليوم التالى ليجد الشيخ محمود مبكرا فى الوصول على غير عادته يجلس القرفصاء على عادته أمام الميزان وقد بدأت جبهته تتخذ لون الدقيق الأبيض وتتعفر به ، واكتمل أسراب اللاجئين الذين سيستلمون مخصصاتهم حيث كان أبى متطوعا لتوزيع المؤونة على الناس ، إصطف الناس وكان أبى يضع الإشارة على كل بطاقة ، وفجأة هبط سرب من طائرات العدو فوق رأس أبى وفوق الناس الذين جاءوا ليأخذوا نصيبهم من الدقيق ، وظن أبى أنه فى ساحة الموت ، وأسلم أبى عينيه للسماء كما روى لى واستسلم للمقادير ، كان الموت شديد السهولة عند الصهاينة ولا ثمن للإنسان الفلسطينى ، إنه الموت المجانى.
ألقت الطائرات حممها على أبى وعلى الجائعين الذين جاءوا ليستلموا الطعام وشعر أبى بظلام حالك السواد ، ولسع على فخذه ودم يتدفق تدفق المياه القوية ، وغفا أبى إغفاءة هادئة كما وصف لى ، وفتح أبى عينيه ليجد دما ينزف من جندى سودانى ، ووجد أبى اللحوم البشرية تتطاير هنا وهناك ، أصيب أبى فى فخذه وتهشم بنطاله ودخلت الشظايا فى جسده ، وأخذ أبى يجرى رغم قسوة الألم ، أخذ يجرى صوب الأهل ليطمئن عليهم ، وهناك وجد أبى جدى يحمل مسدسا فيه أربعة عشر طلقة فسأله أبى علام عول

ونوى ، قال جدى : رأيت الطائرات تضرب مجمع الكوفة وأنا أعرف إنك هناك فقررت أن أريح رأسى بطلقات المسدس إذا جاءنى خبر استشهادك ، كيف يا جدى والدين ينهى عن الإنتحار ؟ وهل يغفر الله فى حالات الألم الصعب ؟ هل يغفر الله للذين أصبحت حياتهم بسبب الصهاينة مستبدة وعاتية.
أجل يا أبى حسبكم أنكم كافحتم أعظم قوتين فى العالم ، الإستعمار الإنجليزى والصهيونية العالمية.
إننا يا إبنتى لم نخرج من الأرض إلا بعد آخر طلقة من المسدس ، دفع الفلسطينيون ثمن البنادق والمسدسات والرصاص من حلى زوجاتهم ومن قوتهم ، لم نعط سلاحا من أحد إلا بثمن وضاع ملكنا يا إبنتى ولم نبك الملك الضائع ، لم نبك العمائر والحواكير والكروم ، بكينا فلسطين يا فدوى.
نعم يا أبى لقد فعلت مافعل أبوعبدالله آخر ملوك الأندلس ، لقد فُشل قادة العرب يا أبى ومنهم من طعنونا فى الخلف فى ظهورنا ، لقد فشلوا فى عمل إتفاق مخلص لنا ، إن فشلهم يرفع من قدسنة جهادنا.

64

بعض جنود العرب كانوا يشاركون الصهاينة فى سرقة النساء الفلسطينيات زاعمين أن حكوماتهم لم تكن تعطيهم النقود للطعام ، آه يا أبى كنت شديد الوعى بل ملتاع الوعى وكان وعيك يفوق كثيرا وعى الزعماء العرب ، كان للملك فاروق عشيقات يهوديات ، لقد ساوم بعض ملوك العرب فى ذلك الوقت على بيع بلادنا ، نعم لقد عشق بعض الحكام العرب غانيات اليهود وكانوا يا إبنتى يستوردوهن من أوروبا وأمريكا وفلسطين.
( جمال عبدالناصر عبقرية سياسية وفكرية مبكرة جدا ، الآن يا أبى فهم العرب عبدالناصر ، البعض تأخر كثيرا فى فهمه )
أتعرفين يافدوى بعض الملوك لم يكونوا يعرفون عن المعارك التى تدور ، لا يعرفون عما يدور عن أهل سوريا الجنوبية ، كان هناك من يرسم الخطط بهدوء ، كان الرئيس العظيم جمال عبدالناصر يعمل فى صمت وكان الرئيس جمال عبدالناصر يسخر من تلك الأوضاع الشائنة الفاشلة ، كان عبدالناصر فى خندق من خنادق الكفاح كان خندقه فى ضاحية من ضواحى " الفالوجا " قرب المجدل وقد أطبق العدو على كتيبته من جميع الجهات ، كان يافدوى عبدالناصر النبيل يتأمل فلول أطفال فلسطين ونسائهم الهائمين على وجوههم ، وخشى عبدالناصر العظيم ان يحل نفس المصير بالأطفال الوادعين فى كل قطر عربى ، جمال عبدالناصر يا أبى هو الأكثر ذكاءا.
( أحب أبى عبدالناصر فسمى أخى الجميل الصغير عبدالناصر والغريب أن أخى لديه شبه كبير بعبدالناصر )
وعبدالناصر يدرك أن الأمن المصرى هو الأمن الفلسطينى ، الأمن العربى واحد لو يعى العرب ذلك ، الأذكياء يدركون ذلك ، إن مايصيب الإنسان الفلسطينى يا أبى يصيب كل عربى.
ماذا فعل لكم يا أبى هذا الرجل الجميل المثقف الواعى ؟ بدا عبدالناصر يا إبنتى يطبق نظرية المحافظة على البقاء ، فالنساء أخذن يطحن القمح المخزون ويسقين الرجال ويطعمنهم والرجال مع الرجال فى حومة الوغى ، لم يخرج يا إبنتى عبدالناصر عن هذه القاعدة حتى أصبح رئيسا ، هكذا فهم أبى عبدالناصر إستراتيجية الرجل العظيم ، فالصمود لايكون مع الجوع ، هكذا كان عبدالناصر ضد الجوع ، فلا نضال مع الجوع ، ولا وجود مع الجوع ، أعتقد أن مفتاح شخصية عبدالناصر تكمن فى العدالة الإجتماعية.

65

إنه عبدالناصر الرئيس الذى يشار إليه بالبنان ، إنه جمال عبدالناصر الذى آمن بالقومية العربية وآمن بالوحدة العربية ، هو عبدالناصر الذى أراد القضاء على مؤامرات الإستعمار المؤامرات التى تهدف إلى

إفناء العرب.
( ويحكى أبى : ميراث عبدالناصر عظيم ، عبدالناصر حضن لكل عربى حر ، يكفى أنه جعل التعليم مجانيا ويكفى أنه أرسل المصريين ليتعلموا فى الخارج ، وأرسل ايضا الفلسطينيين وفتح أبواب الجامعات المصرية للعرب )
منذ النكبة يا أبى وأنت تؤكد لى أن الصهيونية وأمريكا تريدان القضاء على العرب ، أراد عبدالناصر يافدوى أن يحافظ على كيان العرب ، إنه عبدالناصر القائد المثقف الواسع الثقافة ، يتمتع بآفاق الوعى العميق ، لم أر يا إبنتى أشد ألما من منظر طفل فلسطينى يسيل دمه ، رأيت يا إبنتى الدم والحرمان والوجع فى الفالوجا وإن أكثر مايحز فى نفسى الطفولة المشردة المذبوحة.
كنت أنظر يافدوى بعد كل معركة أو غارة مفاجئة أرى الجزع والخوف والألم فى عيون الأطفال والنساء ، أخذت ابحث عن الشيخ محمود الذى كان معى عندما أصبت فقالوا لى إنه لم يكن قط مع الذين رفعت جثثهم أو الذين ذهبوا إلى الإسعاف ، قلت لى يا أبى لم أعرف إذا كانت أكياس الدقيق قد هزتها القنابل فوقعت عليه ، وطلبت من العمال أن يرفعوا أكياس الدقيق لنجد الشيخ محمود مدفونا فى الأكياس مختنقا ، واشتد ألم الجرح فى فخذى ، ذهبت إلى الطبيب وهو أحد أصدقاء أبى وكان الجرح غائرا يحتاج لعلاج طويل ، وقعت استقالتى وذهبنا إلى الزقازيق ثم أخذنا قطارا آخر أوصلنا إلى قرية أبوكبير من قرى مديرية الشرقية ، هذه القرية يافدوى ذكرها لى جدى كثيرا إنها قرية أبوكبير التى وصلنا إليها بواسطة القطار ، وهذه القرية ذكر لى جدى أن لنا فيها أقرباء من المصريين ، فلدى عائلتنا فرع من المصريين ، ويحكى لى أبى عن الترحيب الكبير والحار الذى لاقاه هو وجدى من أقاربنا المصريين فى أبوكبير واستأجر أبى بيتا وكانت القرية هادئة وساعدت القرية على هدوء أعصابى كما قال لى أبى فالإصابة البالغة فى فخذه أثرت كثيرا على أعصابه فانتابتنى حالة عصبية شديدة ، والحقيقة أننى لاحظت منذ نعومة أظفارى العصبية الشديدة وعدم الإرتياح فى وجه أبى ، لقد سقط أبى فى العمل اثناء تأديته للعمل التطوعى لتوزيع الطعام وأصر على إطعام الناس الخبز ثم حمل على الأكتاف وكان فى غيبوبة ، كنت أفضل الموت على الرحيل ، رجعت إلى حالتى الطبيعية فى أبوكبير ، أكرمتنا القرية وعالجتنا مجانا وأكرمنا أهلنا فى أبوكبير ، وقامت بعدها

66

الهدنة ، لم اذهب إلى قطاع غزة وأتينا إلى مصر ، المصريون يافدوى إنسانيون من الطراز الأول ، حاولنا الرجوع لكننا منعنا ، فكل من يخترق خطوط الهدنة يعتبر خائن ، هكذا عشنا فى مصر وشفى جرحى ، لكن جرحى المعنوى لم يشفى ، أعرف أن أبى كان يكافح أفكار ورواسب النكبة وأفكار ورواسب أقلية من أهل مصر وهى أقلية لاتذكر فالأغلبية يعشق فلسطين , ويعشق العروبة ، إرتفعت أصوات قليلة تنادى بالفرعونية وهى أفكار روم الداخل ، وكان أبى يجد صعوبة فى مقاومة الأفكار الفاسدة ، وفى هذا الوقت بالذات هذه الأفكار الثابتة هى أفكار الإستعمار وأعوانه ، وقد ثبت للأسف فى العقول الضعيفة ، عددا من الضباط الأحرار فهموا ملابسات حرب فلسطين وكان هؤلاء الضباط نواة الوعى القومى فى مصر وقد ذاق الشعب المصرى الحبيب مرارة الإستعمار والإستعمار فى كل مكان والعرب هم العرب فى كل مكان.
أجل يافدوى إحك لى يا أبى سأحكى لك يافدوى يا أعز بناتى وأكثرهن جمالا وطيبة وفهما لأبيك ، لقد طاب جرحى فى الفخذ يوم قامت الثورة المصرية فى سنة 1952 ، وبدأنا نعرف الطريق الذى يمكن أن يوصلنا إلى فلسطين ، الطريق الذى يوصلنا إلى حقوقنا وكرامتنا لنصل إلى ضفاف الحرية ، وعرفت يا إبنتى بعد قيام الثورة المصرية إن الشعوب قادرة على فعل كل شئ وعرفت يا إبنتى معنى الحرية.

)ويستمر حديث النكبة ، فالنكبة لازالت مستمرة رغم مرور ستون عاما ونيف(
لقد عاصر أبى مصر فى أواخر عهد الملك فاروق وعاصر حريق القاهرة وعاصر مطلع الثورة ، وكان يختلط بالناس كما روى لى فى المقاهى الشعبية فى بولاق وفى شبرا وفى باب الشعرية وفى السيدة زينب ، فى كل مكان ، وحكى لى حكاء فلسطين كم كنت أرى أن من السهل جدا إختصار فكرة الوعى عند عامة الشعب المصرى العاشق للحرية الجامعى والبائع المتجول كلاهما البائع والمتعلم الإثنان واعيان.
نعم يا إبنتى لقد رأيت الموت بأم عينى ، رأيت أبومحمود الذى وقعت أكياس الدقيق الذى نوزعه وقعت عليه ، ووجدناه ميتا بعد عدة أيام ، السودانى الذى أصبح أشلاء ، رجلى الذى استمر الدم يسيل منها دون توقف لعدة أيام.
(وظل الموت شبحا يطاردنى بعد النكبة)

67

نعم يا إبنتى لقد رأيت شبح الموت وظل شبح الموت يطاردنى بعد النكبة ، ذهبت إلى أطباء الأمراض العصبية ، كانوا يقربوننى من الموت وشعرت بعقدة الخوف تقربنى من عزرائيل ، وهنا أثور عليه ، نعم أدركت طفولتى ذلك ولا أنسى يوم قلت لك أنت محطم وثرت على ، أجل يا فدوى كان لابد من فلسفة جديدة تحببنى بالحياة ، وضحكت إياك أن تكون فلسفة الحب ورغم أن أبى كان شديد التحفظ فيما يتعلق بالأمور العاطفية إلا إنه عندما كان يحكى لى كان فى مراحل عمره الأخيرة ، وابتسم فقلت له إنها جارتنا الجميلة لولى ، رأيتكما تجلسان على حجر وكانت لولى شديدة الجمال خصرها من الفردوس وساقاها من سوق الكوارع ، وأمى يا أبى أمى ، أمك حبيبتى الأبدية ولولى كانت الدواء لأشفى من جرح بالغ معنوى لاشفاء منه ، كانت لولى يافدوى تبكى لأتفه الأسباب حتى ولو ضايقتها قطة على الباب أو إذا تأخر زوجها خمس دقائق ، أو إذا تأخر بائع اللبن أو إذا حكيت لها بعض قصص اللاجئين وكانت دموعها تشبه حبات اللولو مثل إسمها لولى ، أجل يا أبى لقد لاحظت إهتمامها بك ، وسألته هل لاحظت أمى إهتمامها بك ؟ كنت مريضا بالنكبة يافدوى وكنت أشعر إنها تعانى لأنها لم تنجب أولادا ، فكنت أحاول علاجها مستعملا معلوماتى القليلة فى علم النفس ، حاولت أن أعالج لولى من حبى ، حاولت أن أفهمها بأن لها زوجا جدير بحبها وإخلاصها ، وإن زوجها هو ديكها بالكشك ، كنت أريدها أن ترجع لصوابها ، كانت لولى هى هلاوس النكبة ، وعدت لصوابى لم يكن أمامى يافدوى بعد النكبة إما الحب أو الجنون لكننى أبدا لم أخن أمك ، لقد تركت لولى فى قلبى أوتارا ممزقة ، لكنك يا أبى انتصرت على الحب كيف ؟ أجل يافدوى يا بكرى ويا إبنتى الحبيبة كان هناك شعاع واحد أتمسك به وأرى به الحياة ، كان بإمكانى أن أصمد بهذا الشعاع ، أحيانا هلاوس الحب تعالج الألم الفادح ، نعم إن عقدة الخوف من الموت سيطرت على أبى ولا أعرف كيف نقل لى هذه العقدة ، حين ذهبت إلى أبى باكية أنا خائفة من الموت ، وكنت قد تعرضت فى الثانوية العامة لنزلة شعبية حادة ، هكذا كنت توأم أبى حتى فى أمراضه ، الخوف من الموت خطأ فادح يافدوى ، والحقيقة أن أبى أحب الحياة كثيرا وقبل أن يذهب فى غيبوبة الموت رأيت أبى يتأمل أشجار حديقتنا التى زرعناها معا ، سمعته وهو يقول الحياة جميلة ، لا أريد أن أموت ياربى ، كان أبى رغم ألم النكبة إلا أنه عشق الحياة ، قلت لأبى لقد قرأت يا أبى لو لم يكن هنالك الخوف من الموت لما مات إنسان قبل المائة ، عدم الخوف من الموت يمد بأعمارنا ثم قلت الأعمار بيد الله سبحانه وتعالى ، فلكل أجل كتاب ، كنت أدخل مع أبى فى نقاش قد يكون فلسفيا وكان يحب طريقتى التى تعتمد على التحليل والإستنتاج فى التفكير.

68

كان أبى قويا بوعيه القومى وفى فترة عبدالناصر كان أبى شديد التفاؤل ، غريزة الحرية فى دم أبى وقد ورثتها عنه ، وكان أبى يردد كلنا عبدالناصر كلكم عبدالناصر كما قال عبدالناصر كلكم عبدالناصر ، وهذه آخر جملة سمعتها من أبى قبل أن يموت ، بل وقبل أن يغيب عن الوعى كان يمسك بجريدة الأهرام .

الحقيقة لم يشف أبى من جرح النكبة ، لكنه سيطر على هذا الجرح فى العصر الناصرى.

)تفاءل أبى كثيرا فى العصر الناصرى ، لقد شعر جمال عبدالناصر بالفلسطينيين وكما قال لى : عبدالناصر إرادة قومية عبقرية ، عبدالناصر نصير الفلسطينيين ونصير الفقراء والمعدمين(

سافر أبى إلى السعودية وعاش بين عشائر البدو من أجل أن يرفع مستوى معيشتنا وعاش أبى فى المملكة العربية السعودية فى وقت كانت القرى السعودية تعيش فى ظلمات حالكة من الجهل والمرض والتعصب والتعب والتخلف عن ركاب المدنية ، وعمل فى قرية إسمها الظفير وتقع جنوبى الطائف ، ومن الظفير كانت تصلنا رسائل أبى ونحن نعانى من بعده عنا ، لقد ذهب أبى إلى قرى السعودية ونشر الوعى القومى بين عشائر البدو فى الظفير وتوّل ، ذهب أبى إلى القلب إلى مهبط الوحى ، كان يطلق قصائده القومية بين الأمراء ، وكان يكتب فى جريدة البلاد ، أجل يا أبى لقد جعلت الجزيرة العربية تشعر بالقضية الفلسطينية فالجزيرة العربية أمنا الرءوم ، لقد تخلفت المملكة العربية السعودية عن ركاب المدنية وهى مبعث المدنيات السامية ، والسعودية منبع الحضارة العربية والإسلامية.

عمل أبى كما ذكرت فى السعودية فى قرية إسمها الظفيروتقع جنوبى الطائف ، ومن الظفير كانت تصلنا رسائل أبى ، لقد ذهبت بعده بسنوات إلى السعودية فماذا رأيت ؟ وماذا سيكتب ابن بطوطة لوعاد ليكتب الآن فماذا عساه أن يكتب ؟ ومن هنا تأتى جناية الذين يؤخرون الناس باسم المحافظة على الدين ، فإذا أسكن إبراهيم زوجته وولده فى واد غير ذى زرع عند بيت الله المحرم فليس معنى هذا أن يبقى ذلك الوادى بغير ذى زرع إلى أبد الأبدين ، إن الله أمر البشر وإبراهيم أن يعمروا الأرض بالفكر كان سكان الجزيرة العربية ذوى فكر ومهارة ، ولابد أن يعاودوا سؤددهم ، فالإسلام هو العلم وأول آيات القرآن الكريم " إقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الإنسان من علق ، إقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم ، علم الإنسان مالم يعلم. "

69

لقد عشت مثلك يا أبى فى السعودية فى فترات كانت صعبة ، وكنت أنظر من نافذة السيارة وأنظر إلى قرى السعودية مثل الخرج والقصب حين كنت أزور مع زوجى محمود أخى أحمد فى القصب وأخى ناصر فى الخرج ، كنت أرى أشجار الشوك ومع ذلك فالبدو أذكياء احترموا الطبيعة التى عاشوا فيها واندمجوا بها رغم إنها شحيحة ، البدو يا أبى يعرفون أسماء الأشجار والشجيرات ورغم الشجيرات المغروسة القليلة يا أبى فى هذه البرارى إلا أن السعودى يقول هو خير من عند الله.

لم يحج أبى ولكنه أدى العمرة أكثر من مرة وكان يقول لى الركود فى المسجد الحرام لا يعادله إلا الركود فى خمائل الفردوس الغامض المحبب إلى النفوس المطمئنة ، أبى كان مؤمنا إيمانا قويا جمع مئات الكتب عن الدين الإسلامى.

كان أبى فى الظفير يعانى من الحر اللاهب وعاش ليالى لاهبة وهو وحيد ليجعلنا نتعلم وليجعلنا نتجاوز الفقر الذى خلفته النكبة ، أجل يا أبى كنت ترتق الحياة كى نعيش ، كنت لا تعبأ بأى مصير من أجلنا ، من أجل أن نكون المتعلمين والمميزين ، بينما أفكار الضياع وأفكار النكسة السوداء تستولى عليك ، لقد تغلبت على الخوف ووجدت شجاعتك بالعمل والهدف ، حبات الملح تسيح من جسدك عرقا ، أمتن لك يا أبى لأنك قاومت إحباط النكسة السوداء ، العرق يتصبب من معصمك ، وأنت مصمم على تعليم أولادك

وتثقيفهم ، تسعى لأن تتسسلم من الحياة أعظم جائزة وهى تعليم أولادك وبناتك وقد سلمتك الحياة الجائزة ، فقد حصل أولادك وبناتك على أعلى الشهادات ومنحتهم الطريق لأعمق ثقافة ، أشك يا أبى أنك كنت تنام على سرير الغربة راضيا أو مطمئنا لكن هدفك كان عظيما ، كان قلبك معنا وكانت قلوبنا معك ، فأنت يا أبى البوصلة التى تحمينى من تشتت أفكارى وتحمينى من الخوف من الحياة ، إن أجمل مافيك يا أبى حنانك على أيها الرجل القوى.

لم يكن هنالك حل آخر أمامك يا أبى إما المقاومة أو الإنهيار ، ولقد اخترت يا أبى المقاومة فهنيئا لك المقاومة.

( الأنا العبقرية خلقت غريبة والغرابة طبع أبى )

كان أبى يخاف على العرب ومن العرب كان يخاف أن يأكل العربى أخيه العربى ، نحن العرب يافدوى تسرى فى دماءنا أعظم الحضارات ، لابد أن نعى ذلك ، أعظم مافى أبى أنه كان يفكر فيما هو غير معتاد ، أجل كان أبى غير مباشر فى تفكيره فالماورائية حاضرة فى ذهنه ، وأنا الغارقة بفقرات التفكير ، وأجمل مافى أبى إنه

70

المثقف الثورى الملتزم إنه يشبه مثلنا الأعلى عبدالناصر المثقف الثورى الواعى والملتزم ، التفكير المركب ديدن أبى وديدنى.

نعم تغلب أبى على أيامه المريضة ، تمردت يا أبى على كسرة النفس التى أحدثتها النكبة السوداء ، نعم يا إبنتى عشت بعيدا عنكم وأنا معكم ورغم الجو اللافح فى الظفير ورغم التخلف إلا أننى تمنيت عودة ابن بطوطة ليصف أسراب سيارات الكاديلاك الفاخرة والكازينوهات والمتنزهات ، أجل يا أبى لكن كل هذا لم يغير طبيعة الناس التى يجب أن تتغير وتتطور مع الزمن ولابد من الإنتصار على عصابات الجهل .

لكن أبى كما حكى لى أصاب هدوءا فى الظفير ، عالج هذا الهدوء أعصابه المكدودة ، ثم عاد أبى ليستقر فى القاهرة وليعمل فى منظمة التحرير الفلسطينية ، وكان عمله فى إذاعة فلسطين.

( كان أبى رحمه الله سراجى الفكرى)

لقد احتل أبى مكانة مهمة فى حياتى وكان لى الرائد والرمز والأستاذ ، لقد حصدت من بحره لآلئ الأفكار ، لقد كان أبى السراج الفكرى لى ، لقد أشعل أبى فكرى ، وترك لى حكايات فلسطين التى لا تموت.

تعذب أبى كثيرا لفقد فلسطين ، لقد عشت مع أبى بقلبى وفكرى ، ولقد علمنى أبى الإندماج فى الكون والإندماج فى المعرفة.

الأبجدية كلها تفتقد عاشق القدس الذى كتب موسوعة بيت المقدس تلك الموسوعة الخالدة ، هكذا أكتب قصة حياة أبى من البداية إلى المنتهى ، حيث لا منتهى.

إن كتابة انطباعاتى عن حياته ليس سيرة ذاتية بل سيرة فلسطينية ، فلم أر أبى إلا ممسكا بالقلم يكتب فلسطين والقضية كبيرة ، إنها محنة العرب وليست محنة الشعب الفلسطينى فقط ، ورغم كتب الفولكلور التى كتبها ببراعة وعمق إلا أننى أقف كثيرا أمام العمل الموسوعى الضخم الذى أنجزه وحده ، فإما الكتابة أو الجنون بعد النكبة السوداء.

إن رومانسيتك العبقرية هى التى جعلتك تقضى حياتك كلها وأنت تكتب الوطن شبرا

71

شبرا ، وحرفا حرفا.

كان أبى رحمه الله قويا ، وكانت إرادة المعرفة عنده تتطابق مع إرادة القوة ، ليتنا نؤمن بأن نكون أقوياء أو هذه القوة الناعمة ، تلك الصفة التى صبغها الدكتور العظيم " حسام عقل " حين تحدث عن أبى وهو يؤبنه فى مستشفى فلسطين ، لقد كان أبى يطبق مقولة ديكارت " : أنا أفكر إذن أنا موجود " كانت تشغل أبى الأدوات الكبيرة والصغيرة ، وكنت تعيش من أجل فلسطين وأخالك فى لجة الموت تحلم بفلسطين الحبيبة.

عرفتك يا أبى فعرفت نفسى يا أسطورتى الفؤادية ، كنت معى ضد قابيل الذى يقف ضدى ويظلمنى ، كنت تحكى لى الوطن ، تحكى لى تكوينك الأول ، تحكى لى وكنت أصغى لشحناتك الروحية والقلبية عن فلسطين.

كنت مستبشرا خيرا والعلماء الحقيقيون والمفكرون هم الذين لا يغلقوا الأبواب ، ولا يجلدون الذات فجلد الذات يقودنا إلى التأخر ولا أعرف لماذا نحن العرب مغرمون بجلد الذات وجلد أنفسنا وجلد الآخرين وكأننا نستمرئ عملية الجلد.

والعباقرة الحقيقيون يعرفون أن ثبات الحال محال ، لم يكن أبى يؤمن بالعبث والعدم وجلد الذات ، كان العقل حكما لك تحتكم إليه ، وكان العقل ديدنك وكما كنت تقول لى دائما : الإرادة هى ديدن الحياة ، وأنا بعدك يا أبى أشعر إما بخطوة نحو الموت أو قفزة نحو الحياة ، قد يحفزنا الألم وقد يغتالنا ، ولا ثالث.

)العطر فى عباءتك أبدى وكلما اشتقت لك أتنسم عطرك الطاهر فى عباءتك(

وأتخيل أبى يسألنى وأين دستور أبيك فى الحياة ألا تعتنقين هذا الدستور ؟ أين دستور الإنتصار ؟ فللهزيمة أيضا دساتيرها ، والوحدة والتلاشى والعدم والسوداوية.

أين الشحنات البركانية ؟ شحنات النضال التى تعمل فى قلبك المؤمن بعروبتك وقضيتك الفلسطينية.

وأنت يا أبى الذى جعلتنى المعادل لنجاح الثورة الفلسطينية لو نجحت ، بعدما حصلت على لقب الشاعرة الأولى لجامعة عين شمس وتسلمت جائزتى شهادة بأننى شاعرة ، ومبلغا من المال فرحت به كثيرا ، قلت لى أعرف يا إبنتى إنك سترثينى

72

ككاتبة لفلسطين إنك من الجيل الجديد ، والجيل الجديد يجب أن يحمل الشعلة ويجب ألا ينسى الوطن ، نعم يا أبى لن تموت فلسطين وثوار فلسطين يتوالدون.

الأجساد القذرة التى تخون فلسطين هى التى تتعفن أما الشهداء فهم أحياء عند ربهم يرزقون.

ويأتينى صوت أبى وهو يقول وقد اعتاد أن يقول لى هذه العبارة حين يجدنى محبطة يقول لى : لا يكبر عليك البحر يافدوى ، الألم لا يصنع تفوقات ، القوة هى التى تصون كرامة الإنسان .

نعم يافدوى أعرف أننا نغتال أنفسنا فى هذا الزمن الأسود ، وإننا داخل منطقة الفساد بينما يتربص بنا التوحش الصهيونى ، الصهاينة يتحفزون ونحن نغتال أنفسنا ، أليست هذه يا أبى المهزلة ؟ نعم يا إبنتى إننا نواجه الطوفان ، علينا أن نقاوم علينا أن نتحد وإلا غرق العرب جميعا.

إستيقظت من النوم وصوت أبى يرن فى أذنى ، ياعرب إحذروا الطوفان ، أتمنى يا أبى أن تعود لنا روح القومية العربية وأن يعود لنا اليقين القومى ، واليقين الوحدوى ، نعم يا أبى لن نكون موتى على قيد الحياة كما يريد الصهاينة لنا ، سنغنى لفلسطين وللعروبة ، سنظل نقول مالا يريدونه الصهاينة ولن تكون فلسطين لهم وأوراقهم سيزروها الرياح.

يا أبى يسقط كل من يقول العروبة موديل قديم لا تناسب العصر ، يسقط كل من يتخلى عن العروبة ، يسقط يا أبى كل من يظلم العروبة.

نعم يافدوى إن الذين يقولون للظلم مرحبا سيفشلون وأوراقهم سيزروها الرياح ، أوراقهم الفارغة

الخائنة سيزروها السحاب والعواصف ، أوراق الجهل أوراق الشراهة لحب المال والمناصب.
وأجمل مافيك يا أبى إنك لا تصغى لصوت جلجلة الأعداء ، كنت لا تسمع للظالمين ولا تهتم لهم ، تقول لى دعيهم يجلجلون ويقرعون الطبول ، إنها الطبول الزاعقة لا غير ، نعم يا أبى لماذا أصبح البعض يجلجل ويظلم ولا يفعل شينا سوى أن يقرع الطبول ؟ ومتى سنفكر تفكيرا عميقا ؟

73

آه يا أبى كنت أظن أن الإخضرار أبدى مثل الطبيعة ذات الإخضرار الأبدى ، كنت أعتبرك رمزا للطبيعة الأبدية وكنت الإخضرار الغامق والقوة الممزوجة بالطيبة هذاهو تكوينك يا أبى.
ها أنت يا عاشق الطبيعة تتوسد الطبيعة فى قبرك ، فهناك شجرة صفصاف خضراء وارفة تطل على قبرك ، جلست بين قبرك والشجرة هبت نسائم مشتركة بينى وبينك ، الشجرة بجانبك تحتضنك يا أبى ، أحمد الله أبى يتوسد الطبيعة شكرا لك يا حبيبى يا إلهى ، أراك يا أبى تسبح فى سماء بسحب منفوشة وبسحب قطنية.
لقد عرفت يا أبى كيف يسير الألم على قدمين بعد أن ودعتك الوداع الأخير ، كانت لأبى طباع خاصة جدا ، كان صريحا صراحة تامة , وهو يسمع فى الأمور الإجتماعية أكثر مما يتكلم ، وكان لأبى رحمه الله ذاكرة فولاذية فيما يتعلق بفلسطين وخاصة فيما يتعلق بالقدس ومجدل عسقلان ، وكان أبى يضع إصبعه على الخطأ ولا يهرب من الخطأ ، ولا يتعالى على الخطأ.
ولم يكن أبى يسترضى سوى الحق ولا يهمه غير الحق ، وكان دستور أبى الصدق فى كل مراحل حياته ، الصدق مع النفس والصدق مع الآخر ، يتميز أبى بالسرد العميق وقد كان يعطى الوقائع أعماقها ، إنه رجل فكر ، ورغم حب أبى للآداب الكلاسيكية إلا أنه أحب المعاصرة ونفذ إليها ، وكان أبى رجل سياسة من االدرجة الأولى وجهود أبى واضحة فى الحياة السياسية العربية والفلسطينية على وجه خاص ، وكما ذكرت كان أبى رحمه الله واسع الفكر ، جمع بين الثقافتين العربية والأوروبية ، تمسك أبى بأصالة الثقافة العربية ، اسلوب أبى فى الكتابة عالى ويعتمد على العمق والحكمة ، فالحكمة جزء من تفكير أبى فى الحياة ، وأثرى أبى المكتبة العربية بالموسوعة موسوعة بيت المقدس وأثراها بكتب التراث وبآرائه السياسية والإبداعية ويبدو ذلك واضحا فيما كتبه فى كبرى المجلات العربية.
)وكان وصية أبى أن أستمر شجرة حية وارفة الظلال وأن أكون شجاعة فى مواقفى(
وكان أبى فى كتاباته يحافظ على التقاليد القومية والعروبية واللغوية ، هدأت إنفعالات أبى فى الستينات ، لم يكن خلاص أبى بالهروب ، ولم يكن خلاصه فى حب أنثى تتفجر جمالا " لولى " وكان خلاص أبى فى العمل من أجل فلسطين ، فانشغل أبى بالثورة الفلسطينية هكذا كان الخلاص عند أبى العمل الدائب من أجل

74

فلسطين ، كان أبى يقرأ كأفضل من يقرأ ، قراءة شاملة سريعة قراءة سياقية ماورائية وقد علمه هذه الطريقة فى القراءة أساتذته فى الكلية العربية.
وكان أبى ينام قليلا ويعمل كثيرا ويفكر كثيرا وكان أبى حزينا لأن الأدب الفلسطينى لا يترجم ، لو ترجم الأدب الفلسطينى للغات العالم لفهم العالم قضية فلسطين على نحو أكبر.
خصص أبى حياته لكتابة لا تنتهى عن وطنه فلسطين ، الوطن الذى حرم من رؤيته ، مات أبى بعيدا عن فلسطين التى أحبها لكنه وهو يحتضر سألنى هل أنا فى فلسطين ؟
كان أبى فى اللاوعى يريد أن يعود للمنبع ، تنتهى حياتك يا أبى فيختفى غبار الموت , أحقا سأترك أبى

فى كهف وأمضى أعود وحيدة أعانى من عدم البقاء وفكرة اللاثبات واللااستقرار تسيطر على ، قلبى محطم والشوارع حزينة ومكرورة.
الحياة بعدك موحشة موحشة موحشة ، وحشة لامثيل لها ، وأسأل الحزن هل انتهت الحياة ؟ أحملق يا أبى فى المرآة فأجد وجهى قطعة رخام مترب ، الحياة بعدك يا أبى مرعبة وكل الوجوه أتصور أنها غاضبة غضب الموت ، أعود وحيدة وقلمى محطم حزين ، آه يا أبى لقد رحلت ونحن الآن نعانى من محاولة تشويه الطابع القومى العربى ، إننا نتعرض يا أبى لقهر سياسى وقهر ثقافى ، الفوضى الخلاقة الأمريكية يا أبى تريد تقسيم العالم العربى ، وأتذكر أن أبى حدثنى عن محاولة صهينة فلسطين منذ عام 1800وطوال القرن التاسع عشر ونحن العرب فى غيبوبة عن الوعى.
إن ما ينقصنا يا فدوى الآن النخب المفكرة ، إن ما ينقصنا هو التفكير الواعى ، منذ أن مات جمال عبدالناصر ونحن نعانى من الخمول السياسى ، لابد أن نقاوم الذين يطمسون عروبتنا ، إن من يحتلون بلادنا صهاينة غير يهود والصهاينة غير اليهود هم واضعوا أسس فكرة تحويل فلسطين إلى وطن قومى أما الصهيونية الرسمية ظلت حتى أوائل القرن الحالى تبحث عن أى أرض لتتخذها وطنا قوميا ، إن الصهيونية يا إبنتى غير اليهودية.
واللورد بالمرستون من أبرز الصهاينة غير اليهود وقد لعب دورا كبيرا وهذا الرجل هو الذى تولى وزارة الخارجية البريطانية.

75

فى عام 1882 احتلت بريطانيا مصر وفى العام نفسه بدأت الموجة الأولى من الهجرة الصهيونية وفى سنة 1903 دفعت انجلترا 1000 مهاجر سنويا من روسيا وروما وبولندا إلى أرض فلسطين ، هكذا تحولت هجرة الصهاينة إلى فلسطين من الأمور المنظمة المخططة.
حدثنى أبى لماذا يحب جريدة الأهرام ، لقد رأيت أبى قبل أن يغيب عن الوعى بحوالى ساعة كان يحاول أن يقرأ فى جريدة الأهرام أو كأنه يودعها ، وكان يحرص أبى على قراءة هذه الجريدة ولا يقبل غيرها ، قال لى الأهرام تمثل الصحافة الرصينة عندى ، لقد تنبهت يا فدوى الأهرام إلى الخطر الصهيونى فقد كانت فى مقدمة الصحف العربية التى أدركت الخطر الصهيونى على فلسطين ، لقد انفردت بالإهتمام الشديد فيما يتعلق بهذه القضية القومية ، تلك القضية الشائكة.
إن تمييز الأهرام يأتى من فهم الأهرام للحركة الصهيونية ، لقد لعبت الأهرام دورا كبيرا فى توعية العرب وتنبيههم إلى الخطر الصهيونى.
ويحكى لى أبى أن القوانين العثمانية كانت تحد من وتحذر من الهجرة الصهيونية لكن القوانين كانت تفقد قيمها عند الإداريين العثمانيين ، وكانت جريدة الأهرام تحذر من خطورة الهجرة الصهيونية لفلسطين ، لقد ألمت الأهرام بنشأة الصهيونية وأطماعها فى فلسطين ، إنهم يافدوى يبحثون عن وطن لهم ، يا إلهى كانوا يبحثون عن أى وطن.
إن ما يؤلمنى ألما شديدا يا فدوى إننى أرى وإلى الآن وحتى هذه اللحظة التى نتحدث فيها سويا لم يكن يدرك العرب الأهمية القصوى لخطورة الحركة الصهيونية ، الغريب يا فدوى أن الزعماء العرب وبعض أتباعهم منذ أول نشأة الصهيونية وإلى الآن هناك نخبة تهادن الصهيونية وتعترف بها.
إن مانحتاج إليه إحتياجا ملحا هو النخبة القيادية يجب أن تتوحد لدرء الخطر الصهيونى ، والحقيقة أن هذا الرأى الذى طرحه أبى هو حقيقة لا تزال تسرى فى واقعنا ، بعض العرب للأسف يؤيدون الصهيونية وهذا هو الخطأ الفادح ، كان ابى رحمه الله يدرك أن المصالحة مع الصهاينة أمر فادح.

## فعل الصهاينة

**وماذا يا أبى ؟ أزالوا البيوت أزالوا الشوارع ، دمار ومشردين ، مخيمات الصفيح ، هل تكون هذه أبدية الفلسطينى يا أبى ؟**

**76**

**أقول لأبى أين الحياة ؟ جراثيم ، برد قارس ، صيف حار ، لا غذاء ، أطفال يولدون عجزة ، الأعصاب خائرة ، أطفال لا يمشون ، خيام ثم خيام ثم خيام ننظر بيوتنا المهدمة ونحن نجلس على الأطلال ، من المخيم نطل على دورنا المهدمة ، الصهاينة يغيرون كل شئ حتى شوارعنا ومعالم دورنا ، مرارة لا يستطيع الإنسان تحملها ، أطفال فى المخيمات لا يستطيعون تحمل الحرارة والبرودة هكذا غدا حال الفلسطينى ، هذا ما حدث للفلسطينى بعد النكبة الذى عاش فى داخل الأرض المحتلة أكله الفقر وأكلته الغربة داخل وطنه وهو يسكن الخيمة أمام بيته المهدم وخارج وطنه فى المنفى وذله فى المنفى.**

**وحاول الفلسطينى ترويض واقعه ، والفلسطينى يشهد له بعبقرية الصمود ، وفوق أغصان السؤال عاش قلمى ، وقلم أبى كل هذه المعاناة ، نشرب كؤوس الرحيل ويصبح الزمن مكرورا ودامى الإيقاع ، نعيش فى منفانا فى كنف نحيب القلب عشت يا فدوى .**

**وعشنا فى نقصان كبير ما كان ينقصنا هو الوطن ، كانت الشمس جريحة والسعادة محالة ، كانت حياتنا لا تعرف الإشباع ، فنحن أمام نقصان خطير ، ما ينقصنا هو الوطن وبدون الوطن كيف نبحث عن سعادة الإكتمال ؟ وظلت الحياة فى المنفى غير مفهومة ، لقد تناءت سماء فلسطين ، لم نتحمل الحنين الموجع ، المنفى حمل دلالاته المعنوية الحارة الحزينة ، المنفى كان قيدا ، هذا القيد حرمنا معنى الحرية ، وكيف وقد أصبح المنفى سرمديا ، هكذا أصبحت الغربة جزءا من كياننا.**

**لكنك يا أبى حولت الغربة إلى طاقة عندما عملت فى منظمة التحرير الفلسطينية ، لاحظت يا أبى هذه الطاقة الهائلة التى تمتعت بها فى العصر الناصرى ، نعم زال الشرود ورأيت أبى القطعى اليقينى الذى يسعى للتحرير ، زال الوصم ولم يعد أبى يتأمل ما حوله وعرفت إن القوة طريقنا الوحيد لتحرير فلسطين ، وكانت لأبى خصوصية ثقافية يجبره ضميره على استغلالها لصالح فلسطين هذه الخصوصية الثقافية تدفعه ليكتب فلسطين.**

**إحك يا أبى أنت معى ، الموت يا أبى لا يبعدنى عنك ، حواراتنا مستمرة ، لقد عشنا يا أبى زمنا عصيبا وكل فلسطينى سواء داخل الوطن أو فى المنفى ، كل فلسطينى يعيش الآن زمنا عصيبا ، نعم عشنا معا آلام الحنين ولكن يا أبى الحلم كان يمنعنا**

**77**

**من اليأس ، آه يا أبى الموت أيضا يخذلنا لأننا نظن أن الحياة أبدية ، لقد رحلت يا أبى لكننى أقف كثيرا أمام أفكارك العظيمة.**

**كنا متلازمان كالمرايا المتقابلة تعكس إحداهما الآخرى ، كنت تكشف لى الحياة وأكشفها لك ، بعدك أنا مبعثرة حائرة فموتك كان مقصلة لى.**

**ها أنا أسجل أحاديثنا وأسجل أعمالك فقد عشنا زمن المخاضات الكبرى ، رحلت وتركتنى يا أبى فى المخاض الذى لا يحتمل ألمه ، ماذا يا أبى لقد فتحت عيناى على مصائب الفلسطينى ، المدرسة كانت تداوينى أناشيد المدرسة وحين كبرت أصبحت حكاياتك هى التى تبلسمنى ، علمتنى الفصاحة وكيف لا وأنت تفضل شراء الكتاب عن شراء الطعام ، كل أحاديثك لازالت تعلق فى ذاكرتى ، منحتنى يا أبى الملامح الفلسطينية ومنحتنى هويتى ، حضورك يا أبى قويا ومميزا ، وإلقائك يا أبى رائع سواء فى الخطب أو الشعر.**

كنت فارسا مميزا فى إذاعة منظمة التحرير بفكرك وسلوكك وثقافتك العميقة ، إن ما كان يلح عليك يا أبى عروبة فلسطين ، إن الضعف العربى لن يلغى القضية الفلسطينية هذا ما يراه كل عروبى حر أصيل .

عشق أبى المجدل مجدل عسقلان مسقط رأسه ، حدثنى عن عادات وتقاليد الشعب الفلسطينى ، حدثنى عن الأعياد والمواسم والحفلات ، حدثنى عن وسائل التسلية وشغل أوقات الفراغ فى عسقلان ، حدثنى عن تقاليد التجارة والصناعة والزراعة وعن أشكال العمران فى فلسطين ، حدثنى عن تقاليد التجارة والزراعة والصناعة والأسواق.

وصف لى زخارف المساجد والمنازل وهيئة الأزقة والحوارى ، حدثنى عن المهن الشعبية وطبقات المجتمع على إختلاف الأنواع ، كالفلاحين وعاداتهم والرعاة ومزاميرهم وأسمارهم والبدو فى حلهم وترحالهم والنداء وألغازهم ومعلمى الصبيان وصبيانهم.

حدثنى أبى عن أهازيج أهل المجدل ، حدثنى أبى عن المسعودى الذى ذكر أهل فلسطين حتى فى الأساطير التى ذكرها عن عن أنواع الجن وعن العنقاء وهى طائر خرافى غريب الشكل والحجم والتصرف وقال لى أبى : إن هذا الطير نشأ فى أنحاء بيت المقدس ثم انتقل من هناك إلى نجد والحجاز فى ديار قيس عيلان.

78

وحدثنى أبى كيف ذكر المسعودى الأنبياء الأول ومدى إتصال سيرتهم بفلسطين مثل إبراهيم وأبناء إبراهيم وداوود وسليمان وموسى وعيسى عليهم السلام ، وتحدث عن الأوائل وكيف سار العرب إلى اليمن وعاد إلى الأحقاف ، وكيف كانت ) إرم ذات العماد ( بدمشق وكيف نزل ثمود الحجر وكيف اتجهت )طسم ( نحو البحرين ) وجديس ( إلى اليمامة ثم كيف أن بعضا من ملوك ) العماليق ( كانت بفلسطين ، لقد نزل كنعان بن حام نزل بلاد الشام فهم الكنعانيون ، وبهم تعرف تلك الديار وقيل بلاد كنعان.

ولم يغفل المسعودى يا إبنتى فدوى أخبار فلسطين وأحوال أهلها من خلال حديثه عن رحلة الشتاء والصيف وسنحاريب والإسكندر وقادة الرومان والغساسنة من بنى جفنة والفتوح ، والممالك العربية والإسلامية.

آه يا أبى على الفلسطينى أن يتمسك بالثوابت الفلسطينية ، تصور يا أبى إسرائيل ترفض إعطائنا 22% من مساحة فلسطين.

علينا أن نتمسك بالقرارات الدولية ، إنه وطننا منذ الأزل ، لقد ذكر المقدس من أسماء البحر الميت بفلسطين بحيرة لوط والبحر الميت والبحيرة المقلوبة ، لكنه لم يفسر لنا لماذا سميت بالمقلوبة.

وكانت رحلة الفيلسوف أبى حامد الغزالى إلى فلسطين قد أوحت بكتابة أجزاء رئيسية من كتابه ) إحياء علوم الدين ( ففى مدينة القدس كتب الجزء الخاص بقواعد العقائد من كتابه ، ومن القدس توجه إلى الخليل لزيارة مقام سيدنا إبراهيم وشاهد فى القدس والخليل الإحتفالات الدينية ، لقد أوحى إليه المكوث فى فلسطين أرض المقدسات الطاهرة من خلال النفحات الروحية ، إن الطريق الصوفى هو الموصل إلى المعرفة اليقينية والسعادة الحقيقية ويصف ابن جبير أحد مساجد ) عكا ( ويذكر أن عند محرابه قبر النبى صالح عليه السلام ، ويذكر فى شرقى عكا عينا باسم عين البقر عليها مكان مسجد يقدسه المسلمون والنصارى على السواء ، وإنه يقال إن الله أخرج من تلك العين البقر لآدم.

أما ياقوت الحموى فقد كتب معجم البلدان بعد أن رحل للتجارة ومعرفة البلدان ثلاث مرات أتبعها بآخرى لم تنقطع إلا قبل عامين فقط.

79

تحدث ياقوت عن حمامات الحسينية قرب طبرية وقال إن فيها إثنى عشر عينا يختص ماؤها بعلاج مرض معين إذا اغتسل منه المرء شفى من مرضه وعندما ذكر ) رأس الناقورة ( فى أقصى شمال فلسطين أكد ياقوت إنه رأس جبل زعموا إن الإسكندر نقره ليسلك إلى طريق شماليه فسمى بالناقورة ، أما ابن بطوطة الذى قام برحلاته فى القرن الرابع عشر الميلادى وهى ثلاث رحلات ، وكان بر الشام بما فيه فلسطين قد ورد فى رحلته الأولى بين عامى 1349 – 1325 م.

وصف ابن بطوطة مسجد الجاولى بمدينة غزة بفلسطين كما وصف أسواقها ووصف مسجد مدينة الخليل وتحدث عن قصة الإسراء والمعراج إلى القدس وإن جبريل مر بالرسول على قبر إبراهيم فى الخليل ، وعلى مهد عيسى فى بيت لحم ليصلى عند قبر كل منهما قبل أن يأتى إلى الصخرة فى القدس ، وتحدث عن قوم لوط ، وذكر كثيرا من مزارات الأولياء الصالحين فى منطقة ) الخليل - القدس – البحر الميت ( والأخبار المتعلقة بهم وكذلك عن مدينة القدس نفسها ، فوصف المسجد الأقصى بالتفصيل والمشاهد المباركة فيه.

وتحدث ابن بطوطة عن مشهد سيدنا الحسين بن على فى أرض عسقلان بجنوبى فلسطين ، وعن وادى النمل الشعبى فى تلك البقعة ، وتحدث عن أهل نابلس وشهرتهم فى صناعة الحلويات ومنها الحلواء الشعبى المصنوع من لب الخروب.

ويحدثنى أبى عن رحلات حديثة فى عصرنا الحديث كرحلة قام بها عبدالوهاب عزام فى عام 1940 ورحلة الشام لعبدالقادر المازنى سنة1936 وفى رحلات عبدالوهاب عزام حديث عن غار لشمشون الجبار فى الطريق بين اللد والقدس بفلسطين ، وعن كنافة نابلس وعن محتويات التكية البخارية فى القدس ودلالاتها.

آه يا أبى أتناثر فى الحزن
بدون حنطة
بدون ثياب
أطفال بلادى
بدون بدون بدون
يا أبى

80

تلوت على وصيتك
احك الوطن يافدوى
حتى لايتحقق مايقولون
يموت الآباء
وينسى الأبناء
لن أنسى يا أبى وصايا الزيتون
ومهما كثرت تجاعيد القلم
وتجاعيد القلب
سأحكى حكاياتك
حكايات الوطن الأبدية
مساحات الوطن شاسعة
فى قلبى وفى قلمى

أيها الفلسطينى
سأضع فى صدرك قلادة الإنتصار
وقلادة الصمود
نبوءة الإنتصار يا أبى
لن تموت
إننى أعتنق النبوءة

لم يكن أبى يكتب حينما يكون فى أحسن حالاته النفسية إنه يكتب كواجب سواء كان معتدل المزاج أو غير معتدل المزاج ، فهو لا يختار أحسن الحالات ذهنية.

81

كان أبى شديد الصبر على الكتابة ودقيقا فيما يكتبه ، وأعتقد أن الكتابة هى مايريد أبى أن يفعله فهى شاغله الشاغل ، وكان أبى واقعيا فى كتاباته لا يؤمن أبدا بتحوير الواقع أو تبريره فأبى فى كتاباته صريح وجرئ ، لايعرف أبدا قلمه أن يهرب من الواقع ، وكنت ألاحظ أن الوقت المفضل للكتابة عند أبى الكتابة فى الصباح الباكر ، فقد كان أبى ينام مبكرا ويصحو فى الفجر وأول ما يفعله أبى يجلس فى حديقة منزلنا والتى سميتها حديقة الياسمين لأننى كنت أحضر لأبى الياسمين من المشتل ونزرعها معا ( أين يا أبى القهوة الأبدية التى يرن لها الفناجين ؟)

وكان يقرأ القرآن الكريم وهو يجلس فى حديقة الياسمين وكثيرا ماكنت أتناول معه القهوة الصباحية ، ما أجمل صباحات أبى وأمى.

وإذا لم يكن أبى فى حالة كتابة فأجده يرتب فى رفوف الكتب بدقة بالغة ، وقد أشاد سعادة السفير محمد صبيح حين قال لى والدك منظم إلى درجة الدقة الشديدة .

كان أبى يراجع ما يكتب بدقة شديدة فهو لايقبل الخطأ ، لغة أبى العربية غنية وكذلك لغته الإنجليزية وكان ينشد لنا القصائد الشعرية اللاتينية.

لم أرى أبى يرتدى قناعا ولو مرة واحدة فى حياته سواء مع قلمه أو مع الآخر ، فأبى القوى يحكى الواقع بقوة.

ولم يكن لأبى بؤرة خفية واحدة فى حياته ، فهو غير مؤمن بالإخفاء فهو رجل بلا أسرار ، وأبى يقدس الإنسان ويحترم الضعيف أكثر من القوى.

لم يحدث أى صدام ثقافى بينى وبين أبى ، فقط عندما طلب منه ترشيح الشاعر الأول فى فلسطين وأبديت ترشيحى لمحمود درويش وكان محمود درويش فى أول مراحله الشعرية والمرشح الآخر هو هارون هاشم رشيد ، ورغم أن محمود درويش كان فى المراحل الأولى إلا أننى أدليت برأيى بأن محمود درويش سيكون شاعرا عالميا ، قلت له لأننى أجد أن سياقه الشعرى بلا مدى لذلك هو الجدير بذلك ، ووافق أبى ورغم أن هارون هاشم رشيد صديق ، وتعرض أبى لإهانة بالغة من هارون هاشم رشيد إلا أنه سامحه ولم يعقب على إهاناته.

82

آه يا أبى أشعر بدفق حكى قوى وأنا أكتب عنك فالقلم لايريد أن يتوقف وأنا أكتب عنك ، أشعر بأننى أكتب دفقات غنائية بطعم الحنين.

نعم يا أبى قوة حكيك غيرت حياتى لأنك حين حكيت الوطن أدركت تماما من حكيك أن الفلسطينى يجب أن يكون قوى بل شديد القوة ، وهكذا جعلتنى يا أبى أنتصر على ضعفى وأشعر بأننى قوية.

تعلم أبى فى الكلية العربية على أيدى معلمين مختلفين جدا ، تعلمت من أبى الكثير من التراث الشفاهى ،

كأن يغنى حين أحضر الشاى :
"الإبريق اللى انتصب رنت فناجيله " فأرن الفناجيل ونضحك ونشرب الشاى ونحن نتذوق طعمه اللذيذ
كان أبى يرفض رفضا باتا أن ينام أى ولد أو بنت خارج المنزل حتى ولو كان منزل عم أو خال ، فهو حريص علينا حرصا بالغا.
وحين حصلت على جائزة الشاعرة الأولى على جامعة عين شمس طلب منى الدكتور " الخربطلى " أن أذهب إلى الإسكندرية لألقى القصيدة الفائزة فرفض أبى رفضا باتا مما دفعنى لبكاء مرير فقد كنت أتمنى زيارة الإسكندرية وكنت أتوق لرؤية الجامعة فى الإسكندرية.
( أبى هو الشخص الوحيد فى حياتى الذى سمحت له أن يقودنى )
كثيرا ما شعرت بأننى شديدة الشبه بأبى وإننى مطعمة بمعظم أفكاره لقد كان أبى صديقا عظيما لى إفتقدته كثيرا ، وأبى هو الوحيد فى الحياة الذى سمحت له أن يقودنى ، فشلت أمى فى أن تقودنى وفشل كل إنسان أن يقودنى ، والسبب فى ذلك يعود لمصداقية أبى الشديدة تلك المصداقية التى لمستها بقوة ، لقد أتيح لى أن أكتشف نفسية أبى ، لقد عرفت أبى كيف يكون وماذا يعرف والحقيقة إننى ورثت هذه الصفة عن أبى ، فأبى مدرب نفسيا على إكتشاف الآخر ، فهو يغوص فى النفس البشرية وكان أبى يعرف غيره معرفة غريبة فهو له القدرة على تفسير الآخر وفهمه.
إهتم أبى بالكتابة السياسية ، لم يكن أبى شخصية هادئة ويحكى بصوت منخفض ، هو شخصية ناطقة فصيحة ، هو لايرفع صوته لكنه أيضا لا يخفض صوته ، ولم يكن أبى مثيرا للمشكلات ، المشكلات تفرض نفسها فتكون الضرورة التى تفرض عليه حلها.

83

ولو غضب أبى فهو قادر على أن يوقف غضبه فهو لا يستمر فى الغضب ، وأذكر أننى كنت أركب الأوتوبيس معه فى طريقنا لإذاعة منظمة التحرير عندما كان يقف خلفى ضابطا يدخن وأنا أرتدى بالطو فرو فإذا به يصرخ صراخا غير عادى فى وجهه مما أصابنى بخوف شديد ولكن ما أن ابتعد الرجل عاد أبى إلى هدوئه فحمدت الله.
أعترف بأننى أصبحت إمرأة منجزة تقدر العمل , هذا يعود إلى أبى الذى علمنى قداسة العمل ، وضرورة أن يحاسب الإنسان نفسه على ما يفعله وماذا أنجز فى يومه.
كان أبى يثق فى نفسه ويرضى عن عمله وكان حكيما بما فيه الكفاية ، وكانت نظرته إلى الحياة نظرة واسعة شاسعة ، وإنه يدرك أن أفكاره قوية ولغته قوية وهو واقعى ، وقد اختلفت عنه فى إننى بدأت حياتى أحمل فكرا مجنحا ، ثم بدأت أهدأ مع مرور الزمن.
لم يكن أبى يحب الحياة فى المكيفات وكان يكره البرد كثيرا ، وأبى من الناس الذين يعشقون الطبيعة وليس الغرف المغلقة.
(استمرت القضية الفلسطينية الإلتزام الضخم الذى يلح على أبى وحمل أبى معه الحنين إلى فلسطين)
لاحظت أن أبى حين يكتب لابد أن يدخل على القارئ دخولا قويا ومفاجئا ليفاجئ القارئ أينما كان موضوعه ، ولاحظت أن صدق أبى فى الكتابة يتطابق مع صدقه فى تعامله مع الحياة وهذا الصدق هو أعظم صفات أبى ، فلا شئ يعادل الصدق والمصداقية.
واستمرت القضية الفلسطينية الإلتزام الضخم الذى يلح عليه ، وكان أبى شديد الجدية وهو يمارس عمله ، يمنح عمله كل إهتمامه.
وقد أتحدث إليه أثناء الكتابة فلا يرد من عظمة الإنهماك ، كان لأبى قلب كبير فهو يتعامل بإنسانية وحنان مع كل من هم حوله.

كان أبى رحمه الله يكتب فيشعر بأنه قاب قوسين أو أدنى من فلسطين الحبيبة ، هكذا يحاول قلمى أن يرصد ومضات من حياة أبى وحكاياته عن الوطن.

84

كان أبى مقهورا بسبب الصهيونى الذى استوطن فلسطين وكان يخاف على الدول العربية التى تبدو هشة ، لذلك تفرغ أبى لكتاباته ومنحها جل وقته وكان لأبى طاقة لا يأتيها التعب وقد أدهش عمله الموسوعى الكاتب العظيم " القرعى " فقال أن هذا العمل الذى قام به فؤاد عباس وهو عمل ثلاثين جزء من موسوعة بيت المقدس هو عمل لا يقدر عليه فريق عمل بأكمله ومع شدة تدين أبى إلا أنه كان ليبراليا يؤمن بالنقاش ، إنه واحد من كبار المفكرين فى مجال الفكر القومى.

وكان أبى يرى ضرورة عدم يأس القوميين الذين يؤمنون بالعروبة ، كان لأبى رحمه الله وعيا مبكرا بالخطر الإقتصادى الذى يمكن أن يقضى على الدول العربية ، وكان يفطن إلى التآمر الذى يجمع أمريكا ودول الغرب بإسرائيل ، وكان أبى يرى ضرورة تكامل السياسى مع الإقتصادى فى الأمة العربية ، اهتم أبى بالجانب التنموى فى العالم العربى وحضر مؤتمرات تنموية فقد كان يؤمن بعدم إمكانية فصل السياسى عن الإقتصادى.

( الوحدة العربية هى الخلاص ، لا بديل للعرب عن الوحدة العربية ، شاء الحكام العرب أم أبوا، والجماهير العربية يجب أن تسعى لذلك)

وكان أبى يدرك إدراكا يقينيا إن العرب أخذوا الموقف المخالف من الفلسطينيين بعد الهزيمة وخاصة بعد موت جمال عبدالناصر ، بعد الهزيمة أصبح الفلسطينى والعربى متناقضين.

كيف حدث هذا وماذا حدث ؟ نعم يا أبى العرب رغم الإنتصار العظيم لمصر فى أكتوبر إلا أن الزعماء العرب قرروا تسكين الوضع وتنويم القضية إلى أجل غير مسمى وإذا كان العرب نائمين فأمريكا والصهيونية غير نائمين ، عين الذئب تظل مفتوحة ولا تنام ، نامت القضية واشتغل أبى فى موسوعة بيت المقدس وجعل جل إهتمامه للتراث الفلسطينى لما يحويه هذا التراث من أهمية كبرى.

وهاهى الأيام تأتينا سوداء لقد اختل التوازن الإقتصادى العربى ومع إختلال الإقتصاد إهتزت السياسة واختل توازنها ، هكذا أصيبت مجتمعاتنا العربية بالعطب وزادت مغاور الإرهاب ، وزاد اللصوص الذين سرقوا أقوات الشعوب ، وانفلت الزمام من أيدى الحكام العرب وكأننا نعيش خارج الكرة الأرضية.

( إسقاط الوعى الإقتصادى كان خطأ أمتنا العربية بل الخطر الفادح )

85

إن ثرواتنا مهدورة والتعليم عندنا أصبح ضعيفا ، لقد اهتم الرئيس جمال عبدالناصر بالتعليم يا أبى ، اهتم بالمدارس والبعثات أرسلها للخارج كنا يا أبى فى المدارس نرقص الباليه ونعزف الموسيقى.

وجاء عصر يا أبى أهملنا خطط التنمية ، أصبح لا يهمنا جودة الإنتاج ، أصبحنا لا نراقب المنتجات ، السلع الفاسدة انتشرت والأمراض انتشرت ، والذمم فسدت وأصبحنا الشعوب المستوردة وليس الشعوب المصدرة ، ألغينا الإستثمار سهلنا الإستيراد ، المصانع التى أنشأها عبدالناصر أغلقت وسرح العمال.

أجل يا أبى لقد رأيت العامل فى عمر أفندى يبكى وهو يقول لى أين سأذهب ومن أين سيأكل أولادى ؟

ألغى التخطيط منهج عبدالناصر فى الإقتصاد ، أهمل الريف إهمالا تاما فى كل البلاد العربية ، أصبح الإعلام متبجحا ، أجل يا أبى لقد رأيت المذيعة تسألنى وكأنها تريد أن تضربنى فانسحبت من المناقشة ، إنها ليست حوارات بل معارك كلامية وسوقية ، غاب الإعلام الراقى.

لقد عشق أبى أرض الكنانة وكل فلسطينى يعشق مصر الحبيبة ، نعم يا أبى مصر هى العلم والحضارة

والفن وكذلك المصريون هم أصحاب القلب الطيب.
ويحدثنى أبى عن العلاقة بين مصر وفلسطين قائلا : نحن نعتز بمصر ومصر تعتز بفلسطين ، أتعرفين يا فدوى العلاقة بين مصر وبين فلسطين ترجع إلى المراحل التكوينية الأولى للتاريخ المصرى ، هناك علاقة تداخل تاريخى بيننا بالإضافة إلى العلاقة الجغرافية ، تلك العلاقة يا إبنتى تعود للعصر الهللينستى والرومانى.
منذ الأزل قد اشتركا فى الأمن الخارجى وتدعيم الإقتصاد فى أثناء الصراع مع البطالمة والسلوقيين وهو الصراع الذى امتد فترة طويلة من العصر الهللينستى.
القدماء المصريون يا فدوى يشهدون على أن القدس فلسطينية اعتمادا على ما دونه المصريون القدماء عن جيرانهم ، كانت المنطقة التى سميت فيما بعد فلسطين تسودها حضارة الأموريين فى الألف الثالث ق – م وهؤلاء الأموريون كما تذكر بعض المراجع هم أول من بنى القدس وسموها " جيروس " ومنها اشتقت التسمية الحديثة " جيروسالم – أورشليم " وفى الألف الثانى قبل الميلاد وفد الكنعانيون على المنطقة الفلسطينية والتى أطلقت عليها الأسفار الإسرائيلية أرض كنعان حفيد نوح

86

وبدأت الوثائق التاريخية تشير إلى ظهور الشعب الفلسطينى الذى أخذت قوته تزداد وأصبح له مراكز قوية على ساحل البحر الأبيض المتوسط فى رفح وغزة وعسقلان
وأسدود وغيرها ، ثم حدثت معارك عنيفة فى النصف الأخير من القرن الحادى عشر كان من نتيجتها إستيلاء الفلسطينيين على مدينة سيلو وظلت أورشليم حوالى 1020 ق – م لا يسكنها يهودى واحد وقالت عنها التوراة أنها مدينة غريبة.
لم يسيطر سليمان على أرض فلسطين ومدنها القوية على شاطئ البحر المتوسط وإذا كان الصهاينة ينشرون الأكاذيب بأن اليهود لإقناع العالم بأنهم أنشأوا مدينة القدس وأقاموا حفلات ومؤتمرات بمناسبة مرور ثلاثة آلاف سنة على إنشائهم لها فإن هناك من المصادر التاريخية والأثرية القديمة ما يضحض ذلك:

- كشف أثرى من حفائر تل مرديخ – إيلا القديمة فى سوريا.
- مجموعة نصوص من القرن التاسع عشر قبل الميلاد أطلق عليها علماء المصريات إسم نصوص اللعنة وترجع هذه النصوص إلى أيام سنوسرت الثالث.
- ماورد فى سفر التكوين عن أبى الأنبياء إبراهيم عليه السلام.
- ماورد فى رسائل العمارنة من القرن الرابع عشر قبل الميلاد.
- إشارات من التوراة نفسها إلى أن اليهود لم تكن لها أدنى علاقة بنشأة القدس وإنهم كانوا يرون أنفسهم غرباء عنها يضاف إلى المصادر القديمة التى تؤكد أن مدينة القدس مدينة عربية خالصة أنشأها الكنعانيون منذ آلاف السنين.

هكذا يستمر حكى أبى ويحكى لى تاريخ فلسطين وتاريخ القدس ، أغمض عيناى أسترجع صورة أبى وهو يحكى لى ، إغماضات العين وهو يستعيد الذكريات ، حكايات تضئ قناديل الأمل فى قلبى وعقلى.

**( وليسأل التاريخ أزقة عكا القديمة فستحكى له )**

**إنه يحدثنى عن أرض فلسطين الأرض التى يحلم بها وأحلم بها رغم المسافات الطويلة ، كلمات أبى تقربنى وحكاياته تجعلنى ألتحم بفلسطين أرضى الحبيبة التى تحوى عسقلان وتحوى القدس وتحوى يافا موطن أمى تحوى نابلس والجليل وصفد والخليل ، تعزف روحى موسيقى الرجوع وأتذكر فيروز تغنى:**

**"سنرجع يوما إلى حينا**

**87**

**ونغرق فى دفنات المنى**
**سنرجع مهما يمر الزمان**
**وتنهى المسافات ما بيننا"**

**لقد حدثنى أبى عن فلسطين وعن النكبة ومراحل النكبة ، حدثنى عن مآسى شعبنا والمذابح التى تعرض لها الفلسطينى ، حدثنى عن شهداء بالألوف استشهدوا لأنهم عشقوا أرض فلسطين ، ولو غبنا مائة عام يا ابنتى لابد أن يعود الفلسطينى إلى أرضه ، ووصيتى ألا تيأسوا من العودة ، إخبرى ذريتى ألا ييأسوا فلابد أن نعود ، لقد ذبحوا الصهاينة الفلسطينى ومع كل مذبحة كان يولد الفلسطينى ، خذى مثلا عكا التى بقيت فى يد الصليبيين 83 عاما بعد ذلك حررها صلاح الدين ليسأل التاريخ أزقة عكا القديمة ستحكى لكم .**

**كان أبى فصيحا فى إبداعه وكان أبى يمتلك ثقافة موسوعية متنوعة ، كان حاسما ومسكونا بفلسطين ، ولم يكن أبى يعرف المجاملة ، إنه يعمل العقل حياتيا وإبداعيا.**

**هكذا رفض أبى أن يتحول إلى آلة حزن وكان عليه أن يكسر حدة الألم الذى طال مداه ، لقد بعدنا عن وطننا ستين عاما ونيف ، لكننا العائدون وكل فلسطينى أسميه يافدوى العائد ،أجل نحن العائدون إلى بلادنا المقدسة التى قدسها الأقصى وقدسها دماء الشهداء.**

**أقول لأبى : إن الذين حاربوا الفلسطينى من العرب هم الذين يفتقدون غريزة العروبة وما تحويه من كرامة .**

**عن أى ديمقراطية يتحدث الأمريكان والصهاينة ؟ أهى ديمقراطية سرقة الأوطان ؟ أهى ديمقراطية سفك دماء الأطفال وسلخ جلودهم ؟**

**يا أبى بماذا تسمى حضارة القرن العشرين وحضارة القرن الواحد والعشرين ؟ هل هى حضارة سفك الدماء ؟ ربما يكون الحيوان أشد حضارة من الصهيونى والأمريكى ، على الأقل الأسد لا يفترس الفريسة إلا حين يتأكد أنها ماتت ، الحياة حادة يا أبى بالنسبة للفلسطينى ، الكوارث التى مربها الإنسان الفلسطينى تفوق إحتمال البشر ، أجل يافدوى لقد نهب الصهاينة أرضنا وسرقوا ممتلكاتنا واستمرت عيون الصهاينة وقحة لا تعرف الخجل.**

**88**

**أشعر يا أبى أن هناك من العرب من عشق القضية الفلسطينية وآمن بها ووجدنا أيضا أعداء ناصبونا عداءا شديدا ،ولكن يوجد هؤلاء الذين يعتنقون غريزة العروبة وما تحويه من أرومة وكرامة وعزة نفس .**

**كان أبى يعشق الكمال اللغوى العريق ويسعى إليه فى كتاباته أما بدورى فإيمانى لا حدود له فى تفعيل اللغة ، فاللغة العربية رائعة فى إستقبالها لسياقات المعنى.**

وكان إختلافنا على تفسير الشعر فأبى يحرص على المعنى اللغوى للشعر ، بينما يشع الشعرى فى نظرى بسياقات إشعاعية تضيف للمعنى معنى بل معانى ، أما المعنى عند أبى فهو المعنى الأصيل الصريح.
كان أبى واسع الخيال وقد ورثت عنه غريزة الخيال ، لذلك لطالما استمتع أبى بوحدته وخيالاته ، وامتزج الخيال عندى وعند أبى بعشق الطبيعة.
كان أبى يرفض الظلم ويرفض الذل ، ويرفض الزيف ، وكان أبى يعشق كل ماهو عريق وأصيل ، إنه أبى كائن قوى فى عقله وجسده ومع هذه القوة إلا أن أبى كان رجلا أثيريا وعاطفيا ، الحدس و الإستبصار تميز بهما أبى وقد ورثت عنه هاتين الصفتين.
الحياة متوترة عند أبى فالإسترخاء بعيد عنه وإن كان دائما يحاول إستجلابه ، الإغتراب أصاب أبى طوال عمره ، فبعده عن وطنه كان سببا كبيرا فى إغترابه ، فطن أبى إلى حواراتى مع الكون وأسراره وقد عانى أبى كثيرا وخاصة فى أول النكبة من حوارات طويلة مع الوجود وأسرار الوجود ، وأعتقد أن كل المبدعين لابد أن يمروا بمثل هذه الحوارات التى قد تنهكهم وقد يظفروا فى النهاية بإكتشاف قبسات من تلك الأسرار فيكون ذلك سببا فى الإنشراح وهنا يتبدل الغم إنشراحا ، وهناك من يظل غرقانا فى أسرار الوجود ولا يستفيق ، لقد إستفاق أبى على إيمان عميق بالخالق وفزت مثله بهذا القبس السرى الذى يمنحه الله.
رقة ، دماثة ، سلوك راقى ، هذه صفات تحلى بها أبى ، حزن كثيرا أبى بعد " كامب ديفيد " وأدرك أبى الخطورة البالغة لهذه الإتفاقية فهذه الإتفاقية جمدت القوة العربية ، هكذا يافدوى استطاعت أمريكا أن تضرب الثورة الفلسطينية تلك القوة الوحيدة التى غدت ضد الكيان الصهيونى ، بعد هذه الإتفاقية توالت الهجمات الصهيونية على مواقع الثورة الفلسطينية ، يحكى أبى ذلك والألم يغور من عينيه ، فشلت سياسة الترويج للحكم الذاتى داخل وطننا المحتل.

89

لقد قضى على الثورة الفلسطينية بعد موت جمال عبدالناصر ، جمال عبدالناصر قاهر الصهيونية ونصر أكتوبر الذى حققه الجيش المصرى الذى أسسه جمال عبدالناصر .
انتقل الكيان الصهيونى مدعوما طبعا من الولايات المتحدة بمرحلة العمل العسكرى الواسع النطاق ، لقد قرروا تصفية الثورة الفلسطينية عسكريا وأرغب فى أن أنوه إن أبى طالما قال لى ثورتنا عسكريا قوية قوية أكثر مما تتصورين يا فدوى أعرف يا أبى وأعرف .
رفض العرب هذه الإتفاقية ثم وجد الأردن نفسه مضطرا للدخول فى إطار هذه الإتفاقيات ، ثم يجبر لبنان على توقيع إتفاقية صلح مماثلة مع الكيان الصهيونى ، وتنفيذا لهذا الحلم الإستراتيجى الكبير شن الصهاينة حرب حزيران سنة 1982 ضد لبنان والثورة الفلسطينية ، هذه الحرب التى شهدت معركة الصمود البطولية فى بيروت وهذه الحرب يا فدوى عززت مكانة منظمة التحرير على الصعيد الدولى وخرجت الثورة الفلسطينية من لبنان وبكى أبى وبكى قلم محمود درويش شعرا وبكيت معهما ، وكان هذا أول نتيجة من نتائج كامب ديفيد.
أما المشاركة السورية فكانت محدودة وانسحبت سوريا من المعركة ووقعت إتفاق وقف إطلاق النار يوم 13حزيران سنة1982 تصورى يا إبنتى الدول العربية كلها وقفت موقف المتفرج ، هكذا شل كامب ديفيد العرب ، هذا ما فعله كامب ديفيد بالقضية الفلسطينية وبالعرب ، جمد العرب وجمد القضية وأعرف يا أبى أن دول الخليج شغلت بتأثير هذه الحرب على أوضاعها الداخلية ، وسارع الرئيس الأمريكى بطرح ما يسمى بمبادرة ريجان لحل القضية الفلسطينية حسب منهج إتفاقيات كامب ديفيد ،

وسعى لإلغاء دور الشعب الفلسطينى ودور منظمة التحرير ، الإلغاء من خارطة الصراع السياسى فى المنطقة فى طرابلس شمال لبنان حوصرت المدينة ووقعت المعركة الكبيرة ضد المدينة وضد المخيمات الفلسطينية ومن حولها ، وقصفت القوات السورية مخيمى البداوى والبارد ، وقصفت مدينة طرابلس بشكل يذكر بقصف مدينة بيروت فى حين كان العدو الصهيونى يحاصر المدينة ويقصف برا وبحرا وجوا واستمر القتال إلى أن تم خروج المقاتلين الفلسطينيين عبر إتفاق دولى تماما كما خرجوا من بيروت.
إحك يا أبى قصة كفاح الشعب الفلسطينى من أجل إسترداد فلسطين ، طفرت الدموع من عينى أبى وهو يحكى لى ، فقد درب أبى الثوار تدريبا سياسيا وعسكريا ، هكذا تتلازم سيرة أبى الذاتية تلازما تاما مع قصة كفاح الشعب الفلسطينى

90

اقول لأبى لابد أن يمنح الفلسطينيون حق العودة والتعويض عما أصابهم من أضرار ولابد أن تعود الأرصدة المالية التى سرقها الصهاينة من الفلسطينيين ، بل يجب أن يعوض الفلسطينى ماديا عما أصابه من جراء تشريده ، كما يجب أن يسترد الفلسطينى أرضه وممتلكاته ويجب أن يعوض الفلسطينى نتيجة فقده لرزقه.
هناك حسابات مصرفية عربية وفلسطينية استولى عليها الصهاينة يجب أن تعود لأصحابها ، لابد أن تعود إلى فلسطين يا إبنتى ، نعم يا أبى وأطالب بدورى بحماية الفلسطينى فى منفاه فلا يجوز قتل الفلسطينى فى منفاه.
( وحول الزعماء العرب فلسطين إلى مجرد كلمات جوفاء هشة )
ولابد من تنظيم أوضاع الفلسطينى فى المنافى ، الأوضاع السياسية والإجتماعية والإقتصادية ، إن ماحدث للفلسطينى فى مخيم صبرا وشاتيلا ونهر البارد هذا شئ فوق طاقة البشر ، الفلسطينى يا أبى عاجز عن العمل والتنقل بحرية داخل البلد الذى يعيش فيه ، الفلسطينى عاجز عن إمتلاك الأملاك عاجز عن متابعة الدراسة فى المدارس الرسمية اللبنانية ، الكيان الصهيونى يسعى لإلغاء ملف اللاجئين نهائيا.
أليس هذا ما أحدثه كامب ديفيد ؟ نعم يا إبنتى بكل تأكيد لقد خسرنا قضيتنا بعد كامب ديفيد ، نعم يا أبى لكننا لم نخسر وجودنا وسنستمر فى المقاومة.
آه يا أبى كيف فهمت طفولتى حزنك المركب بسبب الذين سرقوا أرضك لقد كنت منذ نعومة أظفارى قريبة من مساحة روحك ، وكنت أراقب كيف تخفى وجهك الحزين وتلوذ بالجدار ، وبأم عينى رأيتك تستنفذ كل طاقتك لتكتب روح فلسطين ، أيها المناضل الراقى أيها الفارس الذى جمع بين القوة والرقى ، لقد رصدت الهزائم بدموع عينيك فقد كنت تتوق للإنتصار .
حكيت لى يا أبى فلسطين فعشت معك آلاف الأعوام فى فلسطين العتيقة العريقة ، نعم يا أبى أكتب سيرتك الذاتية الرائعة أختزل حشود الذكريات العظيمة التى عشتها معك وظلت روحى معك أثناء إغترابك النفسى وبعد هذا الإغتراب حين قررت أن تناضل بالعلم وتحاول تدجين الألم ، فى إغترابك حاولت يا أبى تحطيم سعة زمانك الإغترابى بفعل الكتابة الملتزمة وحالفك النجاح ، فى هذه الرواية حاولت أن أكتب كتاب حياتك.

91

وأنت يا أبى الذى علمتنى كيف أحارب أنانى وأذوب فى المجموع من أجل تعليم إخوتى ، وأنت يا أبى الذى شجعتنى على الكتابة فأرخت نفسية الإنسان الفلسطينى وتعلمت منك يا أبى الروح القوية والعقل القوى الذى يتجاهل كمائن الآخر حتى لا نهدر طاقاتنا فى توافه الأمور.

رحلة الشتات كانت يا أبى فوق إحتمالك وهى أيضا فوق إحتمالى ، لكنك أكدت لى يا أبى أننى إبنة النكبة وإبنة العودة.
كنت حزينا يا أبى وتسأل دائما لماذا توقفت حماس وفتح عن المقاومة ، من يمثلنا يا فدوى يجب أن يكون مقاوما فالشرعية للمقاوم ولا شرعية بدون مقاومة ولا تحرير لفلسطين إلا بالقوة ، وما أخذ بالقوة يجب أن يعود بالقوة ، وقلت لى لقد إحترمنا العالم حين كنا مقاومين.
وتقول لى لماذا نسى الفلسطينيون قانون التقسيم سنة 1947 ، إقرار التقسيم فيه وفحواه ،أن لدى المفاوضون الجهل القانونى بقضيتنا ، لماذا يجهل جوهر القانون ؟
العودة لقرار التقسيم ، العودة لمحكمة العدل الدولية ، العودة للأونروا يجب أن نستصدر حكما من قرار التقسيم بعروبة فلسطين ، وعد بلفور يافدوى أعطى لليهود حق العودة إلى ديارهم لأن إقامتهم فى فلسطين ليست أبدية ، لماذا لايعود العرب إلى كل ذلك ؟
حزب الله قاوم ومن المقاومة إكتسب الشرعية ويؤكد أبى على قرار التقسيم وضرورة العودة إليه ففحوى هذا القرار يحوى كل شئ ويحوي كيف أن الصهيونى لاجئ ومهاجر ويقيم إقامة مؤقتة.
وكان دائما سؤالى يا أبى كيف تسرق الأرض التى عاش فيها الفلسطينى آلاف السنين ؟ وكيف تطمس الحقيقة ويطمس الزمن وتطمس السرقة ؟ ولماذا يا أبى نستمر فى التفكير العشوائى الغير مرتب والذى يفتقر إلى الدليل ونحن نملك الدليل ؟
لماذا ينتهكنا الصهيونى ونحن نسكت على هذا الإنتهاك ؟ إنهم يظنون أننا سالفة وفلسطين لا يمكن أن تكون سالفة ، ولماذا نقبل أن نعيش مشردين ومبعثرين ؟

92

آه يا أبى تمردت على الشتات ولم تقبل أن تكون المرآة المهشمة واحتفظت بالزمن الفلسطينى ، كافحت كثيرا يا أبى لكن الرئيس السادات شطب إسم فلسطين حين وقع معاهدة كامب ديفيد وكان حزنك فادحا ، لقد غادرت يا أبى فلسطين وشجرة الزيتون مغروسة فى لحمك.
آه يا أبى كنت تنن وأنت تقول كامب ديفيد نكبتنا الثانية ، وكنت تكز على أسنانك قائلا لماذا لا يدرس العرب قراراتهم الخطيرة ؟
حدثنى يا أبى كيف أجبرك الصهاينة على أن تترك سريرك الدافئ وبيتك الذى تعشقه وشهروا فى وجهك السكين لترحل.
نعم يا أبى عشنا فى الشتات أيتاما ، لقد أرادونا عبيدا للمنافى ، والفلسطينى يا أبى لا يقبل أن يكون عبدا ، المنافى يا أبى أحدثت الإهتزاز النفسى للفلسطينى.
ولولا قوة بصيرة الفلسطينى وجلده ماكان استطاع أن يعيش فى منفاه تخنقه الجدران ويعيش الوجود المكرور والممل ، لكننا عجنا الخبز بالأمل والألم لنبقى على وجودنا ، عشنا ونحن نأمل أن نعود ، وأعظم ما فى الفلسطينى يا أبى إنه حافظ على كينونته.
( كم كانت سعادتك يا أبى حين تحول الفلسطينى من لاجئ إلى مقاوم )
كان أبى رحمه الله يرى فى جمال عبدالناصر المثقف الكبير وكان يراه صاحب رؤية ثقافية ، وكان يراه المثقف ثقافة الفعل حين طبق القوانين الإشتراكية ، وأتحاور مع أبى وأخبره بأن عبدالناصر استبدل الأفكار القديمة بالأفكار الحديثة ، وعبدالناصر فهم عصره فهما واعيا وهذا ما ينقصنا الآن ، إن عبدالناصر نموذج للمثقف الواعى ويعى مفهوم كلمة مثقف.
ويحدد أبى المفهوم الثقافى عند عبدالناصر فيرى إنه يتبنى ثقافة الموقف.
فى الزمن الناصرى أقبل أبى على الحياة وتفتحت أزهار الحرية فى مخيلته كنت أذهب معه إلى الإذاعة

كانت خطواته واسعة جدا ، وكنت ألحق به وكأننى أجرى ، كان شامخا ، كان أبى يحب سماع فيروز وخاصة أغنية زورونى كل سنة مرة حرام تنسونى بالمرة ، إن فيروز هى بلبل السماء ، لقد غنت للقدس فأبدعت.

93

وكان أبى العبقرى المتفائل وكان يؤكد لى بأن المشروع الصهيونى محكوم بالسقوط ، ويؤكد محال أن يستمر الصهيونى على أرض فلسطين خمسون سنة آخرى ، وقال لى قبل أن يموت لو قامت إنتفاضة ثالثة سيضطر الصهاينة للإنسحاب من الضفة ، ولن يستطع الصهاينة مقاومة الشباب وسيكون لنا الإنتصار الحاسم ، وستضطر الصهيونية إلى تفكيك المستوطنات.

إختلفت مع أبى فى الحزن ، هل هو إراديا أو غير إرادى ، فعندما مات زوجى الدكتور محمود قمر سألنى أبى إلى متى سأستمر حزينة ؟ وعندما أخبرته بأن الحزن غير إرادى فكيف أقاومه ؟ أصر أبى على أن الحزن يمكن بالإرادة التغلب عليه.

كنا نناقش القضايا الفلسطينية معا والقضايا النقدية ، أما باب السياسة فكان واسعا ولا يمكن غلقه.

أكتب أبى ولا أجمله فى كتاباتى فحقيقته هى الأجمل والأعمق ، فقد تمتع أبى بجسارة فكرية وأمانة فكرية ، وكان أبى ينحى منحى ليبرالى فى فكره دون أن يمس العقيدة فهو عميق الإيمان ، وكان أبى قياديا من قيادات منظمة التحرير الفلسطينية ، كان ناصريا محضا وفتحاويا محضا.

لقد عاش أبى فترة عبدالناصر عاش فترة حيوية من حياته وهى أروع فترة عاشها أبى وعشتها معه ، وكان أبى يخصنى بحواراته الكونية والإنسانية والسياسية ، وكان لأبى روح كبيرة استوعبت الحياة وقد نجح أبى فى أن يتخلص من سلبيته و إستلابه.

)إننا بحاجة يا إبنتى إلى رسم إستراتيجية فلسطينية جديدة تعتمد على المقاومة (

فى الستينات أصبح لأبى ذاتية جديدة ، الستينات فترة إستثنائية رائعة ، وكنا فى إنتظار نفير العودة ، لقد تحركت الحياة ، عشق أبى الصباحات أكثر من الأمسيات ، فقد تعود على صباحات فلسطين ، تعود أن يستيقظ مبكرا ، وازدهر أبى كثيرا فى فترة الستينات ، بدأ ذاتية جديدة فقد إندمج فى منطومة الكفاح من أجل فلسطين وأصبح طريقه واضحا واستيقظت الكلمات الميتة لتصبح حية تحمل معانى الإنتصار ، وخرج أبى من الإنغلاق إلى خصوبة التفكير ، لكن عبدالناصر مات يا أبى وتراجع النضال وتراجع الحماس وتراجعت القضية الفلسطينية وتراجع النضال الفلسطينى.

94

نعم يا إبنتى إن كامب ديفيد حقق مصالح الدول العربية على حساب القضية الفلسطينية ، لا يا أبى لم يحقق كامب ديفيد مصالح للعرب ، لقد قيل للزعماء العرب ذلك.

أتعرفين يا فدوى الصهيونية تطالبنا بأن ننتحر ، نحن الفلسطينيون سياسيا ، أيها العرب كفوا عن وأد القضية الفلسطينية فهذا عار على العرب ، واستمر أبى على دأبه فى القراءة والكتابة والتفكير ، ويحكى أبى إن تحالف جبهة التحرير الشعبية مع حركة المقاومة اللبنانية فتح المزيد من القوة فى مواجهة الصهيونية والتحالف الغربى الذى تقوده الولايات المتحدة وكان كامب ديفيد ناقوس الخطر ضد القضية الفلسطينية وضد المقاومة الفلسطينية.

)مات جمال عبدالناصر فعاد الفلسطينى لحياته العرجاء وعاد الفلسطينى يترنح ألما(

كامب ديفيد زلزل البعد القومى للقضية الفلسطينية ، كامب ديفيد يا أبى دفن القضية الفلسطينية فى صمت ودون حفل تأبين.

هكذا يا إبنتى أكد كامب ديفيد الوجود الصهيونى ، لقد وقع الرئيس السادات على معاهدة السلام فماذا

يمكن أن تفعل فلسطين وقد وقفت مصر أكبر قوة عربية وأكبر دولة وهى القائدة لحركة النضال القومى العربى ومصر ذات الثقل السياسى والدبلوماسى دوليا وترتب على هذا الخطب المخيف ضعف الخطاب القومى ، وقبلت مصر بحكم ذاتى للفلسطينيين واحتلت اسرائيل قطاع غزة واستردت مصر سيناء.
أرجو ألا ينسى العرب قرار 242 الذى ينص على الإنسحاب وقبلت مصر بحكم ذاتى للفلسطينيين ولم تعترف الصهيونية بأى حق من حقوق الفلسطينيين ، ولم تعترف الصهيونية بمنظمة التحرير ، ورفضت الصهيونية مجرد وضع العلم الفلسطينى على طاولة المفاوضات ، هكذا هز كامب ديفيد البعد القومى للقضية الفلسطينية ، كامب ديفيد خان القضية الفلسطينية ، فقد إعترف باسرائيل بشكل إيجابى وهذا لم تكن تحلم به الصهيونية.
( علاقتى بأبى كانت علاقة مكاشفة ومصارحة )

95

وسرت فكرة التسوية السلمية بين الشعوب العربية بل طرح كامب ديفيد مسألة الإعتراف باسرائيل دون تردد بل بخضوع تام ، وأيدت دول الخليج العربى يا أبى كامب ديفيد وإن تظاهرت بالإعتراض.
كان أبى رحمه الله المثقف الليبرالى والمتدين فى نفس الوقت وكما قال لى : المثقف لا يمكن أن يوصف بأنه وثنيا فديننا الإسلامى بدأ بسورة إقرأ ، وكان أبى يرى أن الدين لا يتعارض مع الثقافة فهو أبى المثقف والمتدين فى وقت واحد وكما كان هذا درب أبى فهو أيضا دربى الذى أسير عليه.
فالأديان يا أبى لا يمكن أن تقدس الجهل ، فالجهل يغيب الكون بل يغيب الإنسان نفسه.
علاقتى بأبى كانت علاقة مصارحة ومكاشفة حتى فى أصعب الأمور كأن يقول لى فدوى إنك الضعيفة التى يمكن أن تكون قوية ، هل تعدين ابيكى بأن تكونى قوية ؟
نعم يا فدوى دموع وألم هذا هو قدر الفلسطينى ، كونى قوية فالإنسان الفلسطينى لن يستطيع أن يعيش لو كان ضعيفا ، فالقوة ضرورة وإلتزام عند الإنسان الفلسطينى.
لقد حدثت يا أبى نكسة فى الأيديولوجيا العربية وأصبح الفعل السياسى مرتبكا ومشوشا ، أصبحنا يا أبى عباقرة فى تدمير أنفسنا ، أصبحنا نعيش التكرار ، وأصبحنا نعانى من فجاجة ثقافية ، وأصبحنا نعانى من التعطيل والتأجيل والتناقض والإنهيارات ، فساد يا أبى وقمع وأنانية ، هكذا غدا عالمنا العربى بعد موجة ثورية رائعة وأصبحت يا أبى الأجندة مختلفة وحدثت تحولات إجتماعية وسياسية خطيرة.
هنا يحزن أبى ويطلب منى عدم اليأس ويقول لى شجرة الزيتون المعمرة الخضراء فى فلسطين لا تعرف اليأس ، نعم يا فدوى سلبوا فلسطين ولكن لن يسلبونا معانى الحياة التى يمكن بها أن نكون أقوياء ونستعيد بها الوطن المسروق.
وتعود بى الذكريات إلى الطفولة ، طفلة تلاحظ ضجر أبيها الأسود ، نعم يا أبى كانت طفولتى تدرك أن إقامتى المؤقتة تعنى إننا نعيش عيشة الذوبان ، وبأننا قد نتلاشى فى لحظات ، لقد أدركت طفولتى عدم إستقرارنا وفكرة عدم الإستقرار فكرة مميتة ، وعرفت منذ طفولتى أن أبى يحمل فلسطين فى قلبه وعقله لقد ترك أبى قصائد الورد ، وحياة الورد فى فلسطين.

96

لم يكن أبى يتلوث بمال يأخذه على حساب النضال فقد اشتغل أبى فى إذاعة المنظمة بستون جنيها وهذا الراتب بالكاد كان يكفينا.
لقد هزتنى الحياة تماما كما هزت أبى وكان أبى يدرك ذلك ، والذى خفف عن أبى كونه مثقف موسوعى شغل نفسه بكتابة موسوعة بيت المقدس ، كما كتب الكثير عن التراث الفلسطينى ، أفكر كثيرا فيما كان يقوله أبى فأجد أن أبى كان يتوخى الحكمة حين يتكلم ، إننا نقرأ العبقرية فى وجه أبى ، فلم يكن أبى

الوجه العادى وأعتقد أننى أستطيع أن أميز العبقرى عن غيره من ملامح وجهه ، إنه أبى العاشق الأبدى لوطنه الخالد فلسطين .
وأبى هو الروح الهائمة فى المنافى وقد ورثت عنه هذه الروح فلا حياة بدون فلسطين ، عشت مملوءة بالأسئلة عن وطنى الذى سرق وكان أبى يحكى لى مما دفعنى لأن أسميه حكاء فلسطين ، كان أبى يرفع رأسه نحو الشمس الساطعة ويحكى لى .
آه يا أبى عيناك وعيناى برك الدمع الصامت تتوجع وأتوجع حنينا على الوطن المسروق ، من حكاياتك يا أبى عرفت وطنى فلسطين وعبرت لوطنى فلسطين ، كلانا عاش يترنح فى المنفى وكلانا لديه محادثات فردية لأن أحمال المنفى كانت ثقيلة علينا ، الكتابة لجأنا إليها ليصبح الواقع ممكنا وفى منفانا كنا نخاف أن ندلى بأى رأى ونحتفظ بحياديتنا لأن الفلسطينى معاقب حتى وهو صامت ، وكانت لدى إخفاقاتى فى الحياة وكنت تعالج لى هذه الإخفاقات ، يكفى إن المنفى لن يمنحنا التقدير فنحن نعيش عالة عليه.
نكتب الوطن يا أبى لنحفظه ونكتب الذات المشردة لنمنحها بعض الأمان ، تعقيدات المنفى الجنونية ، أنت ممنوع من السفر ومن الحركة لماذا أنا مطوق ؟ يسأل الفلسطينى نفسه،وأين ضمير العالم يا أبى ؟ (اللاوطن هو الرعب الحقيقى للإنسان الفلسطينى وفى المنفى تراكمت أحزاننا)
هل نشفق على أنفسنا يا أبى ؟ وهل نندب حاضرنا ؟ ماذا نفعل بالله عليك ؟ الصباح وراء الصباح والمساء وراء المساء وكر الأيام لا ينسينا فلسطين ، الفلسطينى عليه مهمة صعبة فى منفاه يا فدوى ، عليه أن يوفر المال فى بلاد يمنع فيها الفلسطينى من العمل !! الفلسطينى لا تعنيه السعادة ، الفلسطينى معنى بوجوده لا بسعادته ، المنفى محنة بالنسبة للفلسطينى.

97

وماذا عن العالم يا أبى ؟ العالم بلا ضمير ، ضمير العالم المادة والقوة ولا شئ آخر ، كنت أشعر بأن أبى مفكر إستثنائى للأسف لم يستفاد كثيرا من عقليته الفذة.
آه يا أبى نبرة صوتك فلسطينية كنعانية ، ملامحك يا أبى يابوسية ، روحك يا أبى كنعانية ومهما صهينوك يا فلسطين فأنت كنعانية.
منذ خلقت الأرض يا فلسطين وأنت كنعانية وسيظل يا أبى طفل فلسطين الذى يسفح الصهاينة دمه ، سيظل طفل العروبة ، آه يا فدوى يا إبنتى الحبيبة فى أقصى سجن صار يعيش الفلسطينى ، ويا فلسطين نادى على العروبة لا تيأسى من النداء يا فلسطين ، لابد أن يأتى صلاح الدين ، هل تغربنا للننسى قضيتنا ، أشتكى يا فدوى لرب إبراهيم لتعود القبلة الأولى لأصحابها.
يا إبنتى بدون القدس لن يقوم للعرب قائمة ، عتيق حزننا يا فدوى على الأرض المسروقة ، نحتاج يا فدوى إلى إمكانيات سياسية عظيمة ، لابد أن نفكر ، لابد أن نخطط ، لكننا أصبحنا عباقرة فى تدمير أنفسنا وأصبحنا نعانى من التعطيل والتأجيل والتناقض والإنتهازيات ، أليس هذا وضعنا الآن يا إبنتى ؟ وأسأل أبى هل نحن مطرودين من رحمة الله ؟ إستغفرى الله يا فدوى لا يقنط من رحمة الله إلا الكافرون
نهرنى أبى كثيرا حينما حزنت حزنا شديدا على وفاة زوجى الدكتور محمود قمر وقال لى الموت يقين ومادام الله قدر الموت نقبله ، رغم أنى أبى كان محبا للحياة ، ولم يترقب الموت ، ومات فجأة ، كانت رؤيته للأمور دقيقة وكان غيبيا فى بعض الأحيان وقد أخبرته أمه أنه وهو صغير أخذه الشيخ عوض ثم أعاده إليها.
كان أبى مرتبا وشديد النظام ، يحب الحياة ويقدرها ، أفكاره منظمة ، بينما عشت حياتى مبعثرة الخطى والفكر سعيدة وشقية ، يقظة وحالمة ، أرفض الحياة وأقبلها أعشقها وأكرهها ، أحلل أفكارى وذهنيتى ،

بينما أبى يكتب تراث الوطن وتفاصيل الوطن .
إن شخصية أبى مشرقة وممتعة وهى الرمز لى والمثل الأعلى ، وكان أبى يسكنه الفرح ويضحك للنكتة هذا فى النصف الأخير من حياته.
آه يا أبى هل قلت كل ماتريد قبل أن تموت ؟ كلا فأنا أعرف أن إبداعك لا نهائى وحنانك بلا نهاية ، وهاهى فدوى تجوع للحنان من بعدك.

98

رحل أبى وهو يكره فكرة التعود على المنفى ورحل أبى دون أن يرى فلسطين ، فشهوة العودة كانت تتأجج فى روح أبى وجوانحه ولم تهدأ أو تفتر يوما.
ورحل أبى أيها الرائى لا ترحل ، أيها الحزين على الوطن المسروق لا ترحل ، أيها الشاهد على صمود شعب فلسطين لا ترحل ، لقد خدمت وطنك يا أبى بفكرك وقلمك.
كان قلبك رحيما تنفح الخادمة بمائة جنيه وعندما تثور أمى على ذلك كان يقول لها دعيها ستشترى الدواء ، فلم يكن أبى غنيا لكنه كان يشعر كثيرا مع الفقراء ، لقد اكتشفت صوت أبى الجميل قبل شهر من رحيله أخذ يغنى زورونى كل سنة مرة لفيروز ، غنى أبى قبل أن يموت وكأنه كان يودع الحياة ، هكذا اكتشفت قبل أن يموت أبى أننى ورثت الصوت الجميل عنه ، والغريب أن الكثير من أحفاده سواء أولاد أخى ناصر أو أحمد أو إبراهيم قد ورثوا عن جدهم صوتا شديد الشجن.
أستطيع أن أقول : إن أبى نجح فى أن يرتق شروخ الحياة وعلى أن أتعلم منه ، وعرف عن ابى البحث الطويل والتفكير الطويل ، وكان أبى نموذجا للأب الرحيم والحكيم ، كان فلسطينى شديد الفلسطينية وعروبى شديد العروبية.
وكان عاشق للأدب الشعبى الفلسطينى وهو جذر من جذور التراث الفلسطينى وجذر عريق ، لم يخاصم أبى مفكرا وكان يسامح من يخالفه الرأى ، لم يبخل بعلمه على طلاب المعرفة ، كان يساعد كل من يقصده من باحثين ، لقد ربانا أبى على نحن وسن قوانين حماية الأسرة ، الكبير يخدم الصغير وقد كان قانون حماية الأسرة دقيقا وهذا القانون ) نحن فوق الأنا ( صراحة مفرطة هى صفة رائعة فى أبى وقد ورثت عنه هذه الصراحة ، وكانت لأبى طباع خاصة إنه مثلا يسمع أكثر مما يتكلم ، يحب الخلوة وكان أبى من فرط عشقه للثقافة كان لا يريد أن يتزوج ، كان يريد أن يتفرغ للعلم وجدتى هى التى أصرت أن تزوجه لتفرح فى أولاده ، كانت لأبى قدرات لغوية فذة وكان أبى يضع إصبعه على الخطأ ، ولا يهرب من الخطأ ولا يتعالى على الخطأ ، كانت تسكن أبى روح إسلامية عروبية فلسطينية وهو عاشق للحضارة الإسلامية العريقة.
رفض أبى الجمود وكان يعيش مع المعاصرة ، وكان أبى عضوا بارزا من أعضاء منظمة التحرير الفلسطينية ، وكان أبى من الرجال القادرين للوصول إلى الحقيقة ، كان متفائلا ففلسطين التاريخية لا يمكن أن تموت وفلسطين عريقة إنها موجودة منذ آلاف السنين قبل الميلاد.

## قدرات أبي اللغوية

99

إن قدرات أبى اللغوية والفكرية كانت شديدة التأثير على من يستمع إليه ، كان أبى مفرطا فى شجاعته فقد كان هناك حرامى يحاول فتح باب منزلنا وكانت الساعة حوالى الثالثة صباحا ، عندما فتح الباب وقال للحرامى ماذا تريد ؟ فقال الحرامى لأبى لاشئ وفر هاربا.

كنت أدرس أنا وأبى فى المعهد الإسلامى دراسات عليا ، وكان الدكتور أحمد يسرى يدرسنا مادة القانون وكان الدكتور أحمد يسرى معروفا بصراحته وفى المحاضرة فاجأنا ضابط بالإعتراض على الدكتور أحمد يسرى وإذا بأبى يلحق به ويدخلان الغرفة لمدة ساعة ثم يخرج الدكتور أحمد يسرى ليعتذر وقد استغربت كثيرا جدا من هذا الموقف ، لقد مرت على الدقائق وكأنها دهر.

وعندما كنت أعمل فى إذاعة منظمة التحرير مع أبى فوجئنا بأحد المذيعين يضرب رئيسة قسم الأخبار فما كان من أبى إلا صفعة وضعها على خده وأقاله من عمله ، وقال لى من يضرب النساء فلا يحق له أن يعمل معهن نعم لقد كانت شجاعته تخيفني أحيانا.

لقد انتصر أبى على منفاه لكنه مكث فترة طويلة يحاول أن يكيف ذاته مع المنفى ، وكان أبى يحاول أن يقترب من منفاه ويحاول أن يكف عن تعاطى الحزن ، لقد استفاق من تعاطى سلبية الحزن.

عبدالناصر فتح شبابيك الحرية للعالم العربى ، شهوة الحياة تتجدد وشهوة العودة تتجدد ، نعم يا أبى بدايات الهجرة اختلفت عن نهاياتها فمع الوقت يزداد الفلسطينى قوة ويقترب من ثورة التحرير ، وهذا الصمود الذى عاشه أبى عاشه كل فلسطينى.

كان أبى دائما يردد هذه العبارة ( ما ضاع حق وراءه مطالب ) ومهما قضمت الصهيونية من أرضى فلسطينية ، ومهما مارست من سياسة تهويدية ممنهجة فلابد أن يعود الحق لصاحبه ومهما حاولوا تشريع إنتهاكاتهم فلابد أن يعود الحق لأصحابه أصحاب الأرض الحقيقيين ، هذا مايراه أبى ويراه كل عربى حر.

لكنى يا أبى أخاطب روحك يا أبى العرب نسوا القضية الكبرى ضاقت عقولهم وانعدم الطموح عندهم ، تغاضوا عما يفعله العدو الحقيقى ـ وقامت الحروب العبثية بينهم ، ياعار العرب ! كيف ترك العرب عدوهم الحقيقى وأشعلوا حروبهم الوهمية ؟

100

آه يا أبى ترقد فى لحدك هل تعلم أن المؤامرة على فلسطين تسرى فى الدول العربية ، قلبى ينزف يا أبى يريدون تفتيت العالم العربى يا لوعة قلبى هل تسقط العروبة يا أبى ؟ كيف هل تسقط الدول العريقة الأبدية أرض الأنبياء.

أبكى دما يا أبى وأنت فى لحدك يا أبى أعرف أنك تبكى ، فالعروبة لا تهون على الثوريين الأحرار ، أمريكا والصهاينة يريدون تفتيت العالم العربى ليستولوا على ثرواته ، يريدون أن نكون عبيدا ويريدون أن يكونوا أسيادا.

آه يا أبى خنجر فى قلبى ودموعى تسقط دما ، الصهاينة والأمريكان يريدون تراثنا ، يريدون أن يلغوا حضارتنا ونحن نعانى من فتن عرقية ودينية وطائفية ومذهبية وقبلية.

كيف نعود لداحس والغبراء ؟ كيف نعود للجاهلية ؟ وقد وحدنا الإسلام ولم شملنا ، كيف نعود لمتاهات الجهل والتجهيل ؟ مخيمات الفلسطينيين يا أبى تنن.

لم يعد الأطفال العرب فى سوريا وفلسطين لم يعودوا يجدوا لقمة الخبز ، آه يا أبى أصبحت الشعوب

العربية خائفة ومذعورة تفتقد الأمن والأمان ، آه يا أبى نصف الشعب السورى أصبح مشردا وتائها وحائرا فى البلاد.
سؤال يا أبى لماذا أصبح نصف العالم العربى بلا عمل ؟ كيف حدث هذا ؟ الإنسان العربى يا أبى أصبح مهددا بالجوع ، نصف العالم العربى يا أبى تحت خط الفقر ، الأطفال لا مدارس لهم يا أبى ، كيف غابت الجماهير العربية أو كيف غيبت ؟ لماذا أصبح أطفال العالم العربى مشردين ؟
الحروب الأهلية هى أسوأ الحروب ، كيف وقع العرب فى فخ الحروب الأهلية ؟ آه يا أبى أرضنا الطاهرة كيف يسرقها الصهاينة ؟ وقد ورثناها ابن عن أب وكابر عن كابر ، يا عرب انتبهوا هذا ما كنت تنادى به قبل أن تموت أى ضرورة الوعى يريدونا الآن يا أبى أن نبصم على أن فلسطين يهودية ، هذه هى المهزلة عينها ، بعدها ستنفذ سياسة الترانسفير أى ترحيل عرب فلسطين 1948 .
إن تهويد فلسطين وإعتراف العرب بتهويد فلسطين له توابع كثيرة على العرب أنفسهم ، يا عرب تلك هى المصيدة إستفيقوا.
أحكى لأبى وهو فى اللحد عن تهويد فلسطين ويأتينى صوته إياكم والمصيدة ، أين النخوة العربية يا فدوى ؟

احك يا أبي فشواهك في قلبي وعقلي وحكاياتك لا تغيب ..احك يا أبي حكايات الوطن واحكي سيرة المنفى فالمنفى لا يغيب.

العالم ينهار أمام أبي بعد النكبة فينتقل هذا الإنهيار لي، نعم عرفت طفولتي معنى الإستلاب ومعنى الخلع المكاني، وإلا كيف واجهت أبي وقد لاحظت حزنه المدمر، بسؤال لا تجرؤ طفلة أن توجهه لأبيها لماذا أنت محطم ؟ ، فقد عايش أبي القلق الروحي العنيف وعاش بقلب اللامبالاة .

وبعد أن تراكم الوجوم على وجه أبي فقد كان حزنه مخيفا .أجابني الحزن ينبع لن يذهب إلا إذا عدت لوطني فلسطين .أنت يا فدوى ابنة النكبة، ابنة القضاءات الحزينة، ابنة الوطن الغائب الحاضر، هكذا كانت طفولتي ليست فردوسية وعرفت لماذا أبي دائم الحزن، وعرفت معنى النكبة، وعرفت كيف أصبحت أيامنا متآكلة وفيها نكسة .

وعرفت يا أبي معنى الإنهيار العربي، وإنهيار الحلم القومي نعم لكنني يا أبي لا أريد أن أرث الهزيمة ولا أريد أن أرث المعاهدات مع سارق فلسطين .

نعم يا أبي أنا مكسورة أعاني من شروخ النكبة والاقتلاع و الشرخ المكاني لكنني أريد أن أقاوم الانكسار .لا أريد أن أعيش النكبة الداخلية ولا أريد أن أعيش الهجرة الداخلية مهزومة لكنني أريد أن أقاوم الهزيمة ...تعلمت منك أن أكون المفكرة الحرة ..وصلت إلى موضوعيتك لكنني لم أصل لقامتك .

إحك الوطن يا أبي إحكيه من البداية منذ بداية النكبة ..وسأحكي معك ..فمنهجي في الحياة هو منهجك سأحكي لك عن الموسيقى البريطاني المعروف عالميا "روجر ووتر " مؤسس فرقة "بينك فلويد " الشهيرة والذي بلغ السبعين ويتصرف كمناضل مؤيد للحق الفلسطيني أقول لك يا أبي ما قاله روجر ووتر قال لصديقه المطرب والملحن الكندي" نيل يونغ "رسالة يناشده فيها ألا يقيم حفلة له في تل

أبيب أرجوك يا أخي أبلغني أنك لن تفعلها ثم يشرح له وضع من يسميهم سكان فلسطين يشرح له يا أبي وضعنا الحزين ويشرح له أن الفلسطينيين هم سكان فلسطين الأصليين وأصحابها الحقيقيين أما الوجود الصهيوني فهو وجود عنصري غير شرعي هو وجود استعماري، من سيحضرون فعاليتك هم مستوطنون من أوروبا يحصرون السكان الأصليين في المنفى أو في المعازل والمعتقلات .

تناثرت فلسطين تناثر الفلسطينيون.

أبي مهجة الكون وبهجته، حين رحل إسود القمر في وجهي، ولولا إيماني الشديد بالله لوقعت فريسة المرض، أنه لازال حولي في كل مكان، هو المعلم والخبرة .

في الحقيقة .إنني لقبت أبي بأنه أبو التراث الفلسطيني لأنه أضاف إلى التراث موسوعة بيت المقدس، مقدرة كل التقدير جهود الذين اهتموا بالتراث الفلسطيني وهم كثيرون فلقد حافظ الفلسطينيون على تراث بلادهم ووضعوا أهمية التراث نصب أعينهم وكان أبي رحمه الله يقول لي" :إنني تراثي بالفطرة، ويحكى لي حكاية الشيخ عوض عندما مرض مرضاً شديداً وقالت أمه رحمها الله "أسماء الحوت " وهي لبنانية قالت له إن الشيخ عوض أخذه وبعدها شفى أبي، وكان أبي يبتسم وهو يحكي لي ذلك فهو ثري العاطفة وإن بدا صارماً :إنني أكتب عن أبي لأن أبي رحمه الله كان الأب والصديق والمعلم والمثل الأعلى كانت علاقتي بأبي عميقة ذات فراده ، ورغم صغر سني فقد كان يستشيرني في أمور الأسرة ويأخذ برأي لقد وضع لي أبي نهج حياتي ولازمني في مراحل عمري، لماذا اهتم أبي بنهج حياتي دون أخوتي ربما لأنه لاحظ إنني أشبهه، ربما لمح استعدادي الفطري ربما رأي الإبداع الجميل يحلق حولى ، ربما عرف أن عقلي الصغير وأنا طفلة أدرك معاناته الشديدة بعد نكبة فلسطين.

كتب أبي بالإضافة إلى موسوعة بيت المقدس المكونة من ثلاثين جزءاً كتب خمسة كتب عن التراث الفلسطيني، بالإضافة إلى العديد من المقالات في أبرز الصحف والمجلات الثقافية العربية، كان أبي يملك قوة الحجة، ولا يكتب إلا إذا ملك قوة الحجة لقد عشق أبي النضال بالكتابة فضلاً على أنه أصيب في حرب النكبة حرب 1948، أصيب إصابة بالغة رحم الله والدي وأسكنه فسيح جناته، لقد كان صاحب شخصية قوية أثرت علي، وكان أبي رحمه الله يؤمن بقضية فلسطين العادلة، وكان يؤمن بضرورة استرجاع فلسطين .

كان رحمه الله المثقف الواعي، لم يكن أبي يسارياً لكنه كان اشتراكياً مسلماً يعرف قيمة تعاليم الإسلام وكان رحمه الله اشتراكياً يؤمن بحقوق الفقراء .

وحصل تحول نفسي في شخصية أبي في المرحلة الناصرية ..عبد الناصر يا ابنتي استرجع عروبة الجزائر ."وذات يوم مع مصر سنسترجع فلسطين .نعم عاش أبي أوج تفاؤله في العصر الناصري ذلك العصر الجسور المتمرد .

لقد فهم أبي الحضارة العربية الإسلامية كان أبي فقيهاً في الدين واللغة وكان أبي يستشهد كثيراً بالآيات القرآنية كان أبي قومجياً، ويقول لي أتعرفين يا فدوى إن جمال عبد الناصر هو القومجي الفاعل والعاشق للعربية وللعروبة نعم يا فدوى كان جمال عبد الناصر غيوراً على القومية العربية محبا للعروبة والعرب قاوم عبد الناصر الفرنكفونية في الجزائر واستدعى الآلاف من المدرسين المصريين لنشر اللغة العربية في الجزائر، الجزائر مدينة لعبد الناصر الذي استرجع عروبة الجزائر، هكذا أدون زوايا من حياة ابي وحياتي لتصبح المذكرات والحكايات وثائق للتاريخ .

أه يا أبي رأيت فلسطين رأيت لمعان الحياة، الخضرة الغامقة في فلسطين رأيت رمالا ثمينة تشبه الذهب ، الانسجام الفكري كائن بيني وبين أبي كلانا عشق فلسطين وعشق الأفكار وعشق الشجر نعم لقد عشق أبي الشجر لدرجة أنني تخيلته بعد أن مات تحول إلى شجرة خضراء وارفة الظلال .

كنت وأنا صغيرة استمر في طرح الأسئلة داخلي وعندما أضيق بها اسأل أبي كان أبي يجيب على أسألتي ولا يخذلني .

وكان أحياناً يقول لي ليش بيكبر عليك البحر يا فدوى ؟ .كنت بسيطة ومتفائلة ولكنني أعيش بلا أمل، وأحياناً تكون نظراتي صائبة فاسمع أحد أخوتي يقول فدوى الوحيدة التي لا يقول لها أبيها لا .

كنت أشعر بتمييز أبي لى وكنت أشعر بتميزي وليعذرني القارئ، وأطلق على أبي لقب القومجية، ما أجمل هذه الكلمة يا أبي .

كنت أصر على سؤال لا يُغيب عن ذهني كيف سرق الصهاينة فلسطين؟ كيف سرقوا وطننا الحبيب عمارتنا حواكيرنا بياراتنا ؟

نعم يا أبي إحك لي يا أبي، نعم يا ابنتي سهل لهم الإنجليز الهجرة، كانوا يأتون إلى فلسطين دون إذن ثم يستوطنون ولا تلبث السلطات الإنجليزية أن تعترف بهم، وتزعم أنها تطاردهم، ويزعم الإنجليز إنهم يحرسون السواحل، وهم يسهلون لهم الهجرة وسرعان ما فطن الفلسطينيون أن الصهاينة يقتلون الفلسطينيين الذين يحرسون السواحل ، وقامت الثورات .

فقتلهم الصهاينة بأسلحة مختلفة، وأفرط الصهاينة في الهجرة، أه يا أبي الإنجليز ظلموا الشعب الفلسطيني أقول لك يا ابنتي الصراع يبين الحق والظلم قائم إلى أن تقوم الساعة، هذا ما يظهره تعامل الدول مع بعضها، القوة التي تغلب .أه يا أبي وأين الحق؟ خفف العصر الناصري عني وعن أبي وعن كل فلسطيني لطالما شعرت يا أبي أن عبد الناصر يخص كل عربي مخلص لعروبته فقلب عبد الناصر كان كبيراً، وكان الأب لأبناء الأمة العربية، سأطلق عليك يا فدوى لقب "القومجية "نعم يا أبي أنت من وضعت أمامي الحقائق السياسية للقرن العشرين .

أبي جعلني اكتشف متعة القراءة قال لي" :القراءة هي أعظم ما في الحياة "نعم علمني أبي متعة

القراءة الطويلة فأقرأ ساعات طويلة طويلة، لقد فهمت شخصية أبي الإنسانية وقلدتها، كنت أسير مع أبي إلى مقر إذاعة منظمة التحرير ."

فقد كان يصحبني لأذيع في برنامج "ركن الطالب الفلسطيني ."هذا البرنامج كان يقدمه صديقه الرائع "خليل عليوني "وكان خليل إذاعي ناجح وكاتب برامج ناجح .

كانت خطوات أبي وهو يسير إلى المنظمة واثقة ، لم يعد أبي يعيش في الحزن المخيف .

كان أبي يموت وحصل التحول فأصبح حياً

لم يعد يؤمن بالمصير المعتم للإنسان الفلسطيني بل أصبح مصير الفلسطيني مضاد للعتمة ، زالت لحظات الانخطاف .

إنها مرحلة أخرى مختلفة تماماً تلك المرحلة الناصرية إنها مرحلة التحول العظيم في القضية الفلسطينية لم يكن يهتم بالجزئيات .كان الكلي يسيطر عليه وهذا الكلي هو العمل من أجل فلسطين . هكذا نجح جمال عبد الناصر في أن يحدث التغيير في الإنسان الفلسطيني وفي القضية الفلسطينية، هكذا حول عبد الناصر مصائر الفلسطينيين وزال عن أبي الحس العميق بالخطر والفلسطينى الميت الآن أصبح حياً بل شديد الحيوية، كان أبي يموت وأصبح حياً .

ترك القاتم وبدأ المضئ وأصبح جبل المكبر البعيد القصي أصبح قاب قوسين أو أدنى من أبي .

ورأيت وكأن أبي يسير وهو يتذكر الربيع في جبل المكبر بالقدس لم يعد أبي الصامت المتجمد الجازم أصبح يجدده أمل جديد ووعي عظيم وتمرد .

تلاشت أصوات القتلى الشهداء من عقله وحل محلها زغاريد الانتصار .نعم يا أبي شهداؤنا سيورقون وسيحيون من جديد في هذه المرحلة كنا نحيا حياة بسيطة جداً لكنها مطعمة بالأمل وخطوات أبي الشاسعة تظهر ذلك .

كان أبي عروبياً وشعاره معاً من أجل العرب، وبعد الهزيمة حذر أبي من التشكيك في كل شيء، كان لدى أبي ديناميكية الوعي وكان ضمير فلسطين وضمير العروبة الحي .

كانت خطواته شاسعة وشامخة، لم أكن استطيع مجاراته في المشي فأجرى خلفه، كم كنت سعيدة وأنا أجري خلفك ولم أكن أعرف أن السعادة عابرة، والألم هو جوهر الحياة .

رفض أبي مهانات المنفى بشدة، أذكر أن أخي ناصر كان يدرس عندما كان في الثانوية العامة، وكان الأطفال يلعبون تحت النافذة ويصرخون عندما نهاهم أخي وطلب منهم عدم الصراح، كان ناصر في طريقه إلى المدرسة عندما اعترضه جارنا فإذا بأبي يثور عليه ولا أعرف ماذا قال أبي ، بعدها صمت

الجار وتأسف لأبي .

والغريبة أن هذا الجار تقدم ليخطب ابنة أخي ناصر لابنه، هكذا استعلى أبي على واقعه الحزين .

وكان أبي يعشق صوت فيروز بلبل السماء ويغني دائماً أغنيتها، زوروني كل سنة مرة /حرام تنسوني بالمرة، آه يا أبي ها أنا أسمع فيروز وأنا وحيدة، لقد أصبح الزمن تراباً، لقد عرفت بعدك يا أبي معنى الخوف من الحياة وأصبحت بعدك يا أبي أحزن حزناً لا إرادياً واحتاج إلى تعويذة لمنفاي ووحدتي، لا أملك إلا صرخة الحرية .

لي الحق أن أحزن على أبي فهذا الرجل العبقري الذي أدرك إن ابنته تخاف الحياة نجح في تعديل سلوكي وحولني من فتاة خائفة إلى فتاة قوية، كتب أبي موسوعة بيت المقدس، بطريقة عبقرية، وكتبها مرتبة حسب الحروف الأبجدية، إن أبي علم من أعلام الثقافة الفلسطينية في القاهرة، كان لأبي أمل كبير في استعادة فلسطين، ولم يفقد هذا الأمل لحظة واحدة ، يقول أبي "الشعب الفلسطيني يا فدوى عن بكرة أبيه يعشق جمال عبد الناصر، عبد الناصر يا فدوى حول اللاجئ إلى مقاوم ، نعم يا أبي عبد الناصر فهم عمق القضية الفلسطينية ، بعد جمال عبد الناصر الفلسطينيون يهتفون بدنا خبز بدنا كرامة، الآن يا أبي غزة جائعة، أخاطب أبي الغائب الحاضر .

الآن يا أبي يريدون تقسيم المسجد الأقصى، الآن يرقصون في الأقصى رقصاتهم التلمودية باطني يا أبي أسود حزين .

عشت مع أبي حقبة الستينيات المدوية كان الحلم يسبق الواقع، كنت أنا وأبي مفعمين ثقافياً وسياسياً وإبداعياً وكان الزعماء العالميين في العالم لهم أفاقاً إنسانية .

الدماء الفلسطينية في جسدي تفور بداخلي متمردة ما هذه الانتكاسات يا أبي وأين أحلامنا الكبرى في تحرير فلسطين ؟ وكان تحرير فلسطين مقرراً ، وكان العمل السياسي يقترن بالعمل العسكري .

نحن يا أبي لم نشف من نكسة 67وهذه حقيقة والاكتئاب التدريجي سيوصل العرب إلى السادية إذا لم يستفيقوا، لماذا لا نعود إلى الواقع لماذا الإفراط في مشاعر الحزن والفرح هكذا نحن نبالغ في الزغاريد ونبالغ في البكاء، فدوى يا ابنتي أحذرك من المبالغة فالمبالغة هي السطحية .

أعرفك يا ابنتي جيداً وأخاف عليك من أن يطغي خيالك على الواقعية عندك، لكنني أعرف أيضاً انك قوة وهاجة ستتفجر إبداعاً فلسطينياً بطولياً .

ضعي يدك يا ابنتي دائماً على جوهرية الحياة وجوهرية الواقع ، أسمع صوتك يا أبي من لحدك فأبي كالبحر والبحار لا تموت ، إنني من لحده أسمعه فروح أبي تتغلغل في الأقصى أين الضمير الإنساني كيف يهدم الأقصى ؟ جيناتك يا أبي في دمي والأقصى يسبح في دمي وأبدية الأقصى في دمي

وفلسطينية الأقصى في دمي .

الآن يختلف عن الماضي، لكنني أتمنى للأمة العربية أن تقود لا أن تقاد .

ليت الزعماء العرب يفهمون يا ابنتي أن الصهاينة يريدونا بلا مكان ولا زمان

يريدون هدم الأقصى ليبني معبدهم الصهيوني ، الآن يا أبي "بشار الأسد "يزج بمخيم اليرموك في صراع عسكري ينال الأطفال والشيوخ .

أبي يا حبيبي يريدون القضاء على المخيمات الفلسطينية، فكل مخيم هو قوة فلسطينية تخيف الصهاينة والعملاء، وأصبح الآن هدف من أهداف العملاء القضاء على المخيمات الفلسطينية التي هي في الحقيقة قوة فلسطينية فاعلة .

قلبي يؤرقني يا أبي، لو قامت انتفاضة ثالثة، سيضطر الصهاينة للانسحاب من الضفة، ولن يستطيع الصهاينة مقاومة الشباب، وسيكون لنا يا أبي إنتصاراً حاسماً كما حدث في غزة وكما حدث في جنوب لبنان .

جربوا يا أهل الضفة جربوا حضور دائم لروح أبي، غاب أبي لكنني أحدثه وأتخيل أنه يشاركني الحديث ، استلهمه ويستلهمني ، كنت أتمنى يا أبي أن أدفنك بين أشجار اللوز الأخضر هناك في أرض عسقلان ، الأرض التي انبثقت منها .

هكذا قدر لي أن أعيش بين أب عبقري عبقرية إنسانية واعية ، وأم حفظت أناشيد فلسطين عن بكرة أبيها، عانيت بعدك يا أبي العقد والوحدة كنا نسقى الزرع معاً ونخلط الخضرة بالماء والضوء .عشت مع حكاء فلسطين ومع منشدة فلسطين فرضعت عشق هذا الوطن المسروق.

كان أبي جزءاً من نفسى ، وكنت جزءاً من نفسه الآن يختلف عن الماضي، أصبح الآخر صعباً وأصبحت بعدك يا ابي أفضل مصاحبة الكتاب ، ما أعظم أيامك يا أبي وما أعظم الحلم الناصري، كنت أذهب معك إلى إذاعة المنظمة وكنت أسمع رسائل النجاح والتفوق التي يرسلها الطلاب الفلسطينيين إلى أهاليهم عبر إذاعة المنظمة وعبر الإذاعات المصرية، وكانت رسائل النجاح والتفوق تصل إلى أهاليهم في "غزة "تشيد بالتفوق وكانت الزغاريد تنطلق في "غزة "يقول أبي :

"هكذا ساهم هذا الرئيس العظيم في إنقاذ الإنسان الفلسطيني وأصبح الذين أنقذهم "جمال عبد الناصر "دعامات الأجيال القادمة .

هذا ما يقوله أبي، نكهة الحكمة في حديثه، لم أجده إلا ويتكلم عميق الكلام، حتى في الأحاديث العادية، إنه يصيب المعنى ويفكر تفكيراً شاملاً وما ورائياً، إنه على معرفة باللغة العربية ومساريها وهو يمزج معاني اللغة بمعاني الحياة، إنه يبتكر العمق اللغوي في معاني جديدة ونادرة .

وكان لأبي أسلوب ساحر في التعاون مع الحياة، بساطة، وعمق، وتفاني في العمل، وعشق لكل لحظة من لحظات الحياة، كان يستثمر وقته وكان غزيراً في إنتاجه كان أبي يفهمني فهماً كبيراً، ولا أبالغ لو قلت إنه يفهمني أكثر مما أفهم نفسي، فهو يمتلك البصيرة .

أفتح خزانة الألم يا أبي أخرج روبك الصوفي ، رائحتك الطاهرة العبقة تفوح فيه ، أضم الروب الصوفي إلى صدري استنشق رائحته الطاهرة، أمسح دموعي بالروب وأضعه في الدولاب من جديد، وتكر الذكريات .

وأتذكر كيف كنت أغني لأبي أغاني فيروز حينما أعود من الرياض إلى مصر وأغني لأبي أغنيتها الرائعة :

"جئت يا مصر وجاء معي

تعب إن الهوى تعب

قسماً بالمبدعي سبباً

يا حبيبي إنك السبب .

كان أبي شمساً تشع بالفرح والحزن في آن واحد فديدنه عشق الحياة لكن النكبة جرحه المزمن .

كما كان أبي يحب أن أغني له أغنية نزار قباني التي غنتها "نجاة الصغيرة" "أيظن إني لعبة في يديه ."

كما كان لأبي صوت جميل وخاصة عندما يغني لا تكذبي كان أبي لا يداري فرحه لكنه كان يخفي أحزانه .

كما عشق أبي عبادة ربه وكان يكلم ربه بصوت حنون، وكان أبي يحكم على الشيء أو الشخص بشكل شامل وعلى الكتاب بشكل شامل فالنظرة الشمولية ديدنه في التفكير وكان أبي رحمة الله يعترف بكل الأديان السماوية .

وكان أبى يعتز بأستاذه "نيقولا زيادة "وكان لأبي اتجاه صوفي ديني تراثي عربي، والاتجاه الثاني عقلي فلسفي .

نعم وجد أبي نفسه في موقف الضدية عندما عقدت معاهدة "كامب ديفيد "وهذا شكل إشكالية كبيرة بالنسبة لكل فلسطيني ملتزم، عاش أبي سنوات قلقة جداً بسبب كامب ديفيد فأبي متعلق بوطنه وأجمل أيامه قضاها في فلسطين وعلى الأخص في الكلية العربية قال أبي لي كنت من هؤلاء العشرين الذين

وقع عليهم الاختيار في المبيت في منزل الكلية العربية وكان نظام الكلية يفرض علينا السير على الأقدام يومياً والصعود إلى جبل المكبر للدراسة كنا نصعد بالأمر للأكل والدراسة كنا نتعرض لبرد الصباح، وكان الثلج يعفر وجوهنا ويغطينا أحياناً .

لكن يشهد الله لم أمرض ولم أشرب حبة أسبرين واحدة طوال دراستي في الكلية العربية إن برد شتاء القدس صحي جداً، بل يبعث عن النشاط والقوة وكان في الكلية ملاعب تحفها المنات من أشجار الصنوبر، وفي الكلية كوخ جبل ، وفوجئنا مرة بالأستاذ أحمد سامح الخالدي يسمعنا أسطوانة الجندول لمحمد عبد الوهاب على الفوتوغرافي لأول مرة وقد أحضرها من أرض الكنانة .

ورغم أن أبي كان عصارة الحكمة إلا أنه كان ينكر ذاته، إنه صاحب الحلم العظيم والموت العظيم لقد رأيت كيف يموت العظيم وهو يحلم بالوطن .

كان أبي ينفي نفسه داخل غرفة مكتبه، ويمكث بالساعات وهو يكتب وينس نفسه وهو يكتب لقد خلق أبي من أجل الكتابة، وأعتقد ليس هناك من أمثاله، إنسان يخلق من أجل أن يكتب فقط .

كان أبي يكتب سواء كان المنزل في حالة هدوء أو في حالة صخب، أما أنا فكنت الطفلة الحائرة التي تحاول أن تفهم أبيها، قبل موته بحوالي أربع سنوات وضع أبي النقطة الأخيرة لا أعرف كيف شعر بأنه يجب ألا يكتب فالذاكرة أصبحت تخونه، وتوقفت مشاريعه المعلوماتية، وعاش باقي حياته يتعاطى الحياة بطمأنينة وسلام .

لقد كان أبي يلتهم الأفكار التهاماً، عاش أبي حياة رائعة فاعلة ، استطيع أن أقول بأنه عاشق للحياة رغم ألم النكبة، واستطيع أن أقول إنه عرف كيف يعيش حياته، واعتقد أن بعض الناس يعرفون كيف يحيون الحياة ويحسنون اختيار الأسلوب، وأعجبني أنني لاحظت أن أبي كان يقاوم قلقه، وقد نجح أبي أن يتحول من إنسان شديد القلق إلى إنسان قوي، واعتقد أن عصر عبد الناصر هو بداية عودة أبي إلى الحياة بعد النكبة وأصبح هدف أبي إحياء دوافع التكامل العربي، ومقاومة السلبية .

لقد أثرى أبي حياتي بالكتب التي تركها لي كان اتجاه أبي السياسي قومياً .وكان يعتز بالرئيس "ياسر عرفات "ويحترمه، فهو من رجاله، وأحب أبي كثيراً أبو اياد وأبو جهاد، كان أبي يحضر مؤتمرات في بغداد وفي طرابلس، ومن النوادر أن أبي كان يحضر في مؤتمر في ليبيا وكان القذافي يخطب فيهم عندما شعر أبي برغبة في التبول واضطر إلى أن يغادر المكان ففوجئ بالسلاح يوجه صوبه وكاد أن يقتل.

وكان أبى يرى أن الصهاينة ليسوا أقوياء ، يقول :

الصهيوني قوي لأنه مدعوم من الغرب ولكن قوة بلا أخلاق تتحول إلى توحش، هكذا أصبح أبي يفهم

عدوه .

عاش أبي يحترم الفقير قبل الغني والضعيف قبل القوي

فانحيازه قوي للضعفاء والفقراء

ويتابع أبي ذكرياته وحكاياته في فلسطين وقد عشق الفترة التي قضاها في الكلية العربية ويتحدث أبي عن تأثير أغنية الجندول عليه قال أحسسنا بنقلة فنية وحضارية كبيرة ونحن نستمع لأول مرة لأغنية الجندول، وإن دل ذلك فهو يدل على حرص أبو الوليد رحمه الله على تربية حس الجمال عندنا نحن الطلبة في ذلك الوقت المبكر من حياتي، وضحك أبي وهو يقول لي طرائف أبو الوليد لا تنسى، وكان أبي لا يكف عن التحدث عن أيام الكلية العربية ومن شفاف قلبه كان يتمنى لهذا البناء العظيم أن يعود ويصبح من كبريات جامعات القرن الواحد والعشرين، هذه أمنية أبي وهو واحد من الصفوة الذين درسوا في الكلية العربية في القدس، كان أبي فلسطينياً حتى النخاع، وعروبيا حتى النخاع، وبأسي شديد وحزن أشد يحدثني أبي عن أستاذه العظيم "أحمد سامح الخالدي "هو الذي وضع اللبنات الأولى لصرح الكلية العربية :تأخرت صحة أستاذي العظيم بعد ما آل إليه حال القدس بعد احتلالها ولم يطيق العيش بعد هذا الإحتلال الغاشم وانتقل إلى الرفيق الأعلى .

أقول لأبي وهذا ما حدث للكاتبة العظيمة سميرة عزام التي أحببتها كثيراً يا أبي وأحببت صوتها في برنامجها الحنين إلى الربوع وقد ماتت سميرة عزام بسبب النكسة .

وكان أبي رحمه الله يرى أن المفاوضات لن تعيد للفلسطيني الأرض ولن تمنحه حق العودة ونحن نحتاج للمقاومة وأداة المقاومة والوعي بالمقاومة أجمل ما في أبي أنه كان محترماً من الجميع وكان أبي يحترم الفقير قبل الغني والضعيف قبل القوي .

أعظم محطة في حياة أبي هي عمله في إذاعة منظمة التحرير الفلسطينية .

لم يعد أبي المكتئب الانسحابي أصبح مقاوماً واقترب اقتراباً حميمياً من أهدافه ويقول لا وقت للاستلاب .

كان أبي رجلاً قوياً لم يستطيع المنفى أن يهزمه ولم تستطيع الحياة أن تهزمه، وأعظم محطة في حياة أبي هي عمله في إذاعة منظمة التحرير الفلسطينية حيث كان يفيض نشاطاً وحيوية، لم تهزم أبي الحياة، وكان أصعب ما في حياة أبي يوم أن يذهب يجدد الوثيقة فقد لاحظت كم يكون قلقاً.

موسوعة بيت المقدس أهم بصمة في حياة أبي الفكرية والمعلوماتية، في هذه الفترة أذكى أبي روح النضال في نفسه و في الآخرين، وأذكى روح المقاومة .

كان أبي يقرأ العالم، وقد علمني أن أحاول أن أقرأ العالم، وعلمني أن أحاول أن أقرأ نفسي كان أبي ضد

الطائفية، وضد التدخل الأجنبي في قضايانا العربية، وكان يقول لي "العرب لم يستفيدوا من الازدهار النفطي، الغرب هو المستفيد الوحيد من الازدهار النفطي العربي ."

كان أبي رحمه الله مؤسسة فكرية بأكملها، لو أتيح له المال والوقت لأنجز الكثير لكنه ، كان يعمل من أجل أن يعيش، وقد ورث أبي العبقرية عن خاله "محمود الحوت "وهو شاعر لبناني، وأسرة الحوت معروفة بعراقتها في لبنان وهي في نسب مع عائلة الميقاتي، وتكوين أبي النفسي والفكري مطابق لخاله محمود الحوت وقد حملت البعض من هذا التكوين فتكويني النفسي والفكري قريب من أبي، ويقترب تكوين أبي من تكوين ابن خاله "شفيق الحوت "هذا الرجل العظيم، وكان أبي يعتز بعائلة الحوت، عائلة والدته أسماء الحوت ويذكرها بمحبة .

يعصرني الألم حين يحكي لي أبي ، فقلب الفلسطيني يعتصره الألم على فقد بلاده المسروقة المغتصبة .

كافح أبي انهياره، وحول هذا الانهيار إلى قوة، وكان أبي على مستوى الحقيقة حين يتحدث عن وطنه . وكانت له تقاليد كلامية يسكت حين يتكلم الآخر ويصغى للآخر باهتمام .

وهتفت يا فدوى في الكلية العربية انكص على عقبيك يا بلفور، لكن حدثت النكبة وهاجر الفلسطينيون وتكونت خيام الشتات، وكانت الأسر تقيم خيامها .

أه يا فدوى كنت أتمنى أن تدوم حياتنا الهنية في وطننا لكن كما ذكرت لك اضطررنا إلى الهجرة في 25 كانون الثاني سنة 1948 .

حكيت لي يا ابي كيف كنت تهتف في ساحة الكلية العربية منذ وعد بلفور كنت تهتف فلسطين عربية حرة أجل كنا نهتف ضد الصهاينة والإنجليز كنا نهتف انكص على عقبيك يا بلفور .

حكيت لي فلسطين، حكيت لي حياتك في فلسطين حبك لمجلة الهلال وحرصك على قراءتها حبك لمجلة المقتطف والمصور وجريدة السياسة الأسبوعية حبك لمصر وأخبار مصر ، مصر نبراس الأمة العربية وسراجها أجل يا فدوى كنت أتتبع أخبار الرحالة أمين الريحاني .عودتنا الكلية العربية على الاعتماد على عقولنا أكثر من مشاعرنا .

عشق والدي مجدل عسقلان وعشق مدينة القدس وعشق مدينة يافا المدينة التي ولدت فيها أمي رآها وهي مسافرة من يافا إلى تل أبيب وحكيت لي أمي أنه طوال الرحلة كان يصفر ويغني لها :صبحت حياتنا سوى وتحققت كل الأحلام /ما دام جمعنا الهوى ليه تفرقنا الأيام .

وحكى لي أبي عن يافا إنها كانت مركز إشعاع في فلسطين ثقافياً ورياضياً وصحفياً وتجارياً وسياسياً ويصف لي أبي مكتبة يافا المكتبة العامة المشيدة فوق قسم كبير من الجامع الكبير، وكان يوجد قاعة لإقامة الندوات التي كان يحضرها نخبة من رجال المثقفين وكان المثقفون المصريون يأتون إلى هذه

القاعة ويقيمون فيها الندوات، وكان أبناء يافا يذهبون إلى مصر ويقيمون الندوات ، هكذا تستمر الذكريات ويستمر الحكي .

كان أبي معجم الثقافة والمعلومات

وكان أبي عرفاتيا طوال حياته، فقد قدر أبي السبب الذى دفع عرفات لقبول كامب ديفيد، بينما رفضت هذه التبريرات، لأن قضيتنا فقدت الكثير بعد أن وافق عرفات على كامب ديفيد .

وكان على مستوى الدقة الشديدة، تجاوز أبي الإحساس، بالضياع وقد وصل لي إحساسه هذا حين عمل في إذاعة منظمة التحرير الفلسطينية أصبح أبي معجم الثقافة وأصبح العمل من أجل فلسطين عالمه الكلي، إنه فؤاد عباس الشيخ الفلسطيني الفريد، وشجرة البرتقال الأريحية، كان أبي يدرك مستقبل الفلسطيني المعقد .

وكان يرى أن الفلسطيني يجب أن يكون شديد الوعي، وشديد القوة، يتجاوز واقعه المعقد بل والشديد التعقيد، وكان أبي يجتز حنينه إلى فلسطين، ومع ذلك كان قوياً فالقوة ضرورة في حالة الإنسان الفلسطيني، الذي عاش في منفاه وطأة الحزن والعقد، وعاش حالات العزلة والغضب المكتوم، والشعور بوطأة القهر والظلم والعزل والإخفاق، لم يكن أبي يتظاهر بالتدين ولم يكن يحكي كثيراً في الدين وفي الحقيقة كان أبي عميقاً في تدينه ففي مكتبته، لا يقل عن ألفي كتاب، كان يصلي وكل فجر يقرأ القرآن الكريم بصوت جميل، كان أبي متعصباً لدينه ومتعمقاً في دينه، كنت أعرف عنه ذلك، لكنه لم يقبل بالتظاهر بالتدين، حكماً قال لي الدين علاقة حميمية بين الإنسان وربه، وكان أبي عصرياً في تدينه، وكان أبي زميلي في المعهد الإسلامي، كان أبي عرفاتياً فقد أحب ياسر عرفات، وكان رجلاً من رجاله فأبي ناصري أولاً، عرفاتياً ثانياً، أحب كثيراً الشيخ أحمد ياسين، وأبو جهاد وأبو إياد، كما ذكرت أن أبي درب سياسياً رجالاً من فتح ودربهم عسكرياً ، كذلك درب رجالاً من حماس وكان يقول لي دائماً "حماس الجناح العسكري لفتح ."

كتب أبي موسوعة بيت القدس المكونة من ثلاثين جزءاً وكتب خمسة كتب من كتب الفولكلور، فقد كتب أبي وأفاض في الموروث الشعبي الفلسطيني .

كان أبي في خريفه ربيعاً إنها الحقبة الناصرية الحقبة التي ازدهرت بها قضية فلسطين .وتحول قلق أبي إلى قلق بناء .

لقد عشت بعد النكبة طفولة مفرطة في شفافيتها، وعرفت طفولتي معنى الحزن الشفيف ووحده أبي فطن إلى معاناتي وأدرك أن حزنه الدفين على فقد وطنه سبب لي هذه الآلام، لذلك كانت الفترة الناصرية المفحمة بالأمل والحلم علاج لي ولأبي، لم يعد الحزن يجلس بجانبي استبدلت مع أبي الحزن بالأمل .

تحولنا أنا وأبي من الالتياع إلى فعل المقاومة هذا، ما فعله عبد الناصر بالشعب الفلسطيني وبالقضية الفلسطينية، هكذا أيقظنا عبد الناصر وأنقذنا من الإلتياع وعلمنا "ما أخذ بالقوة يعود بالقوة "

ومات عبد الناصر الأسطورة، والبطل واستمريت أنا وأبي نعيش نفس الجو الجو ذاته .حدثت النكسة فانتفضنا، أبي المورّث على رائحة شذى فلسطين عبق البرتقال وعبق الزيتون أبي حكى فلسطين وعاشها ، الزهور يا فدوى لا تنمو في الأثير أهدافنا يجب أن نزرعها جذوراً في أرضنا الفلسطينية لم نستسلم للقهر ولن نوسم بالقهر هذا ما يريده عدونا لنا احذري القهر يا فدوى .

وكان أبي يخضع كل دقيقة في حياته لهدف الكتابة كتابة وطنه وكتابة القدس وكتابة التراث الفلسطيني، وأبي هو الذي فهمني كإنسانه هينة تعيش في بساطة وفهم أختي عايدة الصارمة التي كان هدفها في الحياة تعذيبي ولا أعرف لماذا .

ورغم أنني الأكبر منها إلا أنها ترفض وجودي، كان رفضها لي مبطناً ثم أصبح ظاهراً ولا تخفيه، ومرت علي فترات لم أعد قادرة على المقاومة لولا أبي الذي كان يتدخل لصالحي .

ارتبط أبي بروح فلسطين وتراثها، وحافظ أبي على ..تقاليده وموروثاته الفلسطينية ولم يرتدي قناع المنفى وتحدى سعار ..المنافي .

أدرك أبي أهمية التراث، وكان همه تدوين التراث الفلسطيني لأن تراثنا يتعرض للسطو من قبل الصهاينة، وأثارنا التي عمرها مليون عام تتعرض لنفس الإدعاء .

كان أبي شديد التواضع، لكن كان له رسالة كبرى، وكان لدى أبي إحساساً جمالياً، نابعاً من اكتمال روحي عميق أدركته ذاتي الروحانية .

وقد يقف أبي طويلاً ليتأمل شجرة، إن روحانية عميقة تدفعه لذلك، وربما حب أبي للطبيعة والحياة يساعده على التغلب على الحياة النفسية الصعبة التي عاشها بعد النكبة .

كان أبي يحب الحياة، وإن مرض لا يعترف بالمرض وحتى في ساعاته الأخيرة، كنت أسأله يا أبي هل تتألم يقول لي لا، ومات أبي كطعم الصبار موتك يا أبي كان أبي يقاوم الموت لأنه أحب الحياة، بل عشقها وعنيت وأسأل نفسي دائماً –هل أحب أبي الموت وهل ارتاح في قبره .

قاوم أبي الموت وتحداه التحدي المطلق، وقبل أن يذهب في غيبوبة دعا ربه ألا يموت، قال يا ربي أريد أن أعيش، ونظر لي وقال :

"الحياة جميلة يا فدوى، أريد أن أعيش "هل أنت تائهاً في موتك، أو أنك في الفردوس وأدعو لك بالفردوس يا أبي."

كان أبي صاحب يقظة فكرية مستمرة، بينما كنت أصاب أحياناً بغيبوبة فكرية حيث تطغي أحلامي

وخيالاتي على أفكاري، إنني أسطورية في كتاباتي أكشف نفسي بنفسي .

بينما إتجه أبي إلى الإبداع اليقظ، في حين أغرق في المطلق واللا منتهي، وكأنني لا أقوى على الكون وقوانينه، وكان أبي يعي رهافتي ويأخذ بيدي، ويقودني إلى شاطئ الأمان، ظل أبي يعلمني أن أكون قوية بالتدريج وحاول أن يبثني قوته، إلى أن أصبحت بعضاً منه قوة وفكراً.

كان أبي ثورياً وعقلانياً في آن واحد، ولكنه أيضاً الرومانسي مهما حاول أن يخفي رومانسيته فحنينه وعذابه على وطنه ذروة الرومانسية وتكوينه قومي، وتكوينه القومي يدخل فيه خاله "محمود الحوت "الذي قابلته في بيروت ودهشت عندما رأيت فيه الشاعر . الشديد الحزن والرومانسى العميق

"أبي وخاله الشاعر محمود الحوت كان يريان ضرورة أن الشعر يجب أن يتبع الوزن والقافية بينما كنت أرى اللغة هي الشعر، واللغة كائن حي يجب أن يتطور، وشكل الشعر يتعلق بالزمن .

محمود الحوت رأيت النسخة التوأم، فأبي وخاله نفس التكوين ونفس الشخصية وأخبرت أبي بذلك وقلت له حقيقة إن ثلثين الشخص لخاله "محمود الحوت "الشاعر اللبناني الذي عشق يافا، وعشق فلسطين، وكما ذكرت كان أبي ناصرياً ومدافعاً عن ناصر الرمز الجميل وكان يقول لي" :إذا كان عبد الناصر قاهراً للثقافة فلماذا ازدهرت الثقافة في عصره، كل هذا الازدهار، أجل هو عبد الناصر الذي آمن بحرية الإبداع، وهو عبد الناصر الذي كان يكره الظلم .هو عبد الناصر الذي كان يقول :ارفع رأسك يا أخي فقد مضى عهد الاستعباد .

نعم يا أبي أين هي الدكتاتورية التي قهرت المثقفين إن عصر عبد الناصر هو عصر الحرية وعصر الإبداع، ولو استمرت "مصر الحبيبة "على الخط الناصري لأصبحت مثل الصين وتركيا، كان يرى أبي عبد الناصر رجلاً عصرياً وكان يقول لي فدوي لن نعيش خارج العصر .

لم يكن أبي يهاجم ما هو مألوف، أو متفق عليه فالمعروف عرفاً، كالمشروط شرطاً، كان أبي يحترم التقاليد العريقة، ويقف مع الضعيف فقلبه يتسع للمشاعر الإنسانية .

ومن أبي تعلمت أن أعشق المقاومة، فلا مساومة على الأرض، لأنه لا مساومة في العرض ولا مساومة في الكرامة، فالأرض هي العرض .

كان أبي دائماً يزودني بالكتب، فهل كان أبي يريدني كاتبة؟ إن أبي لم يفعل ذلك مع باقي أخواتي ، كان يدخل البيت ويعطني ما في يده من كتب، كان يراني الأكثر ثقافة فيهم .

تعرض أبي في آخر حياته لنكسة كتابية حين لم ينجح في طباعة باقي موسوعة بيت المقدس، فطبع منها فقط تسعة أجزاء وبقى واحد وعشرون جزءا لم تطبع ، وسرق الواحد والعشرين جزءا يوم وفاته

تعرض أبي لقفلة كتابية، حين وجد صعوبة في طبع باقي الموسوعة، موسوعة بيت المقدس، أدرك

أبي التخاذل العربي وقال لي" :على العرب، أن يخافوا الصهاينة وعليهم أن يكونوا أقوياء لمجابهتهم ."

توقف أبي فجأة عن الكتابة لكن حوارتنا الثقافية استمرت وكثيراً ما كان أبي يطلب مني مراجعة ذاتي عبر الاستراحة الروحية فالذي يراجع ذاته يتجنب الخطأ وإن أخطأ لا يعاود الخطأ وكان دائماً يطلب مني تصعيد قوة احتمالي .

وكان يطلب مني ألا أنتمي لذاتي فالانتماء للذات محدود لكن الانتماء لمحيط شاسع يمنحنا الأفق الرحب ، إنه العصر الناصري بكل شساعته ونصاعته وكان أبي يشعر بأنني أخاف شيئاً غريباً من المستقبل يدرك ذلك ولقد فهم أن هذا الخوف انتقل منه إلى فأبي كان قلقاً في منفاة ولا يشعر بالاستقرار، وتنهمر على الأسئلة، ما الذي يحدث لو انقلبت المنافي علينا وفعلاً انقلبت المنافي علينا يا أبي وقتلنا قابيل ، كيف يا أبي لا أخاف وذاتي مهددة من أعداء الخارج والداخل من أمريكا والصهيونية وقابيل أخي "الدول العربية "لقد ترسبت النكبة في أعماق طفولتي نعم رفع رؤوسنا عبد الناصر القوى المثقف العظيم لكن بعده عرفنا معنى التهميش بل عرفنا معنى الذل غدروا بنا يا أبي غدر قابيل بهابيل إنها حرب نفسية يا أبي على الفلسطيني استهدفت تسطيحه واستهدفت تحطيم نفسيته وتحطيم دواخله بالأمل وإطفاء الروح الملحمية للإنسان الفلسطيني .

كانت علاقة أبي بربه قوية وكان يصلي بخشوع ويقرأ القرآن الكريم بخشوع، وكان أبي عارفاً بنفسه يفهمها وله قدرة على فهم الآخرين، وهو فرد عميق في أحاسيسه الإنسانية، وكان يدرك الخطر الذي وقع على الإنسان الفلسطيني فالفلسطيني في منفاه بلا أمل .

تعرض أبي لقفلة كتابية حين وجد صعوبة في طبع باقي موسوعته ببيت المقدس وأدرك أبي التخاذل العربي، وقال لي" :على العرب أن يخافوا من الصهاينة عليهم أن يكونوا أقوياء ."

لم تطبع الموسوعة وطبع على حسابه تسعة أجزاء و واحد وعشرين جزءاً تعرضت للسرقة بعد موته .

كان دائماً يحرسها بعينيه، مات حارس الموسوعة فسرقت الموسوعة، سرق 21جزءاً .

عاش أبي فترة المد القومي وكان ممتلئاً بالحيوية الثورية، وعمل في إذاعة منظمة التحرير الفلسطينية فهو واحد من الذين أسسوا إذاعة منظمة التحرير الفلسطينية، كان يعد "خاطرة الصباح "وهو برنامج يومي، وكان يعد برنامج "أحياء عند ربهم "وأعد برنامج "أوراق فلسطينية "وكان يكتب التعليقات السياسية، فهو من الذين أسسوا الإذاعة ومن الذين أسسوا منظمة التحرير الفلسطينية لقد درب أبي رجال المقاومة سياسياً وثقافياً فقد كان أبي يؤمن بأن المقاوم لابد أن يكون مثقفاً، كان أبي يستبشر خيراً لكنه كان يرى ضرورة مضاعفة نشاطنا العقلي، وأن نضع العلم في نصابه العملي، وكان أبي يقدر الأمور حق قدرها ولم يكن رجلاً قطعياً كان يستشير الآخرين ، ويأخذ بالرأى والرأى الآخر .

الجدير بالذكر أن "موسوعة بيت المقدس "مقيمة من لجنة القدس بأنها موسوعة عظيمة، وقيمت من كبار النقاد، لكن الموسوعة اعتذر عن طبعها، مؤسسات عربية لها عراقتها اعترفت بالقيمة الفريدة لهذه الموسوعة التي رفض طباعتها أمراء عرب ، ومؤسسات عربية ، واللوم الأكبر يقع على السلطة الفلسطينية .

القدس خارج اهتمام العرب، وهذا أحزن أبي كثيراً، كان أبي يفكر قبل أن يعطي حكمه، فلم يكن ارتجالياً في رأيه .

كان أبي يتألم لما ألم بالأمة العربية من مشاكل ولكن بحنكته وخبرته، كان يرى أن النصر سيكون حليف العرب بالرغم من عتامة الأمور وضيق المخرج، وكنت أسأله هل ستعود فلسطين لنا؟

يقول :نعم "لأن للفلسطيني نفساً عميقاً، فالصمود في دمه، والفلسطيني عاشق للأرض .

أبي لم ينسى أيامه في فلسطين لحظة واحدة حدثني عن نوادي التمثيل في يافا وتأثر أهل يافا بالتمثيل والفن في مصر حدثني عن حي العجمي بيافا كنت أنصت إليه وأتخيل نفسي أسير معه في شارع العجمي بيافا ويحكي لي أبي كيف فتن بالشيخ المنفلوطي وكيف إنهم كانوا في الكلية العربية يمثلون روايات المنفلوطي .

قال لى :إعتنت الكلية العربية بتثقيفنا عروبياً وكانت تحثنا الكلية العربية على إستعمال العقل أكثر من المشاعر فنحن العرب عاطفيون أكثر من اللازم .

يافا يا فدوى كانت مركز الصحافة وكان يصدر فيها جريدة الأخبار وجريدة فلسطين وجريدة المنار، وجريدة الشعب، وجريدة الدستور وكانت يافا يا فدوى مركزاً للتجارة فيها ميناء عظيم، وحدثني كيف أن جاليات من مصر أتت وسكنت يافا واشتغلت بالتجارة وأسسوا سوق البلابسة .

وحدثني أبي كيف كان يقرأ الكتب الحديثة التي كانت تصدر في مصر، كنت أقرأ هذه الكتب يا فدوى على شاطئ البحر حيث عشت سنتين في بيت أخوالي اللبنانيين في يافا -أخوالي محمد الحوت، ومحمود الحوت، ومحمود خالي اللبناني كتب دواوين شعر عن فلسطين وكنت أسير مع خالي محمود على شاطئ يافا وكان خالي من مؤيدي الحركة العربية الاستقلالية وكنت أسافر إلى لبنان براً، كنت أقطع نهر العوجا متجهاً شمالاً فأمر بحيفا وعكا وأثار قيصرونة ونصل إلى الناقورة وفي الناقورة مركز حدود لبنان ونتجه شمالاً إلى لبنان .

إنها أرضنا يا فدوى ونحن نعشقها ، لن تكون صراعا مسرحيا يلعب فيه المحتل دور صاحب الأرض .

نعم يا أبي الفلسطيني عاشق لأرضه، وأنت يا أبي عاشق لفلسطين التي يفوح من طينها الزعتر والمريمية والزيتون والبرتقال .

لأنك إبنها الفلسطيني عاشق لأرض فلسطين، فلابد أن نعود للأرض ولرائحة الأرض .

نعم يا إبنتي الفلسطيني مقاوم ، حتى ولو كان يتعكز على الصمود، أنظر في ملامح أبي المنحوتة نحتاً كنعانياً، نعم يا أبي إنه صامد في أرض يتيمة، يلتهمها الصهاينة الغاصبون، لم يخلع أبي رداء الوطن، كان يلبس الوطن، إنه والوطن توأم، ولماذا هذه التقطيبة المفاجئة؟ أجل كان أبى أحيانا تصيبه تقطيبة مفاجئة تدل على حزن عميق .

كانت فلسطين روح أبي، وجسد أبي، قبل أن يغادر الحياة بقليل قال لي :فدوى هل أنا في المجدل "وأتذكر صوت أبي وهو يقول اسمها ليس عصبة الأمة بل عصابة الأمم، وهو وطن قومي مرسوم ومخطط له .أقف عند القفلة المفاجئة في قلم أبي .

لماذا هذه القفلة المفاجئة؟ كان أبي يعادي الظلم ويعادي الجهلاء الانتهازيون الذين اقتحموا السياسة.

هل شعر بأن من حوله يعممون الجهل؟ ولا يهتمون بالصرح العلمي والمعرفي لأدق الأمور، وأوجبها بالمعرفة القدس قدسنا قدس الأقداس لماذا لا تطبع موسوعة كتب عنها وبذل فيها جهداً كبيراً ؟

لماذا لم تبذر السلطة البذور في حقول المعرفة؟ وخاصة أن المعنية هي قدس الأقداس؟

هل اعتصمنا سياسياً بالجهالة؟ وإلا ما معنى أن تعتذر أعظم مؤسساتنا العلمية، ومعها مؤسسات السلطة عن طبع موسوعة بيت المقدس؟

أم هل هي لا مبالاة نتكئ عليها؟

وهذا العناء الشديد الذي بذله أبي .

ثلاثون عاماً على تأليف موسوعة بيت المقدس .

عندما لا تطبع موسوعة، تكتب القدس حرفاً حرفاً هل نحن في نهاية العالم؟ وهل العلم له نهاية؟ أم لقد أصبت بالخوف على أبي إلى حد الاكتئاب، ولا تنسى أيها القارئ إنني ابنة النكبة .

انضباط التعبير كان يميز أبي كان يختار ألفاظه بعناية حين يتكلم .

وتستمر ذكريات أبي الذي عشق فلسطين ومدنها مدينة مدينة إنه أبي أيقونة فلسطين الحبيبة يافا يا فدوى يافا ذات الاسم الفينيقي والذي يعني الجميلة ويافا جميلة وقد اخترت أمك الجميلة من يافا الجميلة .إنها يافا يا فدوى، ملتقى الثقافة، وملتقى الكفاح وملتقى المدينات.

عملت مدرساً وكان أسعد يوم في حياتي يوم وقفت في الصف أعلم أبناء وطني، وعيناي على أرض وطني، وعلى أشجار الزيتون والبرتقال كانت حياتي في فلسطين رغدة مطمئنة .

**أغلى ما في الوجود يا فدوى الوطن وسؤال أسأله لأبي هل تعود فلسطين؟**

**المسئولية يا فدوى تقع علينا نحن الفلسطينيين .أولاً، وعلى العرب ثانياً، كان أبي رحمه الله يعشق قول الحقيقة ويرى المثالية في قول الحقيقة والشجاعة في قول الحقيقة، ولم يكن أبي يعرف الإذعان، فقد فوجئت به يضرب رجلاً مهماً في السلطة الفلسطينية لأنه شعر بخيانته وأدهشني ذلك، وقال لي تأديب الخونة واجب أما أعدائه الضعفاء فكان يعفو عنهم .وأحدهم ممرض عمل في الصحافة وهاجم أبي وشفقة عليه لم يرد أبي عليه .**

**وكان أبي يحب خدمة الناس أكثر من حبه للظهور، لم يكن أبي يؤمن بالتبعية لكنه أحب الرئيس ياسر عرفات، وفي الحقيقة لو تفرغ أبي تفرغا كاملا لأثرى المكتبة الفلسطينية وهذا ما يجب أن يفعله المسئولون أن يمنحوا الموهوبين جداً حتمية التفرغ، هنا ستستفيد فلسطين من العباقرة من أبنائها، لكن أبي انغمس كثيراً في قضيته وقد تعلمت من أبي محاولة اكتشاف الكون واكتشاف ذاتي واكتشاف الآخرين .**

**الفلسطيني صامد في أرض يتيمة يقسمها الصهاينة، لكنه صامد حتى ولو أنه يتعكز على الصمود، حتى وإن ذاق طعم الصبر المر .**

**كان أبي يمثل لي الانطلاق الفكري الشمولي .وكان الهم العربي سرمدى في فكره، النون مهمة عنده فنحن أهم من أنا .**

**أرى أن الحياة تتغير والأشخاص يتغيرون، لم أر أبي يتغير أو يغير من مكانه أو من فكره، كان كما هو مفكر وقوي وشامخ والقيم النبيلة هي أساس حياته، جوهرية أبي الحق –الخير –الجمال –هذه القيم جعلها نهج حياته، لآخر يوم من حياته .**

**لم يعتبر أبي أنه يوجد صراع بين القديم والجديد، كان يقدس القديم يقدس الثوابت ويعتز كثيراً بالتراث، لكنه كان يقبل الجديد ولو كتبت شعراً فيه بعض الغموض، كان يقول لي لو قلت ذلك بطريقة أوضح، أبي يرجح العراقة والأصالة، ولكل كلمة معناها الخاص، بينما أرجح الدلالة في المعنى والمضمون في المعنى .**

**كانت فلسطين همه الخاص والعام، وهي همه الرهيب فالقضية شائكة، والاحتلال يأكل الإنسان الفلسطيني على مراحل، حتى التراث تراثنا العريق يغيره الصهيوني، ينتزعون الكتابات العربية عن أثارنا ويضعون ملها العبرية ليثبتوا وجودهم اليهودي في فلسطين .**

**كانت فلسطين هم أبي، كما هي همي الآن، هذه القضية الشائكة لم تجعله ينال السعادة التي هي مفطور عليها، لذلك كان يقول لي" :أيامي في مجدل عسقلان هي أجمل أيام حياتي "إن حياتي يا ابنتي في**

المنفى هي حياة الضياع .

ذكرت أن أبي بكى ولم أره يبكي إلا عندما ماتت جدتي "أسماء سليم الحوت "فقد كان أبي متعلقاً إلى حد كبير بأمه، وكانت جدتي تدللّه كثيراً وكان أبي الذكر الوحيد على خمس بنات، هذا الذي دللته أسماء الحوت ودللته فلسطين حيث كان جدي إبراهيم عباس من أثرياء فلسطين وكان أبي يملك العمائر والأرض والحواكير .

"أيامي في مجدل عسقلاني يا فدوى "هي أجمل أيام حياتي، كانت الحياة لامعة وكان الهواء رقيقاً، كانت الحياة لذيذة وجميلة .

والسيارة والفرس، عرف أبي شطف العيش، واستغل في الظفير وتول وهي قرى سعودية حيث كان يأكل أبسط الطعام، لقد عرف أبي كفاح لقمة العيش، وعرف أبي كفاح القلم .كان أبي يدرك تماماً تفوقه في الحياة، وأن الله قد حباه التفوق والعبقرية .

فهو شخص يدرك تميزه، ومن العباقرة من يدركون تفوقهم، ومنهم من لا يدرون بهذا التفوق، كان كاملاً هكذا خلق، أكثر من كونه متكامل أو يسعى إلى التكامل رغم أنه لم يفتر لحظة واحدة عن الجد والسعي، وكأنه خلق للبحث والعمل فقط يفعل ذلك بتوازن شديد واتساق وتناغم مع الحياة .

وقادني تفكيري إلى أن البعض يخلقه الله بقدرات فائقة وتوازن تام مع الحياة، كان صاحب عقل لامع ونزاهة فكرية كان أبي رحمه الله يمثل لي هذا التوازن، في وقت كنت أتصارع مع كينونتي كوني بلا وطن وأتصارع مع وجودي الإنساني، وكان أبي يهدي من روعي وسؤال سرمدى إلى الآن لم أجد الإجابة عليه لماذا سرقوا وطني فهذه السرقة مدعمة، وسؤال :لماذا يلح علي، وكان أبي يجيبني "فلسطين حقنا الأبدي المؤبد ."

انتمى أبي كما ذكرت إلى "منظمة التحرير الفلسطينية "وكان مخلصاً لها إخلاصاً شديداً يصل إلى حد التقديس، وكان يحب أصدقائه ويحترمهم ومن أعز أصدقائه "أحمد عمر شاهين "و خليل عيلبوني "و "علي هاشم رشيد "ومحمد صبيح أحبك يا أبي فالكلام معك عن فلسطين لا ينتهي ولآخر لحظات حياتي أبي يحكي لي وأنا أحكي له، إنها مطولة لا نهاية لها لابد أن تعود فلسطين .

ويستمر التواصل الوطني مع أبي .لقد تجاوزت هذه الطفولة السوداء الغامضة، وهذا السواد الذي عاشه أبي وبدون أن يدري نقله لي .

اكتشف أبي الروح الملحمية الحزينة بداخلي واكتشف كمية الألم الوجودي بداخلي فساعدني على الحياة ووقف بجانبي .

وكان أبي يفطن إلى المعاملة المستفزة الزائدة التي يعاملني بها التوأم عايدة وأمال، كان أبي عادلاً

وكان يلاحظ عدوانيتهما على ، وكان يحميني منهما فلم أكن أملك قوتهما وكانت عايدة تضربني أما آمال فمكائدها عميقة ومخيفة ، وحين يراني أبي أتألم من ظلمهما يقول لي أنت زينة بناتي أعرف حدة أمال وحدة عايدة أفهم أولادي كلهم.

يا فدوى الله يرضى عليك من الأرض للسماء ومن السماء للأرض، وسن أبي "قانون حماية الأسرة " "سن قانون العدل "وبالرغم أنني أمام جبروت التوأم كنت أجد نفسي ضحية إن لديهما حدة مهلكة .

عايدة وآمال وأنا ، وحده أبي كان يقف بجانبي ويخفف عني ورغم تعاطف أختي نجوى معي وتعاطف إخوتي الذكور معي إلا أنه لا أحد يستطيع أن يتصدى لهذا التوأم المتطابق تماماً .

والفرق أمال شر صامت وعايدة شر زاعق كنت أصمت وأتأمل شرهما وأسأل لماذا؟

في الحقيقة ربما كنت أقرب منهما إلى أبي ربما فأنا زميلته في عمله في إذاعة منظمة التحرير وزميلته في المعهد الإسلامي، ورفيقته في جلساته النهارية المثمرة في حديقة المنزل ورفيقته في حكايات الوطن وتنظيم الحديقة وإروائها لكنني لم أكن أكرههما رغم قسوتهما الشديدة علي كنت أوجل التفكير فيهما بعد كل مقلب أتلقاه منهما .

حاولت أن أفك لغز الكراهية، ولم أفلح، إنهما تشوهان استقراري النفس، لكنني أتغلب على ذلك .

يقول لي" :الوطن لا يعود بالتوسل يا ابنتي وكما قال الزعيم الخالد "جمال عبد الناصر"، ما أخذ بالقوة يجب أن يعود بالقوة .تحول أبي من ملتاع على وطنه إلى مناضل .

السياسة والأدب والموسيقى وجلسات أبي يؤجلون عندي الأمور الأخرى التي أجدها لا تستحق الإهتمام .

نعم يا ابنتي الوطن لا يعود بالتوسل كما قال الزعيم الخالد "جمال عبد الناصر" "ما أخذ بالقوة يجب أن يعود بالقوة "لم ينقطع التعبير البليغ عن شجون الوطن لحظة واحدة في حياتك، نعم يا أبي كنت تحدثني عن فلسطين وكلك حنين، لقد هرب منك الفرح الأبدي إلى هناك عند الكروم والحاكورة ووصل إلى جبل المكبر في القدس أجل يا فدوى أيامي في الكلية العربية هي أجمل الأيام نعم يا أبي بعد خروجك من فلسطين هرب الفرح الأبدي منك لقد هرب الفرح إلى هناك عند الكروم والحاكورة ووصل إلى جبل المكبر، ونبت يا أبي فى الحنين وعشت حياة بلا حياة .

هكذا يا أبي تركك الفرح وحيداً حدثني أبي عن فلسطين فأقامت فلسطين في جسدي وروحي وسري – وسحري، أقامت فلسطين في خطواتي، أحك لي يا حكاء فلسطين يا إبن روح المجدل لقد أغرقت المجدل بغرام عظيم، رأيت يا أبي فلسطين في عينيك، لم أرها تختفي من عينيك يوماً واحداً .

بذلت قلمك ليحيا الوطن بذلته سنوات عمرك التي قضيتها في المنافي، حكيت لي الوطن فجعلتني

أتجاوز المنافي لأعبر بخيالي إلى هناك إلى فلسطين وإلى عسقلان، كنت يا أبي تعيش في يسر ورغد ثم أصبحت فقيرا وفرق بين حياة اليسر وحياة العسر ."

سقيت الوطن بماء الكلمات، حتى يدوب البعد، أه يا ربان السفينة المبحرة تراث الوطن ذات يوم ستصل السفينة يا أبي .

كان أبي صاحب منطق لغوي، وكان له أسلوب فريد في الحديث أنه صاحب عقل لغوي، وكانت الإنسانية ديدن أبي، والتسامح من أروع صفاته، حتى مع أعدائه يتسامح .

أما روحه الشرقية فهي تسع الوجود كله، فهي روح تمس الوجود كله ، فهي روح تتآلف مع الطبيعة وتعشقها مع البشر والكون .

حلم الصهاينة يا ابنتي في امتلاك فلسطين وهم لابد أن يزول، إن فلسطين لن تموت والأماكن العريقة لا تموت .

إستمر أبي يهفو إلى فلسطين، ويهفو إلى كل ما يذكره بها ففردوسه المفقود ماثل أمامه والوطن لا يغيب كان أبي بسيطاً بساطة عادية وكان عميقاً عمقاً غير عادي وهو إنسان متجدد وغير قابل للتكرار .

وصوت شجن رائع بداخله هو صوت فلسطين ولا يمكن أن أنكر أن النكبة سببت لأبي توتر داخلي مزمن كما سببت لي هذا التوتر وأعتقد أن كل فلسطيني سببت له النكبة هذا التوتر الداخلي اللعين، أقول لأبي أعتقد يا أبي أن الكثيرين يكرهون الصهاينة لأنهم يسببون لغيرهم التوتر أينما كانوا وكيفها كانوا .

إنهم لا يحبون إلا أنفسهم ولا يعرفون الحميمة البشرية، ولو كانوا يشعرون بالحميمة البشرية والروابط البشرية لما أقبلوا على قتل الأطفال الأبرياء، وأقول للصهاينة الشعوب لا تنسى أوطانها نعم عشت مع أبي سنوات عظيمة /سنوات صاخبة /سنوات من الحياة الحقيقية الستينيات /والعصر الناصري الفريد .

رياح الحرية القوية هبت على العالم ومنحتنا الحياة المضاعفة .الأمواج تكسرت بعد ذلك يا أبي .

أقرأ شعر محمود درويش /أقرأ شعر لسميح القاسم أقرأ الشعر الفلسطيني /خيول فلسطين يا أبي حزينة سنقاوم يا فدوى /ستقاوم هزائمنا ونحولها إلى انتصار أعرف يا أبي أن رأسك تكتظ بالأفكار ولن تنمو الصهيونية أيها الفلسطيني العريق من أفكارك الرائعة .

نعم يا فدوى حروبنا مع الصهيونية ضرورة لأننا أصحاب حق ، فلسطين لنا ، وحلم الصهاينة وهم سيزول .

## أحك يا شاهد التاريخ

نعم يا ابنتي أيامي في الكلية العربية هي أجمل الأيام ، بعد خروجي من فلسطين لم أعرف الفرح نعم يا أبي هرب الفرح من حياتك يا أبي .

ضلوعك يا أبي تهوى عناق الوطن ، وكيف الحياة بلا هواء فلسطين ؟

أبي يتحد مع الطبيعة فيتذكر فلسطين، وحياة فلسطين، وكنت أشارك أبي حواراته وتفكيره وكثيراً ما كان يقول لي" :إليك هذه النصيحة الذهبية، اكتبيها ."

لقد لمست عقل أبي ولمست قلبه، كان أبي يحمل عقلاً كونياً، وكان صاحب دأب في الإنكباب على المعرفة، وكان يدرك أن المستقبل صعب وإن الإنسان العربي يجب أن يقوم بواجبه، وإن يكدح من أجل المعرفة، فالكدح المعرفي ضرورة عنده، وواجب يومي لا يغيب، والمعرفة الحرة هي هدفه النبيل، كان أبي يكدح من أجل تربية أولاده ويكدح فكرياً من أجل الوطن .

كان أبي يقرأ في الفجر يومياً آيات من القرآن الكريم، يقرأ بعمق وخشوع، وأسمعه دائماً يناجي الله، وقد ترك الكثير من الكتب الدينية والتي تزيد عن الألف كتاب .

كانت أحكام أبي عادلة فالحق من شيم أخلاقه، والموضوعية ديدنه والوثائق التاريخية في درج مكتبه .

وكان أبي يرى في سرقة فلسطين جريمة وأي جريمة وكان يرى أن سرقة فلسطين إهدار لحقنا نحن الفلسطينيون كما أن سرقة الوطن يلازمها سرقة كرامة الإنسان الفلسطيني، وسرقة وجوده .نعم نحن يا أبي بلا وجود كوني، وهذه حقيقة يجب ألا تغيب، كان أبي يؤمن أن قدرات الإنسان الفلسطيني بلا حدود، وإن علينا الصمود .

قاع الذاكرة عند أبي ممتلئ بالتحدي والصمود وإن موجات الهزائم، يعقبها موجات الإنتصار . والانتصار على الذات ضروري .

كانت العقلانية هي السمة الكبرى عند أبي وهي مرتبطة بعبقريته اللغوية، ثم هذا الوعي الصارم العميق المرتبط برفاهة الحس والحنين إلى فلسطين، وكان يؤمن بجدوى النضال بالعلم .

كنت متلقية إيجابية لأفكار أبي

كان أبي متعلقاً بربه يضع المصحف بجانب سريره وفي الصباح يتلو ما تيسر من سور قرآنية .. يقرأها بصوت عالي، وكان أبي ثابتاً في عاداته وثابتاً في مواعيده، وكان أبي كائناً شعرياً ولكن شعريته شعرية الواقع أما أنا فشعريتي استمرت لمدة طويلة جداً من حياتي شعرية الخيال .

وأشهد لأبي أنه أمضى عمره كله يحاول استعادة وطنه على طريقته الثقافية وعن طريق تدريب كتائب

من حماس عندما كانت حماس الجناح العسكري لفتح ولم يفقد أمله لحظة واحدة في الرجوع لفلسطين فاستعادة الحق أمنية غير مستحيلة .

وكان أبي رحمه الله طليقاً في اللغة العربية ويحسب لكل كلمة حسابها، وكانت لغته مصقولة إنها لغة الأقحاح العظماء تلك هي لغة أبي العربية، وهو يجيد صقل لغته بل تعلمت منه صقل لغتي العربية ومزجها بالألفاظ العريقة ، ومنه تعلمت كيف أغوص في أعماق الشعر ومن هنا اكتشفت ملاحم محمود درويش في وقت مبكر جداً من حياتي هكذا عشت في حياة أبي حياة مثالية ولم يكن يعكر على صفاء حياتي سوى أختي الطاغية، عايدة التي أرادت مع توأمها أمال إقصائي عن أسرتي بعد زواجي من الدكتور محمود قمر وفشلتا فشلاً ذريعاً بسبب حب أبي لي ولزوجي الدكتور محمود رحمه الله ، اكتشف أبي إزدواجية الشخصية عند عايدة وأمال واكتشف إزدواجية في شخصيتهما كلاهما أرادت انتزاع السعادة منى وكلاهما كانتا تعانيان من تشائمية مرعبة .

سقيت الوطن بماء الكلمات حتى تذوب البعد عن الوطن وحتى تصنع شرفات للوطن في منفاك يا أبى .

تحول أبي في منفاه إلى عصامي، وكان ثرياً في فلسطين وكانت لأبي تسابيحه الصباحية وهو يداوم فجراً كما ذكرت على الابتهال إلى الله، والقرآن الكريم يلازمه كل صباح، وكان يفهم عمق القرآن الكريم فهو صاحب عقل لغوي فريد، ولا يسمح أبداً بتعكر القراءة، ويرفض اللحن في اللغة شكلاً ومضموناً، وكان يطلع على المصادر اللغوية وأمهات الكتب، والكتب الموسوعية، لقد كانت لديه الملكة اللغوية المتذوقة، وهي فائقة عند أبي ويدرك أسرار المعنى وما وراء المعنى، كانت اللغة بالنسبة له إحساس، وقد ورثت عن أبي الإحساس اللغوي، والتأويل اللغوي وما وراء المعاني، فاللغة ملكة يتذوقها المبدعون .

كان أبي مع المقاومة، ويرفض تماماً تشويه المقاومة وكان يرى أن الصمود صفة شعبنا الفلسطيني، فشعبنا الفلسطيني لازال صامداً سواء داخل الأرض المحتلة أو خارجها، فأبي عاش التمرد على الواقع العربي فهو العصامي والمثقف العضوي .

وكان أبي يرى الضعف عروبي أكبر منه فلسطيني ، أما قضية فلسطين فهي قضية قومية محضة ومع إدانته للحكام العرب إلا أنه كان ضد نقد الذات، فهو يهشم قضيتنا.

ولم يكن عند أبي عقدة ذنب تجاه "فلسطين "لقد قاوم أبي وجرح جرحاً بالغاً في فخذه كما أعطى جدي "إبراهيم عباس "عمارته الجديدة التي بناها وسلمها لجمال عبد الناصر، ورجال المقاومة الذين حاربوا حرباً شريفة من أجل فلسطين، لم تقصر مصر في حق فلسطين لقد قاوم جمال عبد الناصر وقد قابل جدي عبد الناصر في المجدل وفي الفالوجة وحكى لي أبي أن الفلسطيني لم يقصر في حق فلسطين، وحكى لي كيف أن النساء كانوا يبعن متاعهن وحليهن ليشتروا السلاح لكن للأسف كان

السلاح فاسداً .

كانت "فلسطين "تشغل فكر أبي، وكانت قوة أبي في لغته وفكره وهما مدخلان إلى شخصيته أما تكوينه من حيث الشكل، فهو تكوين العباقرة، رأس كبيرة وجبهة عريضة جسد متناسق لا يظهر عليه الامتلاء بسبب طول أبي فقد كان أبي طويلاً، كان أبي على وصال لا ينقطع مع المعرفة، إنه يعشق الورق وفرحة لا حد لها عندما يحصل مني على بعض الكتب كهدية، علمني أبي القراءة النقدية، وكان أبي يعشق التفكير الإيجابي، ويكره التفكير السلبي، ويكره الاستسلام لليأس، ورغم الإيجابية والعقلانية في تفكير أبي وأسلوب حياته، إلا أن شاعرية الحياة عنده لم يكن ليخفيها، وإن ما دل ذلك وتتمثل هذه الشاعرية في صوته الجميل حين يغني بحزن شديد أغنية القدس زهرة المدائن لفيروز، أو زوروني كل سنة مرة /حرام تنسوني بالمرة، وأبي يتنامى مع الطبيعة ويراقب النباتات بدقة بالغة ويغدق على حديقته بالماء الوفير، وكنت ألاحظ سعادته الوافرة وهو يسقى الزروع، فالشاعرية رئيسية في تكوينه، وإن حاول ألا يظهرها .

أحب أبي مصر وكان دائماً حين يتحدث عن "مصر "يقول" :مصر أم الدنيا "ومصر أيضاً أحبته، أحبه أدباء مصر ونقادها ومنهم الروائي العظيم يوسف السباعي وقد عمل أبي معه، كما أحبه يوسف القرعي وكتب عنه كثيراً، كما أحبه الدكتور العظيم مصطفى عبد الغني و الناقد الرائع "حسام عقل " و"مدحت الجيار "الناقد الرائع وغيرهم، كما أحبه جيراننا فالمصريون شعب يقدر العلم والعبقرية .

وكان أبي يعرف تماماً لماذا تضيع ابنته فدوى، ففدوى تضيع منه ومن الحياة لأنها تفكر كثيراً، فحياة الفلسطيني شديدة الغرابة، ولقد مر أبي بمراحل حياتية مختلفة .

لاحظت أن أبي لا يعرف الخوف، وكان يرى أن الفشل لا يأتي إلا حين تخاف فالشجاع يموت مرة واحدة والجبان يموت مائة مرة، وكان أبي يملك ثقافة شاملة ومعطيات ثقافية مكنته من كتابة موسوعة بيت المقدس، وكان أبي يتعرض لانتفاضات نفسية عنيفة حينما تتألم فلسطين وتحاصر .

وكان أبي على المستوى الشخصي نقطة إرشاد لي كان يقودني بحكمته العالية ، فمن ترسبات النكبة وترسبات حزن أبي تكونت فدوى .

كان أبي خلاصي من أوهامي إلى اليقين ومن المستحيل إلى الممكن .

لم تكن ثقافته التأمل فقط ، كانت ثقافته ثقافة الفعل بل قوة الفعل وتمثل ذلك في موسوعته "بيت المقدس "المكونة من ثلاثين جزءاً والمرتبة ترتيباً أبجدياً والموثقة توثيقاً تاريخياً .

كان بيني وبين أبي تواصلاً روحياً عميقاً، ولكن قضية فلسطين كانت أهم ما يشغلنا فقضيتنا هي قضية العدل والمصير والحق، الانصهار في كتابه التراث كانت مطلب نفسي لأبي .

سؤال سألته لأبي ما سر الإسراء والمعراج يا أبي، السر العظيم في ربط فلسطين بالجزيرة العربية؟

وجواب من أبي على لسان علي بن أبي طالب –رضي الله عنه –وأرضاه، أرفع الأرض كلها بيت المقدس وفلسطين يا فدوى بحدودها الشمالية لازمة للجزيرة العربية ليحصل التكامل .

كان أبي يرى أن الإنسان العربي هو نسيج الوحدة العربية ولابد من وحدة العرب فالوحدة العربية ضرورة أن الشكلية الوحدوية يا فدوى موجودة وأكبر دليل إن الجماهير العربية كلها حزنت للنكسة، وفرحت لنصر أكتوبر .

الوحدة العربية موجودة عند جماهيرنا العربية، الجوهرية الوحدوية موجودة عند الإنسان العربي .

كان أبي صريحاً أكثر مما تتطلبه الصراحة "وكان متسامحاً حقيقياً .لا يحمل أحقاداً، وكان عاشقاً لمصر ويرى أن بين مصر وفلسطين اتفاقاً توأمياً .

كان أبي يعتز بعروبته وبقوميته، وكان أبي رحمه الله يعتز بعروبة مصر وقوميتها، ويقدر الدور الرائع الذي تقوم به مصر تجاه "فلسطين ."

أبي يرفض المساومة على "فلسطين "ويراها كلها حقاً كاملاً للفلسطينيين وأحب أبي مصر وكان يرى اتفاقاً توأمياً بين مصر وفلسطين .

عاش أبي في قرن الإمبريالية، ومات محزوناً ومحصوراً على وطنه ذاكراً المجدل حبيبة روحه مستوعباً لوطنه، ومدركاً لأهمية الوطن بالنسبة للإنسان كان اهتمام أبي بالأدب القومي شديداً وهذا لم يمنعه من الاهتمام بالأدب العالمي .

إنه أبي فؤاد عباس المثقف والعبقري الفقير في المنفى والثري صاحب الأراضي والعقارات والسيارات في وطنه، لقد قال لي سفيرنا محمد صبيح في الجامعة العربية إن أبيك كان فقيراً، وأحمد الله إنه كان فقيراً لم تمتد يده لأخذ أموال شعبه كما فعل بعض رجال السلطة .

نعم أبي لم يقدر على طبع موسوعته لضيق اليد طبع فقط تسعة أجزاء .

إنه فؤاد ابن إبراهيم عباس صاحب العمارات والحواكير والأراضي المتراصة، وأخواله آل الحوت، والمعروف أن شارع محمد الحوت من أكبر الشوارع في بيروت، وهو باسم جده القاضي.

كان أبي عنيفاً بالحق، أو هذا العنف العريق كان أبي عنيفاً في الحق وهادئاً في الحياة .

ولا أنسى يوم أن صفع أحد الموظفين في الإذاعة امرأة ، وفي دقيقة واحدة رد أبي له الصفعة إنه العنف في الحق .

كان أبي صريحاً أكثر مما تتطلبه الصراحة، وقد ورثت عن أبي هذه الصراحة التي أسميها أكثر مما

تتطلبه الصراحة .

يوتوبيا أبي ..

أبي يعرف نفسه جيداً .ومن حوله يعرفون أنه رجل له قيمة ومهم وأهميته ترجع لمثاليته .

وقد أتعبني ذلك، كان أبي يوظف صراحته أفضل منى ، وكنت أسأل نفسي هل يدرك سعة فكره، وعمق هذا الفكر، وكان يشكر الله على عطاياه وكان أبي دؤوباً على توسيع مداركه، وكان يستنير من أمهات الكتب، والكتب الحديثة .

لقد تعلم أبي من أساتذته في الكلية العربية استعمال العقل، لذلك لم أسمعه يتحدث بكلام تافه، واستغرب هل كانت الكلية العربية التي درس فيها أبي في القدس في هذا الوقت المبكر على هذه الدرجة العالية من الرقي، والذي أعرفه أن هذه الكلية تخرج منها عباقرة "فلسطين "نسق من التفكير غرسه هؤلاء المدرسون في عقول طلبتهم، محبة القراءة والبحث والمعرفة بلا منتهى وهدفهم استمرارية القيم العروبية .

ومفتاح شخصية أبي العقل والرومانسية والغريب أن يجتمعا معاً، والأغرب أن يعطي أبي لكل عنصر حقه، وهو صاحب الوعي بالإنسان والإنسانية، أبي يرق للإنسان الضعيف ولابد أن يساعده، يمنح العطف والمال لا يضن بهما على الضعيف، فالعامل الإنساني لديه قوى، وتجاوبه الإنساني قوي .

كان أبي يقرأ عيون الشعر الإنجليزي، ويعشق شكسبير على وجه خاص ويسمعنا شعره وأحياناً يطلق العنان للقصائد اللاتينية ينشدها برومانسية رائعة، وحروفه رائعة واضحة، وكنت أتمعن بما يقول .

وأراقب اندماجه التام بما يقول ويظهر إيمانه التام بما يتلفظ مدركاً أهمية ما ينشد، وكأنه ينشد نفسه ، هذا التفاعل الخلاق كنت ماذا أقول يا أبي؟

هل أقول لك إننا في عصر تعبير الرومانسية فج ، عصر أصبح يفتقد إلى القيم والأخلاق .

الصهاينة يقتلون الأم وهي حامل ويقولون تخلصنا من اثنين بدلاً من واحد .يقتلون طفلاً يستغيث ويستبصر إننا في عصر يا أبي بلا مواثيق وبلا أخلاق عصر ألغى التفوق الإنساني، عصر ألغى القيم الأخلاقية .

ولتعود لنا إنسانيتنا يا أبي لابد أن نعود لقيمنا ومواثيقنا وأعرافنا قيمنا الإنسانية .

هكذا تحول أبى من إنسان ثري مدلل حولته الهجرة إلى مناضل وأصبح أبي الناصري القومي وتحول أبي من ثري إلى عصامي يعتمد على كدحه وعصاميته ولم يعد ابن الكلية العربية ميسوراً .

وفي العصر الناصري غير أبي واقعه وأصبح نشيطاً وأصبح يعمل في إذاعة منظمة التحرير ككاتب

برامج ومحرر سياسي وأصبح يكتب المقالات في الصحف والمجلات العربية الثقافية والسياسية .

وأصبح لديه شغف بالعمل السياسي لم يعرف أبي التمرد العشوائي، كان تمرده ملتزماً وكان الجد والإخلاص والحق مبادئه في الحياة كان أبي رغم ثقافته العميقة كان بسيطاً وفطرياً وشديد التلقائية .

حتى البعد الآخر لأبي فهمته وتعلمت منه حوار العقل وتعلمت منه حوار العقل وتعلمت منك الكتابة المعلنة والكتابة الخفية .

ألاحظه وهو ينشد القصائد الإنجليزية أو اللاتينية ، أحب أبي الطبيعة كما ذكرت، وحشد حديقته بالزروع، ورغم أنني أشرفت على دفن أبي ورأيت قبره، لم أكن أتخيل قبر أبي بدون زروع، لمحت شجرة بجانب القبر فسررت جداً .

فأنا أتخيل دائماً قبر أبي أخضر اللون، ويفوح برائحة الورد الجوري والرياحين .أتخيلك يا أبي في قبرك تنام هادئاً، ووجهك غير شاحب، وعيناك غير دامعتان .

أتصوره في السماء متحداً وملتحماً مع سماء بيت المقدس، واسأل هل زالت معاناتك الفريدة يا أبي؟

لم أر أبي يستعجل الموت ، أبي عاشق للحياة، وكما قال محمود درويش "على هذه الأرض ما يستحق الحياة، فيما يرى "مريد البرغوثي "الروائي والشاعر الفلسطيني، وهو صديق أبي .

يرى أن الحياة صعبة وأن الجبال أبت أن تحمل الأمانة وحملها الإنسان فظلم نفسه، وكما ورد في الآية القرآنية الكريمة نعم خلق الإنسان في كبد .

نعم هناك أناس هيأهم الله للحياة فأحبوها وصبروا عليها وتحملوها وكما ورد في الآية الكريمة الإنسان أصلب من الصخر، والإنسان الرائع هو الذي ينتصر على قسوة الحياة .

سمعته يناجي ربه يا ربي يا حبيبي لا أريد أن أموت أنا أحب الحياة، ومات أبي بعد أسبوعين من هذه المقولة ..ورغم أن أبي كان يمارس حياته الطبيعية إلا أنه فجأة استشعر الموت وهو يقترب منه .

جلست على الصخرة السمراء وأمامي شجرة صفصاف وأخذت أرنو إلى قبرك، ودعوت لك بالراحة في رقدتك الأخيرة، وعزائي أن الموت يقين .

إنه قدر الإنسان، ومهما طال عمر الإنسان ومهما عشق الحياة، فلابد أن يموت .

عندما هُجر أبي من فلسطين كان على حافة الجنون

أه يا أبي كان كل أملك أن تعود فلسطين إلى الخارطة العربية بعد أن محاها الانتداب الصهيوني، نعم يا أبي أخذوا منا كل شيء وتركوا لنا مصائب الحياة وخرائبها .

وعشت معك يا أبي هواجس المنفى، وشاركتك طفولتي هواجسك الذاتية، طفولتي الشفيفة اخترقت هواجسك الذاتية .

إن عمر المنفى والشتات يا أبي ستون عاماً هو عمري وأنا ابنة النكبة يا أبي كما قلت لي .

حتى الأشياء العادية في فلسطين لم تكن تغيب عن بالك، واستمر جرحك فرضيا ومات أبي لكن حكاياته عن الوطن لا تموت وظل أبي نجماً قريباً مني أرتبط به ويحكي لي فلسطين، وعلمتني أن أتأمل عندما أجد نفسي على حافة النحيب.

وأنا يا أبي الآن على حافة النحيب لأن العرب لا يعرفون عدوهم الحقيقي الزعماء العرب لا يعرفون أن أميركا لا يهمها إلا مصلحتها ، ومصلحة إسرائيل الكبرى لا يمكن أن تقف مع العرب .

المخططات الأمريكية يا أبي ضد العرب لا تنتهي فهل نعي ؟ ليتنا نعي ، أميركا تريد تقسيم العرب.

أميركا تريد دولنا العربية غير مستقرة ولا ننسى كسنجر الذي صرح بأنه سيعيد العرب رعاة أغنام .

مصر في 30يونية أوقفت هذا المخطط ، الأمن المصري يحميه رجل الوعي الذي أرسله الله لمصر "السيسي "أميركا عدوه ، أميركا حين رأت العرب أقوى من إسرائيل دمرت العراق ، أميركا التي أيدت وعد بلفور أميركا التي دعمت العدوان الثلاثي على مصر سنة ."1956"

ورغم ما كتبته عن أبي إلا أنني لم أستطيع أن أصل إلى البعد السيري الحقيقي لعبقرية أبي ، أبي الذي قال لي تأملي عندما تشعرين أنك في حاجة ماسة للبحث .

رأيت وجه أبي وجفونه مسيلة ووجهه ناصعاً مستديراً ، أبيض وابتسامة مرسومة وكأنه يرحب بالملائكة، قبلته آخر قبلة، مات أبي في الصباح، وهو الذي طالما عشق الصباحات الرائعة، مات حكاء فلسطين، مات الذي اهتم بالموروث الشعبى الفلسطيني مات راهب القدس وعاشقها كما سماه الدكتور حسام عقل .

كان أبي يؤمن بالخصوصية الثقافية، لذلك ولى اهتماماً كبيراً للتراث الفلسطيني، كما أنه خاف على الموروث الشعبي من السرقة، الصهاينة يسرقون تراثنا ليثبتوا أحقيتهم في فلسطين لذلك هم يزيفون التراث ويزيفون التاريخ .

ورغم ما كتبته عن أبي فإنني لم أصل إلى البعد السيري الحقيقي لهذا الرجل العبقري لقد أغفل محيطه عبقريته ، بل حاربوها، وهكذا لم يتمكن أبي من طبع كل أفكاره العبقرية و طبع بعضها وذلك بسبب الفقر، نعم طبع أبي خمسة من كتب التراث وتسعة كتب من موسوعة بيت المقدس، وفي يوم وفاته سرق عدوه الذي اعتاد أن يهاجمه في الصحف سرق موسوعته 21جزءاً .

## الرحيل القسري

عانى أبي كثيراً عندما اضطر إلى مغادرة الوطن أثر جرح بالغ في فخذه، وحاول أبي أن يتغلب على لوثة ما حدث، وكان عليه أن يوطد علاقات متوازنة، وحياة متوازنة، في ظروف غاية في الصعوبة، والحدث المركزي الذي زلزل حياة أبي هو اضطراره إلى الهجرة والبعد عن المجدل، لقد عانى أبي من الرحيل القسري عن فلسطين، بينما كان جدي إبراهيم عباس كان يظن أن هجرتنا مؤقتة .

وإننا سنعود إلى المجدل بعد وقت قصير .كان أبي يدرك حجم وعمق المأساة التى وقع الشعب الفلسطيني فيها، عرف أبي الحقيقة المخيفة لكنه استمر ينفخ في جمر الحياة، ليحقق لأولاده الحياة الملائمة، عرف أبي الحقيقة المرة، وحاول أن يجعلنا نعيش الحياة الملائمة لقد بلله الفقر لكنه لم يغرقه، ونجح أبي أن يصل بأسرته إلى بر الأمان .

حتى الرقص تعلمه أبي في معهد روبير وكان يرقص الفالس على أنغام شتراوس، وكان لدي اليقين أن أبي يرقص الفالس على أنغام شتراوس حتى يتجنب أن تدور به الحياة ..إنه يعالج نفسه على الطريقة الزوربويه إنهم يرقصون من الألم، وكنت أقلده وأنا صغيره وهو يرقص الفالس، ويصبح لي أجنحة وأنا أسمع الدانوب الأزرق .

وكان يغرد ون اند تو تشاتشاتشا ما تشعر يا أبي وأنت ترقص الفالس واتشا تشا تشا أشعر يا فدوى أن سرباً من الطيور يخرج فجأة من عشه يمرح في الفضاء .ويغرد في الفضاء .

كان أبي قريباً جداً مني، وكان يدفعني للتفتح الثقافي والمعرفي، وكأنه يعرف أن الثقافة والتعمق هما العلاج لفتاة صغيرة تفكر في الوجود أكثر مما تفكر في اللعب، وتفكر في الوجود أكثر مما تفكر في الحلي واللبس والطعام فتاة تفكر في الوطن المسلوب وتسأل عن شهادة ميلادها، تسأل أكثر مما تأكل وتشرب، وكان يقول لي اذهبي وزوري صديقاتك أنا أثق بك يا فدوى .

إن لديه مفهوم جديد ورائع للأبوة وقد ساعدني على أن أتطور بطريقة مختلفة .وكان أبي يكافئني بالكلمات الآمنة التى تطمئن فؤادي، وحين مات زوجي محمود وزوجي محمود كان حنوناً علي حناناً لا يقل عن حنان أبي، حزنت على محمود كثيراً .حين قال لي" :دعك من الارتباط بالحزن "قلت "كيف؟ "

قال لسبب تافه التافهون هم الذين يفرطون في الحزن، الأذكياء يرجعون لقوانين الحياة والموت ، يقين الموت قانون من قوانين الحياة .

والإنسان المخلوق محكوم بالميلاد والموت، كان أبي يفهم أولاده جيداً، وكنت بدوري أحاول أن أقترب من أرضيته الفكرية الشاسعة، رفض أبي كامب ديفيد بشدة لكنه لم يخرج عن المجموع، كان ولاءه للمنظمة -منظمة التحرير .

كان أبي كما ذكرت قومياً وكان يؤمن بالاشتراكية، لكنه لم يكن يسارياً، ولكن كان لأبي أصدقاء يساريين مثل شوقي العمري، وغيرهم، كنت أدلع أبي بالقومجي وكان أبي لا يعرف المستحيل .

كان لأبي عقلية نقدية لا ينكر أبداً حق الاختلاف ويترك سريان الأفكار للآخر لكنه كان يمقت الظلم آه يا أبي عصرنا اليوم ظالم وأيامنا حالكة .

فلسطين يا أبي بلا صوت، فلسطين يا أبي في قاع النسيان الأقصى يستشهد، والصهاينة يمسحون الكتابة العربية من على الآثار ويكتبون بالعبرية، ليكذبوا على العالم وليقولوا للعالم فلسطين صهيونية، فلسطين مريضة جداً يا أبي والعرب يتمذهبون ويقتلون بعضهم وتسيل دماؤهم من أجل المذهبية، العرب أقصوا الفلسطينيين وتركوهم ينزفون، ما من أرض في العالم رأت ظلما مثلما رأت الأرض الفلسطينية .

عشق أبي أرض مصر ومثقفي مصر وكان المثقف العضوي بالمفهوم الغرامشي وكان عاشق للعروبة .

أشعر يا أبي أنني أريد الهروب من كل شيء ، وأفكر في أن أضبط واقعي على نحو أكثر تحملاً فحزني ثقيل وهمي السياسي والثقافي والاجتماعي كبيس .

أنا من مدرسة القومية العربية ونحن في زمن يجرح الأمة العربية .

أشعر أنني يا أبي أريد الهروب من كل شيء واقعي من جديد، حزني كبير وهمي الثقافي والسياسي كبير .

لأن فكر أبي عروبياً وسياسته عروبية كان عروبياً حقيقياً أقول لك يا أبي إننا نعيش الآن في عالم أخلاقه زائفة، وتماسكه هش زالت قيم الأخوة والصداقة والتسامح، عالم أصبح يمارس أقصى جنون ولا يتعب من هذا الجنون، مناماتي كابوسية يا أبي، أعيش الوجود الهش، وأبحث عن الوجود الحقيقي الذي تعلمته منك، ألوذ في سطورك التي كتبتها في مواسم العمر الجميل .

أختي آمال وتوأمها عايدة تحجماني وتنتقمان مني لأنك منحتني أعلى الدرجات بين أخوتي، وكنت المفضلة عندك، وكنت تراني شبيهتك ووريثتك في الفكر حتى كتبك قلت لي أنت وريثتي في الفكر وكتبي لك يا فدوى ..كتبي الميراث الوحيد فأرضنا وعماراتنا وحواكيرنا سرقها الصهاينة.

وأخذت أختي عايدة الكتب و رصتها في صناديق وقالت سأعطيها لك ولا أعرف لمن أعطتها .

عايدة وتوأمها أمال، يا أبي وضعاني خارج الأسرة الفؤادية عايدة بمالها الذى جمعته من تعبي وآمال بمالها من أولاد إنه نفوذ المال والبنون، واتفقتا معاً على طحن أعصابي وإراقة دموعي، غبت عني يا أبي أقصى غياب، وأقسى غياب وأقسى غياب هو غياب الموت، لكنني أراك كثيراً في أحلامي، وأصحو من النوم وأسأل، هل مات أبي تصورت أنه مات "وليعذرني القارئ، فأبي كان يتدفق ثقافة وحياة،

هكذا تداخل الحلم في الواقع، وأمنية أن أراك حياً ترزق أنها مجرد أحلام لكنها تكشف واقع مرارة الحياة، ومرارة الواقع وتخاطبني أبق على وهج الحياة، لديك رسالة سياسية لا تنسى فلسطين الحبيبة، لم تتوقف فدوى عند عبارة، أين العالم مما يحدث في غزة، علينا أن نصل إلى العالم بقضيتنا، فالعالم باق لنا .

نعم يا أبي لم أر سوء معاملة مثلما رأى الشعب الفلسطيني، آه يا أبي لقد جاء زمن أكثر انحطاطاً من الزمن الذي عشت فيه، إنه زمن الدجل والنفاق وطمس الحقائق، إنهم يا أبي يريدون التصفية المعنوية للشعب الفلسطيني، إنهم يريدون الفلسطيني بلا أرض بلا حق عودة، إنهم يريدوننا بلا وجود، الحق أصبح للمجرم يا أبي وللسارق وليس لصاحب الحق، أشعر وأرغب في الهروب من كل شيء حتى من نفسي .

كان أبي لي صديقاً وعندما كبر أبي أصبح ابناً لي أسعد وأنا أحمل له الشيكولاته والكتب والفاكهة، فأبوة أبي لم تكن تقليدية بالنسبة لي، وكانت التلقائية صفة من صفات أبي كانت روحه عذبة وخاصة عندما كبر ، عذوبة تقترب من عذوبة الأطفال .

كان أبي يستقبل أيامه الأخيرة ولا يعرف إلى أين تجري الحياة لكنه كان يملك رئتين مليئتين بالحياة، وكان يشكر الله كثيراً وأظن أنه يشكر الله لأنه على قيد الحياة فقد أحب أبي الحياة حتى الرمق الأخير، ونجحت أمي الجميلة جداً والراقية جداً والتي تشبه ممثلات هوليود نجحت أن تجعل منه الزوج العاشق، وإذا غابت ولو قليلاً يغيب العالم أمام أبي، هناك نساء كثيرات أحببن أبي لكن أمي تربعت على قلبه، وهناك سر أهمس به لكل أنثى عندما تلاحظ المرأة اهتمام زوجها بأخرى تتجاهل ذلك وتتعالى عليه وسترى أنها ستنتصر في النهاية وهذا ما فعلته أمي بأبي .

## مقتطفات حياتية

**سيرة ذاتية أبوية**

**كان أبي يصحو كثيراً ليكتب كثيراً**

**الصدفة أحياناً تغير حياة الإنسان فعندما زار شفيق الحوت أبى وكان وقتها رئيس منظمة التحرير في لبنان، وظفه في إذاعة المنظمة ، وتغيرت حياة أبي من الخوف والترقب إلى الأمل .**

**وكتب أبي فلسطين بوعي ومعرفة، وسجل القدس ووثائقها ملأ على أبي حياتي، وبعد أن مات أدركت أنني أعيش الشطر الأخير من حياتي وحيدة، أعاني من ديكتاتورية أخوية، لكن مزاجي الهادئ يساعدني على الحياة .**

**وصوت أبي يرن في أذني عندما أصاب بالرعب من الحياة**

**ابنتي فدوى لا تكوني جبانة**

**أريدك قوية فالضعف يلازمه الهوان .**

**أه يا أبي أنا لا أتحدث وحدي ، إني أتحدث معك حتى وأنت في اللحد ، وقد تحولت لشجرة زيتون أو تحولت لطير يطير في قراديس فلسطين .**

**كانت هناءات أبي في منفاة نادرة فهناؤه الأكبر في فلسطين وهناؤه الحقيقي في فلسطين .**

**كان أبي صاحب رؤية شاسعة وعشق الفولكلور الفلسطيني وهذا أدى لدخوله لمادة تراثية عبر خمسة كتب فولكلورية .**

**دمج أبي همومه السياسية بهمومه الثقافية وأكبر هموم أبي النكبة التي يطلق عليها الخيبة الكبرى، النكبة هي الموت ، متنا مرحلة بأكملها وأيقظتنا ثورة 23يوليو إنها ثورة ثرية يا ابنتي في قيمها وقيمتها لقد أحدثت طفرة في فكر الإنسان العربي، كان أبي متيقظ الذهن رغم أنه لا يتكلم كثيراً .**

**كان أبي يشرح حزنه يشرح واقعه في المنفى، يشرح قضيته ويحلل مواقف الحياة ويلتمس الرأي الصحيح، وكان وقوراً وجدياً وكان أبي كونياً يعشق الكون وكان إنسانياً .**

**يحترم الإنسان، يجلس وحوله أصص الزرع لا أعرف لماذا فرض أبي على نفسه حظر السفر إلى غزة ولم يذهب لدفن جدي وجدتي حين ماتا في غزة ، قال : كيف أستطيع أن أرى فلسطين وقد سرقها الصهاينة .**

## يا ابنتي أجلي الدموع

الوطن مستحيل بدون كفاح –الوطن مستحيل بدون مقاومة –فهيا يا ابنتى هيا إلى المقاومة .

فالحنين المتوتر لا يجدي، والمقاومة هي الحل الوحيد .

احك يا أبي حكايات الوطن الكبرى ، فلديك نواة علمية لمعلومات قوية للمأثورات الشفهية الفلسطينية .

خزائن الشعور –خزائن الحنين –فهمتها منك يا أبى –هكذا أخرج أبي كنوز المقاومة موسوعة بيت المقدس، وكتب الفولكلور الفلسطيني ووثائق التراث الفلسطيني وكتب مقالات لا حصر لها في كبرى المجلات العربية .

إنه أبي الذي تصدى لرخاوتي في الحياة وحول ضعفي قوة جلست على الصخرة السمراء أرنو إلى قبرك وإلى شجرة الصفصاف المزروعة بجانب قبرك، جلست أدعو لك بالراحة في رقدتك الأخيرة، لم أقبل أن أرى وجه ميت إلا وجه أبي كان أبي قوياً بغير عنف، كان يراجع نفسه إذا أخطأ، الاستنارة العقلية ديدنه ، والجرأة صفة فطرية فيه، أعترف أنني ضعفت أمام موته فهو مكمن جرأتي في الحياة، وشعرت بالخوف من الحياة بعد موته، كنت لا أختلف مع أبي على الآخرين فغالباً حكمنا على الآخرين واحد، أو لعلنا نقترب كثيراً من نفس الحكم أبي صاحب فلسطينية عظيمة مظهره ومنطقه يدلك على فلسطينيته .

أه يا أبي يا فاء الحنان على فدوى، ويا فاء الحنين الدائم لفلسطين، ملامحك محفورة في قلبي لوقت يكفي لأتأمل الحياة ولأتذكرك، الحياة تغمرني بالذهول .

وكنت أظن أنني مع أبي قوية وأن الحياة خالدة ولم أفكر في مشاعر الموت إلى أن حدث فجأة موت أبي، كان أبي يعي تماماً عمق الصراع الصهيوني العربي، كان شديد اليقظة للخداع الصهيوني والمكر الصهيوني، وكان يخاف على عروبته وقوميته وفلسطينيته، ومع كل ذلك كان أبي يحب الحياة ويضحك بصوت عالي.

ويحترم المرأة، لم يشعرني أبداً يوماً بأنني نون نسوة، وكان أبي متواضعاً تواضعاً عفوياً وفطرياً يتعاطف مع البسطاء والضعفاء .

أنا يا أبي لن أشفي من حزن الحياة حتى أعود لفلسطين .المنفي يا أبي لا يمكن أن يكون بديلاً .

والغريب أن أبي الذي أضعف وجودي في الحياة وأنا طفلة هو الذي ساعدني على تقوية وجودي وهو الذي حولني إلى إنسانة واقعية .

وقد أشرت كيف أثرت النكبة كثيراً على أبي وكيف انعكس ذلك على طفولتي .

أدرك أبي منذ الطفولة تعلقي به، وتعلقي بالقضية الفلسطينية وحرصت منه على معرفة قصة الأرض وأكد أبي لي المناقشات الحامية في مجلس )المبعوثان (أثارها أعضاء فلسطينيون في المجلس وموضوع الحملة :تسرب الأرض الفلسطينية إلى الصهاينة، وأكد لي أبي أنه في زمن الانتداب البريطاني لم يخل ميثاق وطني أو ميثاق حزب أو قرارات مؤتمرات عامة من اعتبار المحافظة على عروبة الأرض جزءاً من الإستراتيجية الفلسطينية النضالية وأكد لي أن العلاج الفلسطيني قد لجأ إلى العنف كردة فعل لتسليم الإنجليز أرضه إلى الصهاينة كما حدث عام 1935في وادي الحوارث وغيرها، إذ أن ما حدث في وادي الحوارث وغيرها ليس هو الوحيد في تاريخ فلسطين زمن الانتداب، فكثير من القرى والمزارع التي اشتراها الصهاينة من الأسر اللبنانية والسورية قد مرت بهذا الدور حتى أن بعض مزارعيها قتلوا في أرضهم برصاص الإنجليز وهم يدافعون عنها .

وفي مطلع عام 1917تم تشكيل جمعية في القدس تضم الطبقة المثقفة الفلسطينية لمحاربة الاستعمار الصهيوني .

ونقلت الإدارة العسكرية الفلسطينية إلى البعثة الصهيونية برياسة )وايزمان (التي زارت فلسطين سنة 1918سخط كل طبقات الشعب الفلسطيني على انتقال ملكية الأرض الفلسطينية إلى الصهاينة ، لقد تشبث يا ابنتي الفلاح الفلسطيني بأرضه وتصوري الانتداب البريطاني هو الذي شرب فلسطين للصهاينة.

"لم يكن أبي يعرف معنى العداء، كان محباً وصادقاً وإن نقد لا يجرح ، وكان منفتحاً على الحياة روحاً وثقافة لكنه كان قوياً ولم يعرف معنى الجبن ."

وكان أبي حكيماً، تؤخذ الحكمة من كلامه وكان يتمتع بالنقاء الإنساني ، ماذا تقول يا أبي :تقول القدس المدينة الفلسطينية وتعني بأل التعريف التعريف واليقين بأن القدس فلسطينية عربية ما أروع الحكمة عندك يا أبي، كان أبي حريصاً على دقة المعلومة وعمقها .

أه يا أبي حواسك لمست القدس، لكنني لم ألمسها ولم أشمها، كان أبي يكتب الكتابات المعقدة العميقة بأسلوب بسيط .

كثيراً ما كان أبي يفكر بصوت عالي، وكان هذا يحلو لي كثيراً فأنا مغرمة كثيراً بالذين يفكرون بصوت عالي ليشركوا غيرهم في تفكيرهم، فهذا أعمق تواصل بشري .

كان أبي رحمه الله من عشاق شكسبير كان يحتفظ بكتبه ، درس أبي الكثير عن شكسبير في الكلية العربية .

هذا الرجل الذي عاش قليلاً لكنه كتب الكثير والكثير وعظمة شكسبير في أعماله المسرحية والروائية وكان أبي ينشد مقاطع من شعره المسرحي، وكان يرى أن العظماء ينشرون ما يغفل عنه العالم لحظة

واحدة مثل شكسبير ويقول لي أبي أتعرفين يا فدوى أن أعمال شكسبير ترجمت إلى كل اللغات الحية، كل فلسطيني يا أبي يجب أن يحب شكسبير الذي كشف حقيقة الصهيوني على مدار التاريخ، حقيقة الدموية في شخصية اليهودي .

ماذا يا أبي ؟ أنا بعدك و أشعر بأنني أخطو نحو الموت لكنك تزورني في أحلامي وتحفزني نحو الحياة .

نعم يا أبي قد يحفزنا الألم، وقد يغتالنا الألم، ولا ثالث للألم فالمغنطة والترياق لا مجال لهما عندي .

ويأتيني صوتك، وأين دستور أبيك في الحياة وأين دستور النضال وتأكدي يا ابنتي أن للهزيمة أيضاً دساتيرها الوحدة والألم والسوداوية والتلاشي أين شحنات النضال وتلك الشحنات البركانية التى يحملها الأحرار ؟

ألم أجعلك يا فدوى معادلاً لانتصار الثورة الفلسطينية، بعد أن حصلت على لقب شاعره، "جامعة عين شمس "بل الشاعرة الأولى هكذا قادني الألم على وطني إلى التفوق كما إني سرت على درب أبي .

الإستغراق شل حياة أبي في أول النكبة وانتهج أبي النهج العصامي بعد الثراء وكان يستغرق في الحزن .

وكان يجد صعوبة شديدة في هذا الاستغراق وحده جمال عبد الناصر هذا العظيم الفذ الذي أخرج أبي من استغراقه ، أبي الذي نزفت الشمس في دمه كان أبي نموذجياً في حزنه وكان لابد من صحوة وحدثت الصحوة وحدثت أيضاً الصحوة لي كان لابد أن أخرج من تسامي شديد وصوفية عميقة عرفتها طفلة صغيرة عرفت معنى آلام الضياع والشتات، لكنني لازلت احتفظ إلى الآن بصفات سامية تحدث بسبب الطبيعة والتأمل والفلسفة .

أستطيع أن أقول أن أبي مات فترة طويلة بعد النكبة ثم استيقظ وشفى من البطش النفسي .

أما بالنسبة لي فقد إنتاب طفولتي وأول شبابي إحساس عميق بالنقاء إلى درجة الألم فهي شفافية مفرطة تصيب بألم ثم حدثت صحوة الثورة والتمرد، فلسطين يقين ومبادئ نحو وطني ، يقين لابد أن يتحقق وأصبحت أشعر بقوة داخلية في داخلي والسبب أبي الذي أصبح يجنح ويفوز بالحرية كنت أراقب أبي وهو يلتهم الكتب بلذة العالم والعبقري .

"لن نصبح رماداً يا أبي "أعدك بذلك، المقاومة ..المقاومة حتى تعود فلسطين سأغير المتون الداكنة وسأرفع صوتي بشعار المقاومة"

أتذكر يا أبي حين قلت لي :أراهن على شاعريتك وإبداعك ستنجح الثورة، وسيتفتح الإبداع الفلسطيني إننا يا فدوى بصدد استرداد وطن ضائع، لا حرية ولا كرامة لمن ليس له وطن، قيمنا النضالية مستمرة، وحياة بلا نضال هي حياة بلا قيم وحياة بلا قيم، معنى ذلك إننا نصبح رماداً لا يدفن حق

العودة لأرضنا التاريخية نحن ننتمي لفلسطين ولابد أن نعود لها، لن نشعر بالوجود إلا في أرضنا .

فلسطين يا أبي لن تموت، والثورة الفلسطينية لن تموت، الأجساد القذرة التي تخون فلسطين هي التي ستموت، وهي التي تتعفن، أجساد الشهداء مضيئة وحية فالشهداء لا يموتون إنهم "أحياء عند ربهم يرزقون. "

أقلدك يا أبي أمسك خرطوم الزرع أرش الأرض الخضراء ألتحم مع الكون وأشعر بقوتي .ويتلاشى ضعفي .الزيتون في فلسطين، أعدك يا أشجار فلسطين بالعودة أتحد مع الكون أتقوى بالطبيعة، يا إلهي أشعر بالقوة وأحمد الله، أجلس فوق صخرة وأنظر صوب وطني .

أقف عند أقدام شجرة الياسمين، أتذكرك وأنت تسقيها بعنفوان، والخرطوم يمنحها الماء بقوة، وصوتك يأتيني إنهم يتاجرون بآلامنا، إنهم أصحاب الظاهرة الصوتية، أيها العالم توقف عند المرجعية القانونية .النكبة جريمة ضد الإنسانية .

وأسألك يا أبي كيف نصنع من المتألمين متفوقين؟

نعم يا فدوى قضيتنا تراجعت، وأصبحنا نتوسل إلى العالم، أصبحنا ضعفاء، وأصبحنا نحتمي بالضعف

الضعيف لا يصنع تفوقاً ولا يحمينا ، القوة هي التي تصنع التفوق، والصمود هو الذي يصنع التفوق، فدوى لا يكبر عليك البحر، الحياة ليست الأعظم الإنسان أعظم حين يمتلك إرادة القوة وإرادة الصمود، أقول لك يا فدوى" :من قال لك أن الله خلق الإنسان ضعيفاً، لقد خلقنا الله أقوياء وعلينا أن نكتشف مناطق القوة في أنفسنا .

## "كان أبي عاشقاً للثقافة اليونانية وعشق أبولو السامي"

عشق أبي التاريخ القديم وخاصة التاريخ اليوناني وعشق شكسبير وعشق اللغة اللاتينية وكان ينشد لنا شعراً باللاتينية أما اللغة العربية العظمى فقد قدسها أبي ، وبدوري حاولت الاستفادة من عبقرية أبي إلى أقصى حد .

حتى الهلوسة النفسية فقد أحببتها في أبي كان يصيح فجأة قائلاً "كاو "أو أن يقول شوكو بروف "ولا أعرف ماذا يعني بشوكو بروف أو أن يطلق على اسم "فدو "ويسمي أختي "بزبطش"، معنى بزبطش لا أعرف .

أصبح أبي يعطي نفسه بقوة إلى الكتابة وفي وقت لاحق .رأيت نفسي أفعل مثل أبي وأعطي وقتي بقوة إلى القلم، وتعلمت من أبي كيف أكون في حالة توهج ثقافي دائم ، على أن أقرأ الكتب وأطالع الصحف ويكون لي علاقة أيضاً بالتلفاز وأصبحت لدي مثل أبي طقوسي المعرفية .

كان أبي يحظى باحترام من حوله وعندما يتكلم يصغي الجالسون ويسمعون كلامه باحترام لأنه يدقق فيما يقول :

هناك فنة مكروهة عند أبى بالقطع ليست هي الفنة الفقيرة أو الجاهلة، لكنه كان يرفض رفضا باتا الاستعلانية والسلطويين .

علاقة من نوع فريد بيني وبين أبي

أفهم أفاقك الروحية يا أبي، وأفهم حكاياتك الكبرى عن الوطن ..فدوى ابنة النكبة تفهمك تماماً .

علينا أن نربي أنفسنا على القوة، وعلينا ألا نكون ضعفاء، أستنجد بكلمات أبي حين تضيق علي الحياة، يقول لي "تذكري أن التوحش الصهيوني مستمر، والصهاينة دائماً متحفزون .

لطالما عشت الفرح الجماعي القومي، ولطالما احتفلت مع أبي بانتصاراتنا القومية غردنا حين غرقت السفينة إيلات وغردنا لكل مناسبة حققنا فيها انتصار .

لكننا نواجه الآن الطوفان يا أبي، يأتيني صوت أبي أحذروا الطوفان الصهيوني والطوفان الأمريكي .

لكن مسيرة العروبة مستمرة حتى ولو كره الغاصبون المغتصبون .هؤلاء الذين يتبعون الأمركة والصهينة قولي لهم أن أوراقهم ستزريها الرياح، والعار كل العار على كل من خان القضية الفلسطينية .

لم يكن أبي لاسعاً في كلماته لم أسمعه يشتم وكان أبي صريحاً في كلماته ولا يتبع سياسة الكر والفر، وكان أبي أقرب إلى الارتجال في حياته لكنه شديد النظام فيما يتعلق بكتبه ومكتبته .

وقد يسألني القارئ لماذا جزعت كل هذا الجزع عندما مات أبيك، نعم جزعت بل شعرت بالموت يختفي حين أقترب منه وأقسم بالله في لحظة احتضار أبي شعرت بالموت يقترب مني مع أنني لم أكن في المستشفى مع أبي بل كنت في سريري عندما استيقظت على شيء غير عادي يجثم على صدري وسبب خوفي على أبي بل هلعي عليه عندما أسلم الروح، لأن أبي عاشق للحياة، ولأنه كان يكره الموت، ويكره سيرة الموت، وقد وصف لي مشاعر الموت حين أصيب في حرب فلسطين .

## أنا يا أبي بلا وطن وبلا أحبة

أقول لك يا أبي بعد أن رحلت أنا يا أبي بلا وطن وبلا أحبة قل لي كيف أحيا .لقد فارقت يا أبي الحياة قبل أن ترى مجزرة غزة الدهرية مجزرة غزة الدهرية هي مجزرة الأطفال يا أبي الذين ذبحهم الصهاينة .

أتذكرك يا أبي وأنت تقول لي" :مبروك علينا ثورتنا الفلسطينية الجديدة "كان ذلك عام 1965وشجعنا

جمال عبد الناصر "شجعتنا مصر الحبيبة وتواصل معنا جنوب لبنان .

أبي وصديقي في الهم الفلسطيني أفتقدك فأنت شريكي في هم الوعي الثوري .وطريقنا يا أبي إلى الحرية واحد الطريق هو "هيا على المقاومة "، طريقنا، ما أخذ بالقوة يرد بالقوة .

تراثك يا أبي رائع وحرصك على جمع التراث الفلسطيني عظيم وحرصك على توثيق عروبة القدس من الأمور التي يعجز عنها علماء كبار .

كنت رائعاً يا أبي في دمجك للعقل مع الرومانسية والرومانسية مع العقل .قاومت رومانسيتك وحزنك الشديد ونهضت بالتراث الفلسطيني، ومنحت عقلك وقلبك للقدس المقدسة وكنت عروبياً حتى النخاع ووحدوياً حتى النخاع عوامل الوحدة موجودة نعم يا أبي لماذا لا تندمج يا أبي في السياقات الدينية والتاريخية والجغرافية واللغوية وتضحك وتقول لي هنيئاً لك أيتها القومجية وللوحدة نعم يا ابنتي عدم الوحدة مضاد للدين والتاريخ وعلى العرب أن يؤيدوا حق المقاومة مادام الاحتلال قائماً وحق العودة مقدس .

"عقل أبي الفسيح بلا نهاية كان يتربص بالقلم ويعشق القلم ..ينشد أبي الحياة .. "وتمنى أن يقهر الموت، فهم أبي جوهر الحياة، وعاشق ديدنها .

كان أبي يحاورني عن الموت وكأنه يتمنى الخلود، كان عشقه للحياة نادر، إنه من الفلاسفة الذين أرادوا الانتصار على الموت، ومرة كنت مريضة فقلت له إنني أموت يا أبي، قال لي سأحارب الموت سأنتصر عليه لن أدعه يقترب منك .

وحين إقترب من الموت سمعته يقول" :يا حبيبي يا الله لا أريد أن أموت، وحتى اللحظات الأخيرة كان يمسك بكتبه يتحسسها وكأنه يودعها الوداع الأخير، ومرة أخرى سمعته يقول ما أجمل الحياة، وحزنت على أبي الذي عشق حديقته وجدران بيته وتمنى الخلود .وكان يتأمل مفاصل الفصول ويتربص بالربيع ويعشق الخريف ويكلم الأشجار والطبيعة .

تأملت وجه أبي وهو ميت، كان الوجه وادعاً آمنا مبتسماً ومستديراً وجميلاً، أبيض شديد النقاء، لقد كان أبي يبتسم للموت وهذا أربك حزني .نعم الحيوية الفائقة لم تغادر أبي طوال حياته .

رفض أبي بعد أن مات زوجي أن أكون حزينة ورد لي روحي وروضها وأصر أن أعود إلى طبيعتي، وأن تكون لي حياة جديدة، كان أبي يدرك شفافيتي وبداخلي أزرع زهور الحياة .

وكثيراً ما كنت أسأل أبي أن يفسر لي سبب الظلم لماذا يظلم الإنسان أخيه الإنسان ولماذا يظلم قابيل هابيل، ويصل به الظلم إلى حد أن يقتله؟

لى أخت ظلمتني وهي لا تستفيق من الغرور، وزهوري البرينة تبدو في كلماتي "ملابسي وخطواتي "

وكنت أسأل أبي هل يزول العداء بين الأخ وأخيه؟ وهل يموت الشيطان؟ وهل يمكن يا أبي أن أصل إلى فلسطين؟

التي أحن إليها؟ هل سنذهب معاً إلى القدس أرض البشارة؟ كنت أسأل أبي كثيراً كثيراً .كان أبي مغرماً بوضوح الفكرة وكتاباته تحمل شخصيته .بينما آمنت بالغموض غموض الفكرة وتأويلها .

وكان أبي يقول لي لك عقلية شعرية .

أه يا أبي هل سنصبح تراباً ؟ وكيف يكون النوم الأخير وليتني أزرع الجوري على قبرك .حين مات أبي كان وجهه آمناً وادعاً متضرعاً إلى الله، كان وجهه مضيئاً وراضياً .

إنه أبي أحب الشجر والمطر والورد حبا عميقاً ، كانت الطبيعة تغسل ألمه وتداوي وحشة منفاه .

آه يا أبي هل ستصبح تراباً؟ وكيف يكون النوم الأخير ويأتيني صوتك يا فدوى الجسد يفني والروح لا تموت .

استلهم أبي واسمعه يحدثني آه يا أبي لقد علمتني كيف يكون لحياتي معنى وكيف أكون ولا أعرف لماذا أصبحت أعقد مقارنة بين موتك وموت الأشجار بين موتك وموت الكائنات الرائعة، هل غدا الموت ملاذ الفلسطيني الحزين، هل ترتاح يا أبي وكنت تحتفل بولادة الحياة وتعشقها، وكنت دافئاً وحنوناً على الفقراء والكادحين .وكنت مضاداً لهزائم الحياة لقد هزمت الروح المريرة، بسبب فقد الوطن وكنت تعيش الصراع ما بين الذكريات الحالمة في فلسطين وواقع المنفي اكتشفت بعد موتك يا أبي إنني لا أستطيع أن أعيش كل الفصول لا أستطيع أن أعيش الخريف والشتاء .

حين مات أبى كان وجهه آمناً وادعاً متضرعاً إلى الله، كان وجهه مضيئاً وراضياً إنه أبي الذي آمن بربه إيماناً عميقاً وأحب المطر والشجر والورد، عرفت يا أبي بعد موتك أن الموت ليس حجر، الموت حياة أخرى .

كانت الطبيعة تغسل ألمه وتداوي وحشة منفاه، آه يا أبي أنت في قبرك لكنني أستلهمك .

أحك مع أبي أقول له الكتاب يعشقون السعادة والجمال ويسألني ..ماذا تقصدين بروح أبي الفلسطينية "تسربت لي ."

لم تكن هناك مآرب خفية في شخصية أبي فهو العبقري الواضح، ركيزة الإبداع عند أبي سلامة اللغة، ركائز البحث عنده عراقة اللغة، وعراقة المنهج العربي في البحث ، كان أسلوب أبي في البحث إحيائي وانطباعي وواقعي وكانت مخيلة أبي كعاشق للغة العربية بلا حدود .

لغوية أبي كانت شديدة العمق، كان أبي يبجل التراث الفلسطيني ويدعوني لتبجيل التراث .

آه يا أبي حدثني عن فلسطين واحكي لي فلسطين، وطني المنكوب ، حدثني يا أبي عن الصهاينة المخادعين وهل حقيقة يا أبي أن هناك وحدة بين الظالم والمظلوم، استحالة يا أبي أن ينجو الظالم من محاكمة نفسه، مهما حاول يا أبي، لكم أعجبتني فراستك يا أبي ودربت نفسي على أن أكون مثلك، آه يا أبي أحببت كثيراً تلقائيتك وفطرتك، لم أجرب على أبي الفقر المعنوي، كان دائماً شامخاً، أبوتك يا أبي هي انتمائي العميق للبلد التي أنجبتك وأنجبتني، وصوتك يرن في أذني من يغلب الفلسطيني ؟ الفلسطيني عملاق ولابد أن ينتصر ، إننا العمالقة يا فدوى والجبارين والأقوياء، إن سمة من سماتنا القوة ، تلك هي فطرة الفلسطيني، القوة يا فدوى فطرتنا الرائعة وديمومة سمتنا .آه يا أبي كنت أقوى وأنا معك فقد كنت أستمد من عظمتك قوتي، أنظر الآن إلى مقعدك فأجده خاليا ، أنظر إلى الطاولة مرسم كلماتك أجدها فارغة .

فأشعر بأن الحياة فارغة تماماً كانت علاقتي بأبي دون مآرب ودون أي إشكالية عكس علاقتي بأمي .

وأصبحت الكتابة دأبك اليومي يا أبي ، واستثمر أبي خبراته وثقافته كمؤرخ وربط القضية بجذورها وتابع أبي حلقات النكبة فالنكبة مستمرة

نعم أصبحت الكتابة دأبك يا أبي اليومي والحقيقة أن رموز مصر الحبيبة من مثقفين بذلوا أقصى جهد لتشجيع الإبداع الفلسطيني لقد حظيت يا أبي بالاهتمام من رموز الثقافة المصرية، وحظيت مثلك بهذا الاهتمام وكل قلم فلسطيني صادق وجد التشجيع من رموز الثقافة في مصر فقد كان لأبي قدرة على قراءة الأحداث السياسية المعقدة، عرف عن أبي الصراحة، ولم يكن لديه الانحياز الذاتي .ومن وصايا أبي الملحة حق العودة إلى فلسطين لا تنسوا يا أولادي العودة لفلسطين وحق العودة يا أولادي مقدس وهو في أعناقكم .

نعم يا أبي مطلب العودة مستمر ولا يمكن أن يموت ..ستعود يا أبي وأخال يا أبي أصابعك التي كتبت فلسطين أصبحت جذوعاً لشجرة لوز أخضر في بلادي وأغني:

سترجع يوماً إلى حينا

ونغرق في دافقات المنى

سترجع مهما يمر الزمان

وتنهي المسافات ما بيننا

كان أبي مهتماً بكتابة البيانات السياسية وكان يهتم ويدون كل حدث مهم ولذلك زخرت مكتبته بالعديد من الملفات التي كان يرتبها ترتيباً أبجدياً .

كان اهتمام أبي الأكبر يذهب على وطنه وخدمة وطنه ثم أولاده وأسرته .واستثمر أبي خبراته الخاصة

وثقافته كمؤرخ بالنسبة للقضية الفلسطينية .

وأنت يا أبي من رفضت أن يقمع التراث الفلسطيني فقررت أن تكتبه، علينا أن نحارب .

قمع التراث، فالتراث دليلنا إلى العودة ولن نضيع دليل عودتنا، وأصبحت الكتابة دأب يومي .

كان أبي حجر الأساس لأرشيف الفولكلور الفلسطيني كتبه على أساس علمي أذكر أيامه الأخيرة حين ينهض ويمسك بالطاولة خوفاً من أن يقع فأجري إليك لأسندك فتقول لي الله يرضى عليك يا فدوى من السماء للأرض ومن الأرض للسماء، أحب عباءتك المجدلية وطاقيتك المجدلية وعشقك لتراث فلسطين، أنت يا أبي من رفضت الشيخوخة وثرت عليها واحتفظت بقوتك ولقبت بشيخ الشباب أمسكت بالتراث الفلسطيني وقبضت عليه فهو دليلك للوطن ، والتراث هو دليل العودة ، كتبت تراث فلسطين بتقنية عالية .

كان أبي رحمه الله يعلى من القيم، ولا يتهاون أبداً في أوامر الله ونواهيه، وكان يتلذذ بالحياة، وبما يقرأ، وكان يحرص على المنهجية، ويحرص على توثيق ما يكتب وكان يحظى بمصداقية كبيرة فيما يكتب وفيما يقول .

وكان أبي يحاول أن يحيطنا بالجو الصافي، ويتحاشى الغيوم الملبدة في الحياة، وكان يبتعد عن المشاكل التافهة .

كان يحب الكلام المفعم بالأمل والفرح، فهو يبحث عن بهجة القلب بعد جلسة طويلة طويلة في مرسم القلم ومرسم الفكر، أغرب شيء أنني لم أر في رأس أبي شعراً شائباً، فرأس أبي لم يعرف الشيب، لم يأخذ أبي مكاناً على حساب قلمه ، وكان ذو دخل قليل .

بل حتى الموسوعة الموثقة والمبوبة والمرتبة ترتيباً أبجدياً لم يطبع منها واحد وعشرين جزءاً والجميع جميع المؤسسات الثقافية وفيها لجنة القدس تشيد بعبقرية الكاتب والسؤال يظل قائماً، لم لم تطبع موسوعة بيت المقدس؟ ومن سرقها ؟

فدوى نعم يا أبي، ستكونين من السعداء ، لم يا أبي؟ لأن أصحاب القلوب الطيبة الله يسعدهم، هذا ما يقوله لي ونحن معاً نسقي الشجر، يقول لي ذلك .

اجعلي لنفسك أهدافاً سامية في الحياة أتركي التفاصيل التافهة ولا تضيعي فيها ، ابحثي عن الحقيقة، اسع بثقة وراء حلمك الحر فلسطين وإذا رزقت الحياة التي تريدها اسع بثقة وراء حلمك وستصلين إلى ما تريدين.

آه يا أبي صوتك يرن في أذني كان صوتك يا أبي يهون على الحياة وترن الأغنية الفولكلورية في أذني "الإبريق "اللي انتصب رنت فناجيله "وأرن بالفناجين قالي لي أبي" :إن ظروف الفرد تخلق

شخصيته "ولكن الإرادة تغير ظروف حياة الفرد .

أه يا أبي قلت لي عيش حياتك ببساطة شديدة ولتكن أمالك عظيمة وأهدافك سامية، أما خيالك الغامض فسجليه على الورق .هكذا شجعني أبي على الإبداع حتى لا يهزني التعب، أكتبي لتضيئي لكن المخبوء يا أبي كان فظيعاً مجرد أن فارقت يا أبي الحياة حتى شعرت برغبة في أن أترك العالم كله فالتوأم يا أبي نهشني لقد تصاعدت الكراهية وتصاعد المكر والشراسة هكذا وجدت نفسي بعدك أنعزل عن الحياة . تفادياً لألم لا يحتمل، لقد حرمنى التوأم من دفئ الحياة الأسرية .

إرتبكت حياتي بعدك، وزاد الظلم من التوأم .

لم يبق سوى وشيش الشر الذي أتلقاه يا أبي من التوأم حتى وأنا وحيدة .

اجعلي لنفسك أهدافاً سامية في الحياة واتركي التفاصيل، ورحل أبي الذي كان صوته يبلسم حياتي ولا يزال صوته يرن في أذني الإبريق اللي انتصب رنت فناجيله فأرن الفناجين ونشرب الشاي .في هذا الوقت كنت أظن أن الإنسان خالد .

أتذكر أبي وهو يسقي الزرع ، المنظر يخلب لبي ، منظر الماء ما سر الماء ؟ أقبل أحواض الورد بعيناي، وأنتظر السعادة يجددني الماء وأنتظر بشوق إلى الرجل الذي يحظى به قلبي .

ها هو قد أتى هو محمود زوجي الذي أحبه أبي كابن له .

كانت لك يا أبي إرادة المعرفة، وإرادة القوة وهذا ما ينقص الإنسان العربي أن يعرف، وأن يكون قوياً نعم لابد أن تتطابق إرادة المعرفة مع إرادة القوة .

وهذا ما ينقص الإنسان العربي أن يعرف، وأن يكون قوياً نعم لابد أن تتطابق إرادة المعرفة مع إرادة القوة .

يا أسطورتي الفؤادية منك تعلمت إرادة القوة وإرادة المعرفة كان أبي يحكي لي المجدل بحرقة وحنين، وكنت أصغي لشحناته القلبية والروحية، آه يا أبي بعد صوتك عرفت أن الإنسان كائن ترابي ,وكثيراً أسمع أبي يناجي ربه وهو يجلس وحده، إنه يناجي معبوده وحبيبه ، وكنت أفعل مثله، وكأننا اتفقنا معاً على أن الله مع المخلوق لا يفارقه، وعظمة الله تنبع من حنانه على العبد الذي خلقه، وعظمة الله تنبع من الكون الرائع الذي خلقه الله ، تنبع من أسرار الكون، وأسرار الإنسان، فهم أبي التراث الإسلامي فهماً صحيحاً وعميقاً، وكان أبي يعلي من قيمة العقل، ويعلي من قيمة الدين الإسلامي الذي يدعو إلى العلم واستعمال العقل .

وحتى بعد أن كبر أبي في السن كنت أراه قوياً، وكنت أشعر بنفسي صلصالية أمامه فالقوة لم تفارق أبي حتى الرمق الأخير .

وكان أبي يشاغب أمي شغباً طازجاً ويعاكسها وكأنه في العشرين، قائلاً لها " :فلوك يا أجمل امرأة في الدنيا "ولم يكن أبي يقلل من قيمة الآخرين ويحترم الضعفاء والفقراء، وكان يحفظ لأصدقائه قدرهم، ويغفر لهم حتى ولو أساءوا إليه .

وظل لأبي ذاكرة فلسفية وجمالية كما احتفظ بكل ذاكرته الماضية، لكن ضعفت ذاكرته اليومية كأن ينسى ماذا أكل، هل تناول طعامه أم لا .

أكتبي يا فدوى قصائد الحرية واتليها على قبري، آه يا أبي ما أشد حزن القصائد اليتيمة .

كان أبي رحمه الله منظماً في حياته ينام مبكراً ويصحوا مبكراً، لكنني اختلفت عن أبي في ذلك فهو كائن نهاري وأنا كائنة ليلية ، كان أبي رحمه الله يركن للظل ولا تهمه الشهرة كثيراً ولا يحفل بها كان أبي معرفياً والكثير عرفوا ذلك واستعانوا بخبراته ولم يكن يبخل بها على أحد، كان دائماً رحمه الله يقف معي ولم يكن أحد يستطيع أن يوقف شتائم أختي عايدة التي تنهمر على كالسياط غيره ، هكذا بعد أن مات أبي امتزجت الحياة عندي بالموت، وأصبحت أعيش في حياة الضياع وعدم الارتياح، يختلط الزمان بالمكان ، فلسطينيات كثيرة بداخلك يا فدوى أكتبيها، اخرجي الحزن من قلبك لا تدعي المنفى يكبر، عليك انهض من الرماد اجعلي كتاباتك معادلاً للحياة وليس معادلاً للموت من الصعب أن يهزم الفلسطيني، أتعرفين لماذا يا فدوى لأن الفلسطيني يملك القوة ، مواعيد تحرير فلسطين قادمة ، اكتبي حرية فلطسين بأحرف من نور، لا تجعلي من منفاك ناراً موعدناً، يا فدوى المصير /والمصير السرمدي حرية فلسطين .

أكتبي الحرية يا فدوى ، واكتبي الحياة بتفاؤل ، اكتبيها بأصابع مخلصة ودودة اكتبي بريق الحرية يا فدوى اكتبي قصائد الحرية وضعيها على قبري .

كان أبي يؤمن بأن إنسانية الإنسان أهم ما فيه وإنسانية الإنسان تقرب من الرب العظيم .

وكان أبي يلهمني الصواب وكانت الحكمة طريقه في الحياة .

ضعفت ذاكرة أبي لكن المنحوت في الذاكرة ظل كما هو وذاكرته العلمية والثقافية لم تمس ، آه يا أبي كنت لي بوصلة النجاة وكان أبي يتألم كثيراً على فراق الوطن ويردد أبيات "قطان بن المعلي "ومع حكمة أبي إلا أنه لم يخسر عزيمته على إستعادة فلسطين، وكانت أهدافه قوية لا تعرف الرخاوة، ما أشبهك يا أبي بالأسد الجريح .

أنزلني الدهر على حكمه ....من شامخٍ عال إلى خفض

وغالني الدهر بوفر الغنى ....فليس لي مال سوى عرضي

أبكاني الدهر ويا ربما ....أضحكني الدهر بما يرضي

لولا بنيات كزغب القطا ....رددن من بعض إلى بعض

لكان لي مضطرب واسع ....في الأرض ذات الطول والعرض

وإنما أولادنا بيننا ....أكبا د نا تمشي على الأرض

لو هبت الريح على بعضهم .....لامتنعت عيني عن الغمض

آه يا فدوى مهما سرقوا فلسطين لن يسرقوها ولن تخلع فلسطين عباءة التاريخ في اللحظات الحرجة في الحياة، استخدمي عقلك يا ابنتي ويعود يقول إنك إذا اقتنعت عقلاً، فإنك تحسمين الأمر، حسناً يا إبنتي، تعالى يا أبي نجدل معاً حكايات الوطن .

وتطفح الدموع دموع –دموع –دموع ودم على أبي وهو يغادر الحياة، كان يرفض أن يحملني معاناته حتى وهو يغادر الحياة، كان يتهيأ للموت، لم تكن الغيبوبة كاملة، كان يكلمني بعينيه وحين أسأله هل هناك ألم يا أبي؟

وأسأل نفسي هل تبقى شجرة الحياة ودار الحياة؟

العباقرة لا مكانة لهم في عالمنا العربي، المكانة للثروة والتسلط والجبروت، أما العباقرة فليأخذوا أوراقهم معهم إلى القبور، أصحب باقة ورد برية إلي قبرك وأنادي عليك نداء الغريقة .

كان يرفع حاجبيه بمعنى لا، لم يكن هناك نظرة جزع أو خوف من الموت مرسومة في وجه أبي راقبت أبي حتى ومضاته الأخيرة، وعندما سكتت أنفاسه كان وجهه أبيض ومستدير وشديد الجمال، نظرت لوجهه وتذكرت حكايات الحنين .

كان أبي معلمي وملهمي وكان أجمل ما في أبي صفاء الفطرة وبطبيعتي أكره الخبث .وقد علمني أبي كيف أبني علاقة حميمة مع الكون.

طحنتنى الحياة بعدك يا أبى – سلام على عهدك يا أبى – سلام على ذكراك يا أبى .

كان أبي يعاضدني، ويقول نعم فدوى لها مكانة خاصة عندي، هي بكري وشديدة الشبه بي .إن إنسانيته العفوية وعبقريته وحبه لي تلك أسباب اعتزازي به، كان أبي مأمني في الحياة .

وكان أبي عبقرياً، وكان يمكن الاستفادة من عبقريته لكننا في وطن عربي يطمس العبقرية ولا يعترف بها، الولاء في وطننا العربي للجهل، الولاء للسلطة والتسلط، والجبروت، أما الذين يوقفون حياتهم على البحث فليأخذوا أوراقهم معهم إلى القبور.

إنك يا أبي من الذين عاشوا عمق الحياة، كثيرون يعيشون هامش الحياة فهل يستوي الطرفان وعندما كنت صغيرة، كانت النكبة تفعل أفاعيلها في أبي، ويثور على، وكأنه يثور على نفسه، وكأنه يريد أن

يقول لي أنا وأنت يجب أن نتمرد على الخوف، وأن ننقذ الأسرة من الفقر الشديد .

لقد تحمل أبي مكابدات الهجرة، ومكابدات النكبة وحملتها مع أبي، كنت من خلال نظراته المعذبة أفهم كل شيء، رهافاتي اخترقت أحزان أبي وفهمتها منذ نعومة الأظفار، لذلك قررت بعد تخرجي أن أساعد أبي، ذهبت إلى السعودية، استأجرت لأبي بيت كبير زرعنا فيه أشجار الشمس ، كان أبي يروي الشجر وكأنه يروي أشجار حاكورته في فلسطين، كان أبي يجلس ويكتب على شجر الزيتون في فلسطين إنه الكنعاني الصبور السرمدي الذي يعشق وطنه .

الصهاينة سرقوا أرضنا وسرقوا بحرنا وأمواجنا .. سرقوا قطوف الشجر سرقوا زمن الفلسطيني ، وسرقوا غده، عظام أطفالنا في مذابح غزة حولوها لخرائط للانتصار .

وكان يقول لي فدوى ابنتي لا أريدك أن تسيري كالمشردة بل أريدك أميرة كنعانية تسير بكبرياء .

كل حكاية يا أبي كنت تحكيها لي عن الصهاينة كانت تجدد كراهيتي لهم نعم يا أبي ما أشد قبح الصهاينة وهم يقتلون أطفال فلسطين، ويسرقون أرضنا إنها أرضنا والزيتون زيتوننا والعنب عنبنا والأزهار أزهارنا والأطياب أطيابنا إنه سرونا وصفصافنا لكنهم الصهاينة الذين سرقوا أرضنا وروحونا إلي المنافي الغائرة البعيدة رمونا في جوف الحياة لتأكلنا الحياة ويأكلنا ظلم الحياة ويأكلنا الصهاينة يلتهمون أطفال فلسطين بمدافعهم .رمونا لتيه المنافي، وتاه الفلسطيني في دروب المنافي رمونا في دروب الهلاك ودروب العدم .

لكننا يا أبي لن نستكين عظام أطفالنا في مذبحة غزة سنة 2014سنحولها لخرائط انتصار وبكاء الثكالي سنحولها إلى أناشيد عودة نعم طريقنا للانتصار يا أبي طريق طرزه أطفالنا بدمائهم لكن أطفالنا رسموا لنا خرائط الانتصار .

نزفت طيور فلسطين وخمش الجوع أمعاءهم لكن أطفال فلسطين رسموا خرائط الانتصار فوق جياد الحكايا قفز الطفل الفلسطيني ليصبح فارس التاريخ الفلسطيني سيبقى شموخ الطفل الفلسطيني ، الذي استشهد في مجزرة غزة .2014

سيبقى فارس التاريخ الفلسطيني العظيم، ستسقط خارطة الصهاينة فنجد فلسطين لنا ولن تسرقوا فلسطيننا .

كنت يا أبى مرآتى التى أرى فيها الحياة ، بعدك يا أبي لم يتبق لي سوى صوت الصمت بعدك يا أبي حاول أخوتي طمسى وواجهت عثرات الحياة، وأصبحت حياتي عسيرة، أين أبي أين حيوية الحياة؟

آه يا أبي رحلت عني وسكتت حكايات الحنين، وابتعد الأخوة، ولكنني ورثت منك إنسانية عميقة تساعدني على الاستمرارية، وروح فلسطينية عريقة .

كانت لأبي هوية سماوية وهوية أرضية وقد ورثت عنه هاتين الهويتين فتارة تغلب الهوية السماوية، وتارة تتغلب الهوية الأرضية، لكنك في كل الأحوال ، المتواضع الرصين وتملك لساناً واضحاً علمني أبي ألا أكون ذاتية، وأن أنصهر في أخوتي ولخدمتهم، لكن الطبيعة أيقظت ذاتي وجعلتني ألتحم بذاتي .

عكف أبي على قضية فلسطين، وقد ورثت عنه هذا الإعتكاف، كان أبي عاشقاً للمسئولية سواء نحو وطنه أو نحو أسرته وبث ذلك في شخصيتي .

كانت مشكلتي بعد موت أبي، هو كيف أعود نفسي على غيابه وأسلمت نفسي للمعرفة فقد علمني أبي كيف أمزج المعرفة بمتعة المعرفة .

ويأتيني صوت أبي من يظن أن الفلسطيني بلا حكايات فهو مخطئ تماماً ، فدوى الغياب لا يغويني وحكايات الفلسطيني لا تنتهي، وقضيتنا مستمرة لقد سرق الصهاينة في مرحلة النكبة 774قرية ومدينة

*فلسطينية، واقترفت يا فدوى الصهيونية أكثر من 70* مجزرة واستشهد 15ألف فلسطيني خلال النكبة، وجرحت يا فدوى ولم أخرج من فلسطين إلا وأنا أموت ...لم نبع أرضنا رغم المجازر ورغم الضرائب التي فرضت على الأرض لتصل إلى 33%، أتدري ماذا فعل الصهاينة ألغوا الاستيراد حتى نشتري ما تنتجه مصانعهم الصهيونية، كنا نقاطع بضائعهم، لم نبع أرضنا مع أن أبواب القروض فتحت للصهاينة على مصراعيها، لم نبيعها رغم أن حكومة الانتداب ألغت الاستيراد فتلوثت المحصولات الزراعية .لم يبعها ولجأ إلى البندقية والحجارة وقاتل الإنجليز الذين سلبوه الأرض، والصهاينة الذين حلوا محله في الأرض .

يقول لي أن مصاعب الحياة مهما كانت بسيطة، لكن سرقة الوطن شيء شديد الصعوبة، لقد سرق الصهاينة أرضنا وخيراتنا ، سرقوا سعادتنا سرقوا النوم من عيون أطفالنا.

إن الدولة اليهودية في أساسها مشروعاً استعمارياً، وقد اعتمدت الصهونية في مشروعها الاستعماري على الانتداب البريطاني في فلسطين، وبعد ذلك نالت الصهيونية التأييد من أميركا التي أصبحت زعيمة العالم الرأسمالي، لقد ولدت إسرائيل يا أبي لم تكن نقية في يوم من الأيام، ولم تكن بريئة من دم أطفال فلسطين .

سياسة تدمير المخيمات يقصد بها إنهاء القضية الفلسطينية .

أقول لك يا فدوى لقد سقطت فلسطين في أيدي الصهاينة لأن الجيوش العربية لم تكن مدربة على القتال، وكانت بدون سلاح، ولم يكن لديها كفاءة الدفاع عن فلسطين، أما أوسلو فقد أضعفت القضية وجاءت بحسابات جديدة، إن أوسلو أيد إسرائيل، ولم تقف أميركا بجانب الطرف المظلوم بل وقفت إلى جانب الطرف المتفوق )إسرائيل (ولم تعتبر الولايات المتحدة أرض فلسطين أرض محتلة بل أرض

متنازع عليها .

أميركا والصهيونية فرضتا على الفلسطينيين موقف التنازل، بل والمزيد من التنازل لكن هل تمر الأمور على خير ما يرام لا وألف لا .

أكثر من مليار مسلم يكرهون أميركا سدس العالم يكره أميركا وإسرائيل، بسبب انحياز أميركا الدائم بجانب إسرائيل وتوصف أميركا بالمعايير المزدوجة ويصف العالم أميركا وإسرائيل بالظلم واللاإنسانية العالم لا يحترم أمريكا ولا يحترم الصهيونية .

ازداد إحساسي بالإغتراب بعد موتك يا أبي إن أسوأ لحظة في حياتي هي لحظة موتك، القسوة يا أبي هي ما واجهتها بعدك حين كنت حياً يا أبي لم أكن أعرف معنى الوحدة وأصبح العالم بعدك متوحشاً وموحشاً، وعرفت لوعة الأسى .

أفتقد إبداعك يا أبي، افتقد حيويتك اللغوية .

نعم يا أبي عرفت بعدك معنى الألم الكبير، عرفت يا أبي قسوة الوحدة، الوحدة التي فرضتها على أختي أمال وفرضتها على أختي عايدة، قسوة شديدة العنف حين عاشت أمي مع عايدة وأصبح أخوتي يذهبون إليها عند عايدة وأصبحت عايدة وأمال يتحكمان فيمن يزورها ومن لا يزورها ، هكذا حرمت يا أبي من رمزية الأسرة الصغيرة، وحميمية الأسرة الصغيرة، وأتي من بعيد يا أبي صوت عائلتي الكبيرة صوت مروان ابن عمتي وداد :أين صوت البرنسيسة فدوى ويأتيني صوت بنت عمتي أسماء أين أنت يا بنت خالتي أيتها الراقية ، ويأتيني صوت بنت تغريد ابنة عمة أمي :فدوى أنت الاكتمال ، آه يا أحبائي، لكنكم بعيدون في أرض بعيدة ...نعم أنتم بعيدون وفدوى لا تجد إلا القسوة، فدوى التي عودها أبوها على الحنان .الأخوة يا أبي بلا إخوة، والرحمة ضئيلة اهتزت أسرة فؤاد بعدك يا أبي، أنا يا أبي منكوبة بالنكبة وبفراقك وفراق زوجي الدكتور محمود، أنا منكوبة بمشاعر الوحدة والضعف، منكوبة بمكائد قابيل، تاهت روحي يا أبي بعدك، وأحاول أن أبعد عني الخواء، وأحاول أن أبتعد عن الجهلاء .

نعم يا أبي الخواء الفلسطيني ، الآن مات أكثر من ألفي شهيد في سوريا يا أبي المخيم الذي هو زخر للعودة دُمر في العراق يا أبي ودمر مخيم نهر البارد ودمر مخيم اليرموك يا أبي إنهم يدمرون المخيمات لينهوا القضية الفلسطينية .

وبعدك يا أبي أجبرت على ترك بيت الياسمين، بيت الشمس واختفى مقعدك يا أبي، مات أبي فنامت الشمس ، آه يا أبي أنا أعاني من القهر السياسي والاجتماعي وأنت دائماً تأمرني بقوة التحمل، آه يا أبي أرى أسى بلا حدود يوجع قلبي .

رؤاك الجمالية المميزة في الحياة أخذتها عنك وثقافة الأمل تعلمتها منك .

والشمس نائمة وصامتة لا أسمع صوتها ولا تسمع صوتي يا عمرى الأخضر، بموتك أغلق اللون الأخضر بابه أمامي، وروحك الشمسية قالت لي وداعاً بعد أن فاضت أنفاس الحياة في روحك في أول الربيع وأنت الذي كنت تحتفي بالربيع وتقول ثم يأتي الربيع وتفتح دفاترك أمامي .

دفاترك التي كانت تتشمس معك في الحديقة وأنت تنقش فيها أفكارك العظيمة ورؤاك الجمالية المميزة في الحياة أخذتها عنك هذه الرؤي الجمالية المميزة هي التي جعلتني وجعلتك يا أبي نقاوم الزمن المهلك وبالأمل كنا نقاوم الزمن المهلك وبالأمل كنا نقاوم الألم وكأن الوصول إلى فلسطين غداً وكأن الوصول غير مؤجل والبعد غير سرمدي وكأن الزمن سينفجر فجأة فنجد أننا في أحضان فلسطين وكأننا سنعبر في برهة الصحراء الفاصلة، وحين كبر أبي أصبح صاحبي الطفل الجميل فشيخوخة أبي كانت رائعة وهادئة وحتى في شيخوخته المتأخرة كان يحرص على مضاعفة معرفته وكتابة أبي لموسوعة بيت المقدس أنبأت عن قدرة العبقرية عنده ورفض أبي ثقافة الإنكسار وأصر على ثقافة الأمل .

كان أبي استقصائياً لا يهمه الظاهر بل يتعمق فى الفكرة .كنا نتحدث معاً عن مجزرة صبراً وشاتيلا حين قال لي :ليت العالم يقرأ الإلياذة والأوديسا إنها ملاحم تندد بالظلم وتتحدث عن خسائر الحرب .

الأخطبوط الصهيوني يستمر في مؤامراته وتتراكم الأحزان يا أبي فأغالبها وأهرب إلى المعرفة وقد علمتني أن أمزج المعرفة بالقيم الفكرية .

لقد تلاشت مخيماتنا التي كانت رمز للصمود الفلسطيني ورمز للقضية نعم يا أبي هدموا اليرموك ونهر البارد وشاتيلا تلاشت المخيمات التي كانت تشكل زمام القضية الفلسطينية، كانت المخيمات تحمل معاني الصمود، هذا في منافينا يا أبي أما في الأرض المحتلة فهم يمحون تراثنا، تراثنا يا أبي الذي كرست حياتك من أجل توثيقه، الصهاينة يمحون الهوية الفلسطينية يا أبي، الصهاينة يهدمون أثارنا ويزورون تاريخنا، أزالوا يا أبي المساجد والمقامات وأتذكر يا أبي ما فعله التتار لا أحد يطمس التاريخ ولا أحد يطمس الآثار والهوية إلا التتار الهمج أي حضارة يا أبي يدعيها الصهاينة ما أشبههم بالتتار الذين دمروا بغداد، لا تدعوا الديمقراطية أيها الظلمة أيها اللصوص ، وأين العالم من كل ذلك ؟ إننا نعيش في عصر خؤون .

القدس تتوجع يا أبي، الخليل تئن، بيت لحم تبكي .إنهم يمحون التراث في بلادنا يمحون تراثنا الإسلامي وما قبل الإسلامي، إنهم يغتالون آثارنا العريقة ينتهكوها يخربوها يزيلوها، التطرف الصهيوني حاقد على ما كل ما هو فلسطيني، الجوامع حولوها إلى بارات ، الجوامع حولوها إلى ملاهي ليلية تفوح منها رائحة الخلاعة، اليمين الصهيوني يمارس عنصريته بقوة بالغة، إنهم يستبيحون كل شيء يخص الفلسطيني .

كل هم الصهاينة طمس الهوية من بلادنا العريقة ، اللد والقدس والخليل ونابلس، طمس الهوية العربية

هدفهم الأمثل والأوحد .تزوير الحقائق هدفهم .

لا هم للصهاينة سوى تحويل الحارات الفلسطينية إلى حارات صهيونية، قوات الاحتلال سيطرت على المسجد الأقصى آه يا أبي هل سنصبح في القرن الواحد والعشرين أقل أهمية لا يا ابنتي نحن بداية الكون ونهايته هذه هي كبد الحقيقة .

الثورة الفلسطينية يا أبي اقترنت بالبندقية وكانت البندقية تحمل لي معنى التحرير تلك البندقية الآلية البسيطة كانت رمزاً خالداً للحرية ومعاني النضال الأسمي ضد سارق الأرض كان الشعار هو الكلاشنكوف الذي كنت أتأمله فتتجسد لي حرية أرضنا وتحريرها من الغاصب السارق المتسلط ، الصهيونية التي بدت لنا كأنها القضاء المستعجل الذي يسحق الأخضر واليابس يقتل الطفل قبل الكبير والمرأة قبل الرجل تلك البندقية وذلك الكلاشنكوف هما الهوية الجديدة العظيمة للإنسان الفلسطيني وسألت أبي هل اعتمادنا على الدعم العربي هو الذى خذل ثورتنا فيما تحررت فيتنام وتحررت الجزائر نعم يا ابنتي هذا الدعم كان ثمنه فادحاً وكان على الثورة الفلسطينية أن تدفع الثمن .

والثمن فشلنا يا أبي فشلنا في الأردن ثم في لبنان وبكى محمود درويش وهو يودع لبنان وكان من الطبيعي أن تقوم الانتفاضة في فلسطين نعم يا أبي وجاء كامب ديفيد وجاء أوسلو وجاء السلام الكاذب الذي يعرف الزعماء العرب إنه كذبة كبرى ينهي قضية يظن البعض أنها تنتهي ، أجل يا فدوى قضية فلسطين غير قابلة للإنتهاء .

تراثنا الفلسطيني يموت ، الصهيونية تمحي التراث لتطمس كلمة فلسطين حياة كل فلسطيني مفتوحة على التأويل بسبب الألم النابع التي تسببه الصهيونية لنا .

نعم يا أبي تحولت الجوامع في فلسطين إلى أماكن للهو وبيع الخمور وماذا بعد يا عرب؟

حكمة رائعة ورثتها عن أبي "ولقد أكلت يوم أكل الثور الأبيض "نعم يا أبي القدس تئن اسمع صراخ بيت لحم ، أسمع صراخ الناصرة ونابلس والخليل والجليل اسمع صراخ النقب ويبكي القلب بعد أن أصبح للقلب دموع من دماء .

إنها الهيمنة، إنه الانتهاك، إنه الدمار يا أبي، الصهيونية تعلن انتهاء عصر القيم وبداية عصر التتار، أين ثورة الإنسانية؟

المستأصلون لحقنا خلت قلوبهم من أي معنى إنساني المستأصلون لحقنا تتاريون نزعوا من قلوبهم الرحمة والإنسانية وهما صفتان خلقها الله في الإنسان العريق النبيل أما الصهاينة التتر الهمج فهم أبعد ما يكون عن حقوق الإنسان وعن الإنسانية .

أجل يا أبي شوارع القدس العتيقة، الشوارع التي غنت لها فيروز، حولوها إلى حارات للصهاينة، عبق

الطهارة حل محلها رائحة الخمور، أين رائحة القدس العبقة أين مروج البرتقال وعبيره؟

حائط البراق استولوا عليه ، يحرسه يمينيون مرعبون بعيون أسدية تلتهم قداسة المكان البراق حولوه إلى مبكى، فأي بكاء هذا؟

أغلق باب المغاربة فكيف ننفذ إلى براقنا، هدموا حي المغاربة الملاصق لسور المسجد الأقصى المبارك، وهم مستمرون في حفر الأنفاق بحجة البحث عن بقايا هيكل سليمان أسفل المسجد، عبثاً يحفرون .

القدس تهتز من حفر بلا فائدة ، مدينة القدس العريقة أصبحت ترتجف من معاولهم وحفرياتهم، شوارع القدس العريقة تبكي من سكاكينهم إهتزت ، القدس القديمة ارتجفت القدس العريقة، تصدعت، بكت ولا سامع ولا مجيب من عربنا الأفحاح .

لم نعد نمر في شوارع القدس القديمة، كما كانت تغني فيروز .مريت بالشوارع شوارع القدس القديمة ، شوارع القدس القديمة تنوح يا فيروز وتبكي .

وأصبحت القدس العريقة يملكها الصهاينة المتشددون ، أصبحوا كالدبابير منتشرين ومدججين بالقذارة واللؤم والسلاح، إنهم يسيطرون على حارات القدس، ويحولوها إلى حارات صهيونية حتى مقابر المسلمين لم تسلم من بطش الصهاينة حتى الأموات القابعين في قبورهم هدموا القبور ونبشوها، حتى الأموات لم يتركهم الصهاينة في حالهم، لم يدعوا الأموات في مأمنهم مع الله، أزالوا مقبرة "مأمن الله "وهي خارج حدود البلدة القديمة أزالوا مقبرة عريقة، تضم رفات آلاف من الصحابة والقادة والزعماء من الذين شاركوا في فتح المدينة المقدسة في عهد "عمر بن الخطاب."

إنهم يريدون مسح التاريخ يريدون طمس انتصارات المسلمين منذ 1300عام .آلاف الأعوام يا لصوص القدس، نحن نملكها من آلاف الأعوام، من أنتم ؟ اليهود انقرضوا وأنتم صهاينة متناثرون في بقاع العالم .

ترهبن أبي من أجل القدس وسمى راهب القدس لأنه قاوم بالقلم وتصدى بالعلم .

إنها قدسنا إنها حاراتنا إنها مدافننا ومقاماتنا من آلاف السنين، إنها قبورنا إنه زيتوننا، إنه برتقالنا فمن أنتم؟

أقول لكم أنتم شراذم الأمم ..القدس تحفظ نكباتكم أيها الصهاينة أخبرني أبي عن مجزرة الحرم الإبراهيمي، التي ارتكبها الإرهابي "باروخ جولدشتاين "صباح يوم الجمعة في الخامس والعشرين من شهر رمضان 1414هـ، واستشهد 29مصلياً داخل المسجد كانوا في حالة اتحاد وخشوع مع الله .

ذبحهم هذا المجرم المتعصب وأيضاً 31خارج المسجد، وقسمت الصهيونية الحرم الإبراهيمي وليكن

في العلم إن اليهود اندثروا و من يدعون اليهودية فهم صهاينة من شرائم الأمم .وإذا سألتم الصهاينة لماذا؟

يقول لك إبراهيم يهودياً وزوجته يهودية، ولا يهود الآن لقد انقرضوا، ومن يدعون اليهودية هم صهاينة .

في الستينات كان حلم أبي بالحرية كبيراً، وكنت أسير معه إلى إذاعة منظمة التحرير كطير يرفرف بجناحيه ويحلم بالحرية فحلم أبي بالحرية هو حلمي، كان أبي عضواً ناشطاً في منظمة التحرير الفلسطينية .

وكان جمال عبد الناصر الرمز الكبير، وكان أيضاً عرفات الرمز الكبير عند أبي .كنت أضحك مع أبي وأقول له بما أنني ولدت بين مصر وفلسطين فحقي في الجنسيتين .

وكان أبي يصمت في أحيان كثيرة، ويغيب عنا ، وأعرف أنه استسلم لخيالاته وأحلامه وذكرياته في فلسطين، نعم يا أبي بُعد الوطن وحل المنفى في هذا الوقت كان الأحرار يقدسون النضال، والآن يسخرون من المناضلين .

انكسارنا في النكسة زاد أبي عنادا وأصبحت لديه رغبة ملحة في توثيق فلسطين كلها .

عرف أبي مرارة التحول بعد النكسة وعرف مرارة التحول عندما أغلقت إذاعة منظمة التحرير .

ثم أمسك بالقلم ليكتب فلسطين موثقة فأبي مرآة صادقة لفلسطين وهو يحفظها وهو بهذه الصفة قدوة لي .

ورغم نقاء أبي وبساطته إلا أنه كرجل عبقري وجد من يتربص به .لم يكن من طبع أبي البكاء، لم أره يبكي إلا حين ماتت جدتي أسماء الحوت .

كان أبي يهرب من فكرة الموت وكان يرى نفسه قوياً لم أره يوماً يشكو حتى ولو تألم ولا أعرف هل ظن أبي أنه سيعيش أكثر مما توقع ولم أسمع أبي يشكو من مشكلة صحية ولم تظهر على أبي علامات الشيخوخة كنت أرى من هم أصغر منه سناً وشعرهم يبدو وكأنه مزروع بحدائق الثلج .

كان شعر أبي يبدو أسود ووجهه بدون تجاعيد ، وقامته منتصبة يبدو طويلاً ومعتدل القوام .

"فسر لي أيها العالم معنى كلمة حرية "

وأقول للصهيوني إذا كان كل إنسان لديه القدرة على النسيان فالشعب الفلسطيني فقد القدرة على نسيان فلسطين .

نعم الآن أريد تفسيراً لكلمة حرية، لقد سرقوا وطني فماذا علي أن أفعل ؟ فسروا لي يا عالم ما معنى

كلمة حرية، وكان أبي يرد علي لديك مساحة من الخيال وهذا الخيال يكاد يكون مصيراً .

نعم يا أبي عرفنا في الستينات معنى كلمة حرية الآن يا أبي نرى جثثاً جثثاً ولا نعرف لماذا؟ السلاح يبلعنا والقسوة تبلعنا، وأهدافنا مبعثرة ماذا حدث لنا؟

ويأتيني صوت أبي أيتها القومجية العاشقة للعروبة نعم يا أبي أنا مثلك تماماً كلانا عشق العروبة وعشق اللغة العربية العريقة اللغة العربية يا ابنتي عمرها أربعة عشر قرناً وقرآننا الكريم العظيم ديننا الإسلامي عظيم ولغتنا عظيمة، نحن العراقة يا فدوى لذلك لا تخافي ولا تجزعي، الأمة العربية باقية لا تخافي وفلسطين ستعود، لن تبلعنا المؤامرات يا ابنتي، هكذا استمر أبي يحلم بفلسطين وحمل معه أنفاس البرتقال .

الحرية لا تنتهي أيتها القومجية والأحرار يتجددون العرب فيهم أحرار يا فدوى همتهم تفلق الصخر عنيدون والعند في الحرية رائع .

استمر أبي جميلاً ومعافي حتى في أواخر أيامه لم تظهر عليه علامات الشيخوخة ، كنت أرى من هم أصغر منه سناً وشعرهم يبدو وكأنه مزروع بحدائق الثلج وهو شعره أسود .

يصعب على فراقك يا أبي، فصوتك الحنون وأنت تنادي على "فدوى "لم يغادرني وصوتك الحنون "لا يكبر عليك البحر يا فدوى " عبارة تقولها لي كلما رأيتني أغوص وأغرق في مشاكل الحياة .

تصور يا أبي لم أختلف معك ولو مرة واحدة ، لم أكن أهرب من أفكاري، كانت لدي الشجاعة لأن أناقش أدق الأمور معك دون مناكفة، كانت أحاديثنا فائقة ومناقشتنا فائقة.

ليتنا نخرج من بؤرة الهوان السياسي

كنت يا أبي تبشرني دائماً بأن فلسطين لا يمكن أن تمحي ومهما قيل فلها مكان في قلب كل عربي ، ليتنا يا ابنتي نخرج من بؤرة الهوان السياسي ونعود لمرحلة الستينيات مرحلة الوعي، طوال عمري لم أر أبي ينظر نظرات مهزومة ، ما أخذ بالقوة يرد بالقوة عبارة قالها جمال عبد الناصر ولم ينسها أبي فالاستعطاف لا يجدي مع أميركا ومع الصهاينة وكفانا هواناً وكفانا استعطافاً، وحان الوقت لأن نتمرد على الأوهام أتذكر ما قاله أبي وأنا أرى أمامي الهول اليومي الذي يحدث في غزة وتقشعر له الأبدان حيث يصيبك اليقين أن الصهاينة لا يمكن أن يكونوا بشراً بل حيوانات شرسة أصابها السعار.

ويأتيني صوت أبي أن الفلسطيني أبدي في فلسطين مهما قتل الصهاينة الصغار قبل الكبار .

وسبب خلوده يا فدوى أن روحه الفلسطينية لا يمكن أن تضيع إن روحه هي روح الديمومة الفلسطينية .

آه يا أبي لقد ربيتني تربية الوعي ربيت عندي المعرفة حين فتحت عيناي على أكبر مكتبة رغم الفقر

الذي عشناه .

ويرن صوت أبي فلسطين في داخلنا يا فدوى فيكف تموت؟ ولآخر لحظة استمر أبي يبحث عن العودة وينتظرها ويحلم بها .لم يمت الحلم أبداً داخل أبي .

كان دائماً يفكر وأفكاره تعجبني ليتني يا أبي أأكل فكرك كله ويضحك أبي ، وقد كان أبي يهوى النكت والطرائف .

أنا في المنفى وأبي في القبر كثيرون بعدك يا أبي تفننوا في ذبح قلبي، كنت تحميني وتعبت أبحث عن احتواء الروح .

كنت تعرف عن فدوى طيبة قلبها وكنت دائماً تحذرني من أفخاخ الحياة، وكنت تشجعني على الكتابة المتمردة .

غاب بعدك الفرح الكبير ويبقى الفرح القليل وهو نادر وغابت أفكار الضوء التي كنت أستمدها منك وشربت كثيراً من قنينة سوداء، كثيرون بعدك تفننوا في ذبح قلبي، عوضي بالكتابة يا فدوى ، تلاشى فرح الشجر، وفرح النجوم، وفرح الفجر ، عوضي غيابي بالكتابة، وهل سأنسى يا أبي و كان العصر قوس قزح ، والفناجين ترن من الفرح فناجين الشاي والقهوة ، والإبريق اللي انتصب رنت فناجيله، ثم ماذا حدث بعدك يا أبي؟

ماتت قلوب أخوتي، أصبحنا أغراباً، أنت من كان ينفث المحبة في النفوس، وأنت الأسد الذي كان يحمي العرين، حاولت يا أبي أن ألين القلوب القاسية، لكنني اكتشفت أن الجموح لا يلين كيف تلوثت الدماء العباسية، أين الحنان؟

استغيث من الوحدة يا أبي، وحده القلم يداوي جراحي، هو بلسمي وصديقي، لكنني أشعر بأنني أقف على حافة الزمن.

قابيل صار مثل إرميا أعمى لا يرى، وهابيل صار مثل إرميا أيضاً .أعمى آه يا أبي أين الإبصار والبصيرة؟

أنا إرميا يا أبي أسير في شقتي خائفة .مزعورة ينطفئ الضوء وأنا وحدي .

إرميا بلا رفيق .

إرميا تبحث عن شفافية القلوب فلا تجدها .

إرميا تلقف دموعها .

النسائم اختفت يا أبي، وإرميا تريد أنفاس الربيع إنه عصر الاختناق .

إرميا تسير في الوحل وما من معين ..

إرميا تسبح في الظلام ولا مجير ...

ماذا أقول لك يا أبي ؟ أخبرك وأنت في لحدك لكنك لا تغيب عني أن ما يحدث في عالمنا أصبح غامضاً وكأننا نشاهد على المسرح المشاهد الشكسبيرية الغامضة .

الصهيونية قتلت أطفال فلسطين بدم بارد جداً والرؤوس المقطوعة في الطرقات ، إننا أمام دول قاتلة تريد تقسيم العالم العربي كإسرائيل دول مخادعة كأميركا ترقص على الحبل توهمك أنها معك وتمارس عشقهاً سراً وعلانية مع إسرائيل ، العالم انقسم انقساماً رهيباً لا تفهم سببه ، فلسطينيون أصحاب أرض وحق وقضية، وصهاينة سرقوا الأرض وسرقوا الحق وسيطروا على القضية .

ومؤامرات ومذابح تمارس بدم بارد ، وغواية مسلم وملحد شيعة وسنة أكراد وعرب مسلم ومسيحي ضائعون في كلام ضائع ، ماذا تريد مني وماذا أريد منك؟ صراع -صراع رهيب الخاسر فيه نحن والكاسب الصهاينة الذين يريدون تقسيم العالم العربي ، المشاهد ليست واضحة ولا يمكن أن تكون واضحة لأنها ملوثة بالدماء، ماذا نفعل؟ الدماء تسيل بغزارة ننتظر إلى أن تستقر الأمور في العراق وسوريا نتوقف إلى أن تتوقف حراب الدم، ننتظر إلى أن تعيد الدولتين بناء جيوشهما .

كل ما يحدث في عالمنا مرده إلى ما فعلته أمريكا حين دمرت العراق وتدمير العراق أوصلنا إلى تدمير سوريا وهلم جراً من خلال كل هذا يا أبي أحرص على المعنى حتى لا يفر مني التأمل ويهرب مني ، والهوادة والتروي يهربان أصبح العالم مخيفاً إلى درجة لم نعهدها عام 2016عام مخيف جداً المخيف إنه أصبح عالماً بلا معاني، أين القيم ؟ أين المعاني الكبيرة ؟ كيف أعثر عليها وسط كل هذا الدمار، وألجأ إلى الخالق فحالتي الذهنية تتحسن كثيراً حين ألتحم بالخالق .

إرميا يا أبي تبكي وتسأل "أما من مجير "إنني أعاني بعدك من غربة مزمنة.

إرميا يا أبي مشدودة نحو السماء، تحكي للخالق روايتها ...وتشعر أن الخالق العظيم يحبها وينصت لها، أجل يا أبي حين نحكي للخالق بصدق ينصت لنا ويغفر لنا ويحيينا في الفضاء الشاسع الواسع نرى الله يا أبي ونرتاح كثيراً لرؤيته، هناك عين داخلية للإنسان خلقها الله لأصحاب القلوب الشفافة .

هذه العين الربانية مشمسة وتعبئ الفرح من جديد، وتحشد الشمس من جديد للذين اعتمت دنياهم .

ويأتيني صوت أبي قولي لأهل لحمتي لا للرحيل فلا رحيل بعد اليوم عن فلسطين ، ونعم لحق العودة وأنت يا ابنتي أكتبي فلسطين ولا تتركي القلم .

كان أبي يكتب فلسطين، وكانت الكتابة عن الوطن المغتصب هي المعادل للحياة بل وتسبق الحياة، نعم

عاش أبي في المنفى ليكتب الوطن، وقد حفظ أبي وطنه لذلك سهل عليه كتابته شيء آخر لاحظته على أبي أنه كان يفهم داخل الإنسان، كان يذهلني عندما يغوص في دواخل الآخرين وببلاغة واختصار يعطيني رأيه عن الآخر ومن أبي تعلمت أن اقرأ داخل الإنسان أكثر من ظاهره ، لكنني لم أتعلم أن أكون مثله كتومة في بعض الأحيان، كان عالمي دائماً ما ينبغي أن يكون، وكان أبي يشدني نحو الواقعية، لكنه كان يعجب لمثاليتي والتي في الحقيقة ورثتها عنه وكان يقول لي" :حقيقة تهتمين دائماً بمظهرك لكن رقي روحك هو ما يعجبني فيك يا ابنتي .

وكان أبي يصل إلى أعمق أعماقي، وكنت أصل إلى أعمق أعماقه .كان أبي جسوراً جسارة عارمة وكان عروبي إلى حد النخاع ويواجه حروب تفتيت هويتنا ويقاومها .

وكان أبي كثير التأمل وأخاله يدرس الطبيعة ويدرس الكون وأخاله يسبح لله الخالق العظيم لقد ولد أبي من أجل حب الحياة والوطن والعلم، كان أبي رحمه الله يخصص له مقعداً ويحرص على الجلوس على نفس المقعد وشخصية أبي شخصية تكره التغيير .

وكنت أشعر بأبي وهو يحاول أن يقدح ذهنه ليصل إلى الحقيقة، ورغم ذكاء أبي إلى أنه ما كان يخلو من عفوية وتلقائية ، ما أشبهه بينبوع عذب يفيض خيراً وعلماً، وكان رحمه الله شغوفاً بالحياة وبالعلم

كان أبي رحمه الله رقيقاً وقوياً مرحاً وجاداً وأعتقد أن أبي فضل أن يكون منسجماً مع الحياة وخاصة في الربع الأخير من حياته كان لا يكتنف الزمن ولا يحارب اللحظة بل ينهل من الحياة إنه يستحضر الوطن والذكريات والمعاني والثيميات لكنه في أول الهجرة عانى من النوستالوجيا الحادة، فبعد أن هاجر من فلسطين، خنقه المنفى واستهدفه الحزن الخانق فترة طويلة، لقد ظل أبي منقوعاً في ألم لا يغيض إلى أن أحيا الزعيم الخالد "جمال عبد الناصر "القضية الفلسطينية بعد أن نساها الحكام العرب، حكايات أبي عن فلسطين هي حكايات ملحمية متعددة الأجيال ، حكى لي حكايات الزيتون والزعتر والذعرور كما حكى لي الخواء العبثى الذي أكل الضمير العالمي وضمير الحكام العرب حين سلمت إنجلترا فلسطين للصهاينة

## علمني أبي

ومن أبي تعلمت أن أقرأ داخل الإنسانية أكثر من ظاهرها ، وهذا قادني وأوصلني لكتابة الرواية، كان لأبي ومضاته اللغوية واستشراقاته وتصوفه .

علمني أبي معنى الاتقان وألا أترك العمل ناقصاً دون إتمام وكنت مثله جسورة تلك الجسارة العارمة عندما يكون معى الحق، ولم يكن أبي يعرف التردد وأذكر أنني عندما كنت في الثانوية العامة، وقبل أسبوع واحد فقط من أخذ الأجازة استعداداً للامتحان حينما فوجئت بناظرة المدرسة تصفعني على وجهي لعدم وجود الشارة على الجرافتة، وهنا صحت بها ليس لك الحق في ضربي لأن الضابطة رأتني ولم تطلب مني شراء شارة جديدة لقرب موعد الأجازة وبالصدفة دخل المفتش وأنا أناقش ناظرة المدرسة بهذه الجرأة ، وعرفت من مدرسة عزيزة على قلبي أن الناظرة حرمت من الترقية إلى وكيلة وزارة بسبب هذه المشكلة.

ففي الحقيقة إنني ورثت عن أبي روح عارمة تقاوم الظلم ولا تقبل به، إنني فؤادية خالصة وتكويني فؤادي، كنت أدرك محبة أبي لي .

وكان يدرك محبتي له ويعرف ما يدور بداخلي من أسئلة فلسفية عن علاقة الأرض بالسماء .

بعد رحيل أبي عشت الواقع المزيف الذي حاولت تغييره وفشلت، لا أعرف فجأة تغير الزمن، تغير إلى حد بعيد، فقدت فرحة اللقاء حين أدخل على أبي، افتقدت أب ينبض بالحياة والحب، رحل أبي لكن كلماته تشع أمامي وأفكاره تضئ عالمي، كان أبي راهب القدس، وكاهن البلاغة، وشيخ الفقه، درسنا معاً في المعهد الإسلامي ووجدنا في الدين الإسلامي تفسيراً لعلاقة الأرض بالسماء وعرفنا معاً أن الإسلام عظيم .

كان أبي يفهمني وكان يقف معي في الحرب البائسة التي شنتها واحدة من إخوتي ضدي كان أبي يعلم بأنني بسيطة بساطة العمق وإنني غير معنية بتوافه الأمور .

## ( الصديق الخائن )

وسرقوا كنز أبي /سرقوا واحد وعشرين جزءاً من الموسوعة وكان أبي يصر على طباعة موسوعته .

ويبكي قلمي يا أبي لأنهم سرقوا كنزك سرقوا موسوعتك، سرقوا واحد وعشرين جزءاً من موسوعتك، يا لضراوة الحدث يا أبي ، عقارب الألم تدق في قلبي وأنا يا أبي الحزينة على فراقك وعلى سرقة الموسوعة .

من سرق موسوعتك ؟ إنه الصديق الخائن ، كان في مسيس الحاجة إلى خيانتك وأنت تفارق الحياة ، خيانة هذا السارق تتضاعف لأنه خانك وخان القدس –وخان القلم –وخان فلسطين ، إنسان لم يراع حرمة الموت –وحرمة الملكية الفكرية –كانت عيناك على موسوعتك تقول لي" :خائف عليها " وانتهز صديقك فرصة انهياري التام بعد موتك وسرق موسوعتك سرق كنزك يا أبي ولن يغب على القارئ لغة فؤاد عباس بأجنحتها العميقة؟

كنت وفياً يا أبي لفلسطين وروح فلسطين، كنت وفياً للقدس وروح القدس وتراث القدس لقد رأيت فلسطين وطننا الحبيب رأيت الأرض المقدسة فشعرت بفرح عارم لا ينتهي ورأيت بحر غزة الذي أصبح بعد ذلك بحرا مبللاً بالدموع والدم .

شعرت أن أبي في العصر الناصري تخلص من الألم وأحسست أن أبي منسجماً مع ثورته وأصبحت هذه الثورية المتأججة ركيزة حياته، كان أبي زهرة من زهور الستينيات وقد أينعت الستينيات بالزهور، كان أبي حساس جداً كطائر طنان لم يكن أبي يهتم أحياناً بما يقال فقد كنت أرى البعض يتلعثمون وهو يسبح في عالمه .لم يكن أبي يسمع كل ما يقال وكان يتردد أحياناً لكن حياته وعمله في ازدهار مستمر .

إنهم يحرقون عظام موتانا ، إسرائيل عبء غير أخلاقي على العالم ، متى ينصف العالم الإنسان الفلسطيني ؟

ليبكي القلم يا أبي على القدس ،قرر الصهاينة هدم مقبرة "مأمن الله "وبها آلاف من أمواتنا مقبرة مأمن الله مقبرة إسلامية تحوي رفات خالد بن الوليد وعمر بن الخطاب مقبرتنا ينتهكون حرمتها آلاف الفلسطينيين مدفونون في هذه المقبرة التي تضم رفات صلاح الدين ورجاله .

كيف يعتدي الاحتلال على القبور؟ كيف يعتدون على مقابر الصحابة؟ أين سيدفن الفلسطيني يا أبي ؟ مقبرة "مأمن الله "يريدون يا أبي تحويلها إلى ملهى .

مقدساتنا التاريخية يا أبي يهدموها، إنهم يريدون يا أبي إنهاء وجودنا في القدس ، الوحدة العربية أمر واجب وضروري نعم يا عاشق القدس، يا راهب القدس، مقبرة إسلامية تحول إلى حدائق ترابية،

تجريف القبور لإقامة مشاريع استثمارية، قلمي يفضح الصهيونية ، مقبرة مأمن الله تضم رفات الصحابة، قبور تاريخية، كيف تهدم، إنهم يزيفون تاريخنا يا أبي، ألا يكفيهم ما يفعلون بالإنسان الفلسطيني، حتى الأموات لم يسلموا منهم، الأرواح أرواح الأموات لم تسلم من أذى الصهاينة .

إنهم يا أبي يهدمون مساجدنا ومدافننا ، مدافننا يجب أن نحميها، الصهيونية اعتبرت الأوقاف غانبة وأخضعت هذه الأملاك إلى أملاك غائبين ، الصهيونية لا يريدون أحياء أو أمواتاً من الفلسطينيين لا تريد الصهيونية شواهد عربية أو حروف عربية ، إنهم يريدون أن يرحلوا أمواتنا إنهم يريدون القدس مدينة صهيونية خالصة المعركة معركة وجود .

إنهم يريدون طمس تراثنا، وطمس حضارتنا يا عاشق القدس، إن مقبرة مأمن الله تضم رفات عظماء ومجاهدين .

آه يا أجدادي يبكيكم قلبي، وهل سيظل الفلسطينيون منسيين من قبل العالم وأخبرني يا أبي متى يزول الظلم ؟ وأتذكر أبي قائلاً الدول العريقة لا تخلع عباءة التاريخ .

إنهم يقيمون المراحيض فوق مقابر شهدائنا العظماء إنها يا أبي ليست مجرد مقبرة بل هي تراث حضاري ، العلماء والمجاهدون مدفونون فيها ، الشافعي يا أبي المقبرة حضارتنا وتراثنا .

الهدف البعيد الإستراتيجي، طمس تراثنا وانتهاك عظمائنا .الصهاينة يطمسون عظمائنا، وعظام شهدائنا وعظامنا تذهب إلى المزابل ...إنهم يريدون طمس معالم القدس إنهم حكامنا وعلماؤنا الذين أرخوا للقدس منذ ألف عام إنهم أيضاً يريدون المقابر .

إنهم يا أبي يأخذون عظام موتانا إلى النفايات ، المقابر الإسلامية هي هويتنا، وهم ينزعون الهوية ، احترام الموتى يا فدوى تنص عليه اتفاقيات جنيف يا إلهي ، ميت من ألف عام تعتدون عليه، إنهم يا فدوى يريدون طمس القدس، إنهم الصهاينة عصابات منظمة، يأتون في الظلام يكسرون الشواهد يسيئون للمقابر .

الديانات الثلاث يا فدوى أقرت بقدسية الميت فكيف ينتهكون أمواتنا .أيها الصهاينة أنتم لا تعرفون الله ولا تعرفون الرحمة، عظام أمواتنا وأرواح أمواتنا لن تسامحكم .

أنتم ترفضون تراثنا، ترفضون الآخر وتدعون الديمقراطية أنتم تكرهون أمواتنا وأحياءنا قداسة الموت انتهكتوها تلك القداسة التي اقرها الله .

ارقصوا على جماجم أمواتنا لكنني أزحت عنكم الإنسانية والرحمة، أيها الوقحون أنتم عنصريون كارهون راقصون حتى على الأموات ، آه يا أجدادي يبكيكم قلبي . من يدفن في القدس يدفن في الجنة لكن الصهيونية تحرق من يدفن في القدس .

العالم يا ابنتي بدأ يفصل بين اليهودية والصهيونية .الصهاينة بلا ضمير يردعهم والعالم يعي ذلك وهناك مفكرون عرب لهم كل الفضل في فضح الصهاينة ومنهم عبد الوهاب المسيري وغسان كنفاني وإبراهيم البحراوي.

آه يا أبي بعدك أعيش وحيدة والخوف يمزق رأسي وأنت حي كنت أشعر بالأمان آه يا أبي أفتقد هدهدتك لي، آه يا أبي عزلة باهرة تعيشها فدوى، وهي باهرة لأنني ألجأ للعلم فتخف معاناتي، بعدك يا أبي أصبحت ذاتي غريبة عن ذاتي .

احكي لي يا أبي ، وقد كنت حكاء يا أبي تجيد الحكي، وأحكي لك وأنت الحاضر الغائب لأخفف عن نفسي، أكتبك يا أبي وألح في الكتابة وتتجدد طاقتي حين أكتبك، أكتب عن لغتك العريقة الرصينة، أكتب إستمرارية كفاحك بالقلم من أجل وطنك المغتصب، منك يا أبي تعلمت حقائق الحياة، ومعك يا أبي كنت أشعر بأنني سأعود إلى فلسطين وأنا أمسك بيدك .

لم أجرب عليك كذباً يا أبي، والله يا أبي لم أسمعك تكذب حتى ما يسمى بالكذب الأبيض أنت رجل لم يعرف الكذب أبداً كلامك أقرب للتسابيح يا أبي وكان لأبي هيبة مقرونة بالرقي والجدية والوقار، كانت أفكار أبي مضيئة ومع مرور الزمن أصبحت ذاكرة أبي بيضاء لا يذكر للناس إلا محاسنهم ، كان يرى أبي الحياة بوضوح وعلمني أن أرى الحياة بوضوح، ولا أعتقد أن أبي رأى الموت خلال حياته لأنه كان يعشق الحياة، عاش الحياة ببراعة وأتمنى أن أخطو خطوه ، أدهشته الحياة، وابتعد عن الموت بعد أن جربه في النكبة، نكبة فلسطين، وحتى عندما تسود السماء، كان أبي يرى النجوم براقة، كان أبي معتاداً على الصمت أكثر من الكلام وكان أبي يفهم خصائص البشر ، أصيب أبي بانهيار عصبي بعد النكبة وتعالج منه ونجح في أن يقهر هذا الانهيار، تغلب أبي على الإنهاك، لكنه لم يوقف سيل أفكاره لحظة واحدة لم أر أبي يقلل من ذاته أبداً، ولم أره يقلل من ذات الآخرين .

لقد أجاد أبي رسالته في الحياة ، ناحية فلسطين وناحية أولاده، وكان رجلاً نصفه حنان ونصفه قوة وكان يقدس العروبة ويقول يجب أن تظل شمعة العروبة مضاءة

كان أبي يلبس نظارة، وكانت نظارته سميكة وقد احتفظت بها بعد موته، كان أبي دقيقاً ومنظماً وقد لاحظ السفير "محمد صبيح "سفيرنا في الجامعة العربية وهو رجل وقور وعظيم ومن المناضلين الشرفاء وهو ابن القدس، لاحظ هاتين الصفتين في أبي وأثنى على ذلك .

لقد، إبتعد بقوة عن تلال الكآبة التي خلفتها له النكبة، أما أنا فقد نزعني بقوة من غرابة الحياة، لكنني استمريت على مطارحة التأمل وعلمت نفسى فرح الحياة، وخاصة عندما ألامس الماء ورغاوي الماء وزبد البحر وعندما يداعبني المطر وأنت تعرف يا أبي جيداً إن فدوى تنظر بغرابة شديدة لمن يحيكون المكائد، و كنت تعرف خصائص البشر .

يا إلهي كم كنت تفهمني يا أبي، نعم كنت تفهم أولادك ويموت أبي فأراه الرؤية الثانية، لماذا نكتشف الآخرين أكثر حينما يموتوا ولم أسلم يا أبي بعدك من ارتجاج الذات اغتربت ذاتي وكنت بعيدة عن كسر الروح وكسر الفؤاد وكسر النفس .

وأعود بعدك يا أبي غريبة لا أرى إلا الغرابة وأتوه في الغرابة، وأموت من الغرابة وأحيا في الغرابة، وتأملات صوفية تأخذني بعيداً وأحلم أن أضع رأسي وأمدد جسدي على سافية من سوافي بلادي الذهبية، بعدك يا أبي بلغت مبلغاً كبيراً من التعاسة والاشمئزاز وأنا أرى بعض أخوتي يقسون علي ولطالما كنت شديدة الحنان معهم، أصابنى بعدك الفتور والتراخي، لكنك تأتيني في الحلم لتشد من عزيمتي نحو الحياة، آه يا أبي من مرارة الحنين .

لقد حارب أبي الضعف هذه حقيقة رأيتها بأم عيني حين شاهدت طفولتي انهيار أبي العصبي وأنت يا فدوى لابد أن تحاربي ضعفك أقول لك يا أبي إنني أصل إلى أعمق أعماقك حتى وأنت في حضن القبر .

كان أبي موسوعياً شاسعاً كالبحر ، فالقراءة أصبحت عادة مستديمة له طوال اليوم، وقد ورثت عنه ذلك.

نعم كان أبي معلمي الأول، وهو الذي علمني عشق فلسطين وطني الحبيب وعلمني عشق الكتب وعشق القراءة، تعلمت منه الإبداع الممنهج حين كتبت "أساطير من فلسطين "وأناشيد فلسطين من قبل النكبة إلى الانتفاضة، وحين كتبت "عسقلانيون : "كان أبي لا يحقد وأي خلاف مع الآخر ينتهي بالأخوية "تعلمت من أبي الوعي، والوعي هو الذي يقلل النزعة العدوانية عند الإنسان .

فكلما زاد الوعي الفكري عند الإنسان كلما قلت نزعاته العدوانية وكلما أصبح مسالماً مع الحياة ومع الأفراد.

المشروع النضالي عند أبي هو الذي سيطر على حياته وهذا المشروع تركه أمانة في عنقي لقد أراد لي أن أسير على خطاه، إن فلسطين مظلومة يا فدوى وهي بحاجة إلى أبنائها، نعم يا أبي أتخيل فلسطين تبكي وتدعونا لإنقاذها لم يربيني أبي على الإتكالية، رباني على الاعتماد على النفس .

عشق أبي الإسلام وعشق العروبة وأعلى من شأن الهوية العربية، وعشق أبي اللغة العربية فاللغة العربية محمولة على جناح لغة القرآن الكريم .

كنت أتحمل نقد أبي لي لأنه نقد ذكي، وكانت نقطة ضعف أبي خوفه الشديد على أولاده، وكان قلقه بلا حدود وخاصة فيما يتعلق بصحتنا أو دراستنا .

وكان أبي يردد شعر شوقي :

وطني لو شغلت بالخلد عنه

**نازعتني إليه في الخلد نفسي**

**شيء واحد أأخذه على أبي، إنه علمني إنكار الذات وذوبان الأنا في نحن .**

**لأكتشف بعد موته إن معظم أخوتي لا يكترثون بتضحيتي من أجلهم، لقد عملت في السعودية إلى أن انفجرت الزائدة من شدة الحر والتعب، ولأحرم من الأولاد ، ومع ذلك إستمرت "فدوى "كبش الفداء .. لكنني اعتبر رحلة أبي في الحياة رحلة حب لفلسطين وللحياة وللإنسانية، لقد إنتصر أبي لفلسطين وحرية فلسطين، وضرورة عودة فلسطين لأصحابها .**

**لم يفقد أبي أمله في العودة إلى فلسطين لحظة واحدة وحدثني عن رمل فلسطين الذهبي، هذا الرمل الحنون ذو رائحة تشبه رائحة الخلد، كان أبي يعيش في المنفى، وقلبه يخفق في فلسطين، وكان قلمه يردد كلمة واحدة فلسطين –فلسطين –فلسطين –عاش أبي في موسوعة بيت المقدس –وعاش في كتب التراث التي ألفها، كان مهموماً بفلسطين، وكانت فلسطين بعيون أبي هي جنة الخلد، لقد كتب أبي فلسطين بقلمه الفذ .**

**عرف أبي القواعد الذهبية في الحياة، وعلمها لي ، عشق أبي الحياة، فقد كنت أشعر أن روحه تتطلع إلى الأبدية فهو كائن روحاني، وقد أخذت عنه هذه الروحانية .**

**توازن أبي بين القديم والجديد ، والسبب في هذا التوازن ولع أبي بالجوانب المعرفية والثقافية في المجالات المختلفة فمثلاً عشق أبي لشعر إبراهيم طوقان لم يمنعه مثلاً من قراءة شعر محمود درويش .**

**كان لأبي أسلوب خاص في الكتابة أعرفه جيداً .إهتم أبي بالكتب وبالصحافة الثقافية .كان أبي يجمع بين الثقافة الأدبية والثقافة العلمية .**

**الصهيونية سرقت وطني يا ابنتي، الصهيونية نفاية العالم، وأميركا شاهد زور وأمتنا العربية تغرق في الطوفان.**

**تاريخ وطني كتبه .**

**تاريخ وجوده كتبه.**

**فإذا تحدث عن فلسطين تحدث بحزن ممزوج بالإشراقات –يتماهى حزناً وتدميه المجازر الصهيونية التى بدأت من دير ياسين إلى مجازر غزة ، إنها مجازر تقضي على البشر والشجر وعلى الزرع والضرع ، وعلى الأطفال والنساء .**

**ولم يستفد من أبي الاستفادة الكاملة ، لم يستفيدوا من هذا العالم الكبير لأنهم لم يطبعوا موسوعة بيت المقدس .**

لم يستفيدوا من شاهد العصر وشاهد النكبة، كان أبي يفهم معنى المعنى .كان من الممكن الاستفادة أكثر من طاقات علمك إن اللامعنى يرفض المعنى والسطحيون يرفضون العظماء ، تباً لعالم يسيطر عليه التافهون والسطحيون .

سرقوا فلسطين يا أبي ويستعدون لسرقات أخرى .أنزف يا أبي وأنا أهتف واعروبتاه .

" وعشق أبي الجمال ولذلك عشق فلسطين "

وعشق أبي الكتاب فكانت تحويشة عمره مكتبة بها آلاف الكتب وكان صاحب نسق أخلاقي وقيمي .

كان لأبي أسلوبه المميز في الحياة، الترتيب والنظام واحترام المواعيد، واحترام إنسانية الإنسان، فقيراً أو غني ، جاهلاً أو متعلم، مثقف أو غير مثقف .

إنه فارس من الفرسان الذين قدسوا القضية الفلسطينية ووهبوا حياتهم لها، حين تحدث عن فلسطين تحدث بحزن ممزوج بالإشراقات وأكد على عودتها لنا .

الشك والإحتمال، من عناصر تفكير أبي .

بحث أبى عن لقمة العيش لأولاده ولو منح التفرغ لأعطي الكثير للوطن، لكن الارتزاق شغل أبي .

حكيت لي يا أبي عن اغتصاب الصهيونية لأرض فلسطين، وفهمت منك يا أبي كيف أن الانتداب البريطاني سهل للصهاينة الاستيلاء على فلسطين فهمت منك يا أبي كيف أن شراذم الأمم تجمعت لتغتصب أرضنا الطاهرة المقدسة، هذه الشراذم تحلم حلماً وهمياً وأسطورياً نسجته خيالات غير واقعية خيالات أسطورية، هذه الشراذم منحها الانتداب البريطاني الأرض العامة، لقد ساعد الانتداب البريطاني هذه العصابات، وساهمت الولايات المتحدة والغرب عموماً ساهم في مساعدة هذه العصابات، الغرب سلح هذه العصابات فارتكبت هذه العصابات أبشع المجازر وأشدها وحشية، ولازال الصهاينة يرتكبون إلى الآن مجازرهم، هكذا تحولنا يا ابنتي إلى مشردين في المنافي، صفات الصهيوني يا ابنتي المراوغة والتوحش والكراهية للآخر سمة من سمات الصهيونية ولا أنسى يوم رأي أبي في يدي كتاب لمن تدق الأجراس لأرنست همنجواي وسألني أبي ما فحوى الكتاب؟

قلت له هو ينتصر للحب في زمن الحرب، قال الغريب في الأمر أن يحب الإنسان في زمن سفك الدماء لينتصر الحب فالحب هو الديمومة والإنتصار يجب أن يكون للحب وليس للكراهية.

آه يا أبي كم هنالك فرق بين الحب وبين سفك الدماء ، ياله من تناقض عجيب القدرة على الحب والقدرة على سفك الدماء بالله يا أبي قل لي كيف يكون ذلك؟

ولا أعرف يا أبي في هذا العالم يوجد من هم سمتهم البراءة وآخرون سمتهم التوحش وهذا التضاد

البشري عجيب .

ويضحك أبي من كلمة عجيب ويبدو أن كلمة عجيب تتردد كثيراً في السعودية إذ فوجئت بطالبة من طالباتي وأنا أشرح لطالباتي درساً من الدروس إذ صاحت عجيب وتذكرت أبي وهو يقول كلمة عجيب فكتمت ضحكتي بصعوبة بالغة فأبي يمط الكلمة عندما يقولها فلا أملك سوى الضحك .

كان لأبي قيمه الإنسانية المتعالية التي لا يتنازل عنها ويفخر بأنه يعتنقها هذا ما لاحظته على أبي مما جعلني أردد حكمة كتبها إحسان عبد القدوس "الحياة مبادئ إبحث عن مبادئك تجد حياتك ."

وكنت أشكو لأبي رعبي من العالم، فلم أكن أستوعب إنهيار الإتحاد السوفيتى على هذا النحو المخيف وأعقب ذلك انهيار الرأسمالية ويشرح لي أبي كيف انتقل العالم من الحرب الباردة إلى الإرهاب.

كتبت يا أبي فلسطين وأنا مثلك كتبتها لأن فلسطين مكتوبة في قلوبنا وكلانا عاش المرحلة الثورية الرائعة، المرحلة الناصرية في المرحلة الناصرية استوعب أبي وجوده.

هكذا وضعت الصهيونية الدول العربية في حالة توتر ، وهذا هو السر الرهيب وراء تشجيع الغرب لهذه العصابات .

أتذكر أنني جئت وأنا صغيرة أبكي لأبي، لأن البائع قال لي أنت فلسطينية قلت له نعم قال لقد بعتم أرضكم ، وقال لي أبي لا يا ابنتي إنه الجهل عينه الذي استشري ببعض العرب، لقد أغتصب الصهاينة أرضنا، الأراضي التي حصل عليها الصهاينة، حصلوا عليها من الانتداب الإنجليزي لقد باع الانتداب الإنجليزي للصهاينة 91ألف دونم بصورة رسمية، كما باع ملاك لبنانيون أراضي زراعية كانوا يملكونها لكن باقي الأراضي الفلسطينية سرقها الصهاينة وارتكبوا المجازر ليرحل الفلسطينيون، هكذا اغتصب الصهاينة أراضينا وأقاموا عليها المستوطنات التي هي في الحقيقة مستعمرات، إن ما يقولونه الجهلاء مثل شظايا الإناء المكسور يجرح لكنه بلا أهمية، فالحقيقة معروفة، أما شطط القول فلا معنى له والله يا ابنتي كل فلسطيني كان مستعد لأن يروي أرضه بدمه ، فلسطين قرة عين كل فلسطيني، ليت الأقلية من الجهلاء يزيلون الحشائش الضارة من قضيتنا العادلة، فهي قضية نادرة، والظلم فيها فادح الصهاينة مفتونون بأنفسهم .

آه يا أبي أثناء حياتك أبداً لم تصبني لعنة الملل فالحديث مستمر، والحكي مستمر، وعندما يكبر البحر علي كنت أعود إليك، كان في صوتك يا أبي قوة جبارة هي قوة الحياة، قوتك تمنحني القوة وكانت طلتك العظيمة تمنحني الثقة بنفسي .

كنت تخلق في نفسي حالة من الحيوية ، لأنك كنت ترفض أحزاني وترفض احباطاتي، كنا نتبادل معاً الأفكار والآن أجتر أفكاري وحدي ، كنت موجود كثيراً في حياتي .

وأنت يا أبي من فهم شخصية أختي العاشقة لهدم كل ما هو إيجابي في حياتي .

أعبر بعد ذلك يا أبي إلي المجهول ، معك كان الشروق ، وكنت مؤسسة العدالة فأنت ترفض الظلم لي ترفضه من أختي التي هي قاسية بالفطرة ، تعبث بأحاسيسى المرهفة فتتصدى لها وتحميني منها ، اتفقت معك يا أبي على عشق السماء لكنني عشقت البحر ولم تعشقه وهذا هو الاختلاف الوحيد بيني وبينك ، كلانا لا يعرف الكذب، وكلانا يعتبر الكذب جريمة ، كلانا يكره الكآبة ، لذلك كنت تقف معي عندما تهاجمني شراسة أختي صاحبة الفردية والنرجسية وعاشقة التسلط ، وكنت يا أبي من أنصار نصرة المظلوم، وعندما يصيبني الحزن من أختي المتسلطة كنت تقوم إلى المكتبة وتقول هات هذا الكتاب سنناقشه معاً، كنت يا أبي تعشق الكتب ويصل حبك للكتب إلى حد الهوس ، وكنت تقول لي الثقافة تحرر العقول .

وكانت أمي عندما تراك تشتري الكتب تقول لك أين سنضعها؟ وهل ترانا سنأكل كتباً بدلاً من الطعام؟ ومنك يا أبي تعلمت الشك والبرهنة ، وفعلاً كنت أهرب إلى الكتب كنت أخاف من الذهنية المحدودة التي أراها حولي ، أهرب من قهر أختي ، التى لا تبتسم إلا إذا شعرت بأنها تقهرني ، فهي المريضة بمرض التحدي .

" ما أجمل يا أبي لحظاتك الأبوية الوردية "نعم يا أبي أيامك بلون الورد والشمس .لقد حكيت لي عن وطن مختلف وطن بطعم الزيتون وله رائحة الجنة ."

كان أبي صلباً، وكان يقول الحقيقة، وكان ينزف حنيناً مستمراً إلى فلسطين، ومع كل هذا حاول أبي أن يعبر الحياة بأمان، وبحنين منقطع النظير كان يغني أغاني فيروز "زوروني كل سنة مرة حرام تنسوني بالمرة"، ما أجمل يا أبي لحظاتك الأبوية الوردية، أنظر إلى كتبك يا أبي، صورتك مطبوعة في كل كلمة، وقصصك يا أبي هي قصص الفلسطيني الذي سرقت منه أرضه، فبكى بكاء أبديا لا ينقطع، فإيحاءاتك التعبيرية قوية، وإيحاءاتي التعبيرية رقيقة برقة هواء فلسطين، جسدت يا أبي روح فلسطين، آه لو استمرت حكاياتك يا أبي لكن الموت اقتحم حياتنا فانقطع المطر عن الأشجار وأصفر الكون في وجهي، وانزلق الزمن من يدي يقرأني أكثر مما أقرأه، هذه الأيام تعود إلى الوراء أكثر مما تتقدم إلى الأمام، أيام تباشر الرحيل، ولا أعرف سر قوتك، ولا أعرف كيف تشبثت بالحياة إلى أخر لحظة، كنت أتعلم منك ، كنا ننظر معاً إلى نور الصباح وكنا لا نمل أبداً من نور الصباح فصدرونا مشروحة وفرحة بالحياة، والآن لا أستطيع الحياة بدون فؤاد .

وبدت بعدك الحياة يا أبي رخوة منهارة مملوءة بالقطاعات البشرية ، المملوءة بالتسلط وفظاعة التسلط .

ذابت أجنحتي بعدك يا أبي، وبدت فدوى بلا أجنحة تختفي في أقبية الذات ورأيت كثيراً من البشر يسقطون من السماء إلى الأرض وكثيرون أصبحوا لا يعرفون الحياء، ولا زالت فدوى تسأل لماذا

والقلم مستمر يكتب لماذا؟ وفدوى مهجورة من الأخوة الأحباء، وراقبت الساعة فوجدتها واقفة، واستمرت الساعة واقفة منذ رحيلك، وقرأت في السماء فؤاد مات، وفدوى تعودت أن تقرأ السماء، فمنذ نعومة أظافري وأنا أقرأ السماء وأحدثها وتحدثني لقد مثلت لي يا أبي روح فلسطين، يا مواويل الزمان أين الفؤاد؟ ويأتي صوتك اهدئي يا إبنتي فالموت سنة الحياة وسلوها .

أخبرني يا أبي من يحاكم الفساد في العالم؟ وكيف نحارب الفساد في العالم؟ أميركا التي تحاكم العالم قتلت مليون عراقي وسرقت بتروله وسرحت جيشه لتعم الفوضى.

أين القانون الدولي؟ ولماذا غاب القانون الدولي هل نسأل ما سبب الفوضى الآن ؟ اسألوا أميركا التي حرمت أفغانستان من الإستقرار وحق الإنسان بالاستقرار ، وما الذى يحدث فى سوريا ؟

وماذا تريد أميركا من اليمن والصومال؟

من يحاسب أميركا وإسرائيل على قتل الأطفال؟

كلا لا أوافق على أن تضرب أميركا العراق وسوريا والهدف الخفي هو تقسيم الدول العربية .

لقد ارتبكت يا أبي بعد موتك، وأنت يا أبي ارتبكت حياتك فترة طويلة حين هجرت من فلسطين، لقد اختلفت طريقتك فى الحياة وأنا يا أبي بعد موتك اختلفت طريقة حياتي .

لقد توقفت حياتك يا أبي بعد الهجرة وأنا توقفت حياتي بعد موتك، أسافر عبر الزمن تسافر الروح إلى قبرك وتسافر روحي إلى فلسطين وأنا قابعة في مكاني، ماذا أقول لك يا أبي لقد انحسر الحب وزادت الهمجية وزاد العنف الإنساني، أحول يا أبي حياتي لأفكار ، كنت أكثر شغفاً بالحياة ، حتى الكتاب الذين عشقتهم ككفكا ورامبو وكذا تتراكي وإيفان ترجنيف وغيرهم كنت أحاورهم بحيوية أكثر، لقد عرفت مثلك يا أبي الحياة من خلال القراءة، وعلمتني يا أبي الحياة، لكنني بعدك عرفت الحياة فأصابتني بالرعب، قل لي يا أبي من نيم العرب كل هذا النوم الطويل؟

ومن الذي أسكت المناضلين والمقاومين ونومهم ورفض أن يستقيظوا، قل لي يا أبي أليس كامب ديفيد هو الذي أضعف منظمة التحرير التي تبنت حق المقاومة للاحتلال وهو أمر مسموح به عالمياً.

ومنظمة التحرير التي تبنت حق العودة من الذي أضعف منظمة التحرير؟

أبي قل لي أخبرني من يحاكم أميركا التي تحاكم العالم من يحاكم أميركا التي احتلت العراق وسرقت نفطه من يحاكمها؟ من يحاكم أميركا التي قتلت مليون عراقي؟

أبي أخبرني من يحاكم الصهيونية التي قتلت أطفال فلسطين؟ قل لي خبرني ومن يحاكم الذين أضعفوا منظمة التحرير ومن يحاكم الفساد في العالم .

وغرق يا أبي العالم العربي بالدم العربي وأصابنى الحزن الداخلي، وأراقب في نومي وصحوي اللا حدودي وأقاوم الحزن الذي ضرب حياتي، فالدول العربية تواجه أعتي تحول في حياتها .

روح فلسطين متمثلة في التراث الذي كتبه أبي ، وروح فلسطين متمثلة في موسوعة بيت المقدس التي كتبتها يا أبي نعم أنت روح فلسطين الحقيقية، وأننا أصحاب الأرض، والصهاينة هم المزيفون، إننا أصحاب الأرض وأطياب الأرض والآن يا أبي اختفت المخيمات التي ترمز إلى ديمومة الشعب الفلسطيني لا أعرف كيف إبتلع مخيم اليرموك ولا أعرف يا أبي كيف يموت ضمير العالم؟

وكيف يمص العرب دماء بعضهم ؟ ولماذا سالت دماء مخيم اليرموك، وأسأل عن مخيم بأكمله ولماذا يأكل الإنسان لحم أخيه الإنسان؟ ولماذا ينسى الإنسان يا أبي إنه إنسان، وهل يموت الشيطان؟ ومتى يموت الشيطان في الكائن البشري؟

سقطت يا أبي الملائكية عن الإنسان، ومن هو ملاك يكون شديد الغباء، دموعي تهطل يا أبي، فلا فرح في عالمنا الآن، وعندما تتحدث مع الآخر تكتشف إنك تتحدث مع ذئب ، وأحاول أن أبحث يا أبي عن قمر يبتسم، وورود تبتسم ، لكنني لا أجد أمامي سوى جدران تبكي وتئن ، وأحلم يا أبي بحجرة في وطني تطل على حديقة مزروعة بالزيتون وأحلم بأنني أتحرر من همومي وضجري وخوفي ، لكنني بعدك يا أبي غريبة على الحياة، أحمل وحدي عبء الزمن الحزين، لكن يظل في قلبي وجهك الحبيب، وصوتك يرن في أذني :أرفض يا فدوى تماماً أن تكونى ضعيفة ، من قعر الجحيم تأتي أصوات الحرية التي تدوي بمعنى الوجود، طرزي بيديك يا ابنتي الحبيبة حكايات الوطن والكفاح والصمود تحملي يا ابنتي ، لن نكتب مراثي وجودنا، لابد من الصمود ...استمر يا أبي علمني ..كلمني لأبقى قوية وأعدك أن أكون قوية ولا أختفي في أقبيه الذات، لا أنسى قولك لي لقد نجحت يا فدوى في الصعود فوق عالم الألم ، لكن الألم يا أبى يعاودنى لقد تحولت غزة يا أبي إلى قبور وشواهد واستشهاد وأصبح أطفال فلسطين نجوماً تلمع في سماء غزة الحرة ولبست غزة تاج الحرية والنصر .

آه يا أبي لازلت أستغرب لماذا سرقت الصهيونية أرضنا ولماذا شربت من دماء أطفالنا ولماذا جوعتنا وشردتنا وحاصرتنا وجنستنا لماذا غرست الصهيونية أنيابها في لحم البراءة ، لحم أطفال فلسطين ذلك اللحم الطري .

آه يا صبرا وشاتيلا ، آه يا غزة 2014 ، يا مذبحة غزة ، وآه يا دير ياسين وقبية ونحالين .

كتبت يا أبي القدس ووثقتها، الآن الصلاة تغيب فيها وإذا سمح لنا بالصلاة فهناك من يحرس المصلين من همجية الصهاينة، ويأتيني صوت أبي لا تخافي فالكنعاني هو الفيلق الذي لا يعرف الهزيمة ، شمس القدس يا فدوى لن تنطفئ ستشع القدس شمساً ونصراً وغزة الصامدة ستظل صامدة الله يحرس كنعان يا ابنتي .

أقول لك يا أبي الإعتداء على غزة وخان يونس عري الصهيونية أمام العالم وأثبت للعالم أن الصهيونية تبتلع أطفال فلسطين ، إن مذبحة غزة يا أبي قتلتني حزناً، لقد رحلت ، أفتقدك يا أبي وخاصة عندما تشتد المحن .

دفنوك يا أبي إرتفع التراب إلى قلبي .قبلت التراب الذي احتوي جسدك وعرفت مذاق الموت ومعنى الغروب .أتعثر في خطواتي وأجر جسمي ضوء إرجواني حزين يغمرني صورة أبي لا تغادر رأسي .

وأردد ما كنت تغنيه يا أبي :جنجلخت جنجلينا ويسألني أتعرفين معنى ..جنجلخت جنجلينا أقول له لا أعرف، ويقول لي وأنا لا أعرف .

أمسح عرقي ودموعي .وينبض قلبي بالحنين والجنجلخت يا أبي يدق رأسي، أعدك يا أبي بأن أعود لوطني وصورتك في قلبي ..وفلسطين وشم في قلبي بكما الديمومة ...أنت أبي لا تموت وفلسطين أمي لا تموت ، وأعدك يا أبي أن أقاوم وأقاوم وأقاوم ومزمور فلسطين لن يصمت ...أعدك يا أبي أن أدمن الصمود والتمرد والعنفوان وأعدك أن أدمن أحلام الانتصار مهما حاول الموت أن يسرق أحلامي .

لقد أدمنت يا فؤاد الصمود والتمرد والعنفوان ..التاريخ لا يمارس إلا الحقيقة، والحقيقة أن فلسطين العربية يجب أن تعود لأصحابها، فالمظلومية مرفوضة عند الفلسطيني والإرهاب الصهيوني مرفوض ، فمن يعتقل الأطفال ويسلخ جلودهم ويقتلهم ليس إنسان نعم يا أبي اطمئن واهدأ في رقدتك الأخيرة .. سنقاوم ...لأن فلسطين ملك لنا وعلى مرآي منا يا أبي ...ولن تضيع ولن أضيع ...ويأتيني صوت أبي يا قومجية يا صاحبة الروح العربية لا قهر –لا انسحاب –لا انسحاق –لا مناحات –لا جلد للذات وهيا على المقاومة –فدوى هيا على المقاومة ...استبدلي مدقات الهزيمة بحدائق الانتصار ولا تستلمي لعدو شرس فالعدو الشرس إذا انتصر يحيلنا إلى المصير الشرس، تذكري يا ابنتي أن قوى جديدة يبعثها الأمل .

لكن تذكري الباب الوحيد يا ابنتي الذي يمكننا الدخول عبره إلى فلسطين هو باب المقاومة، إنه أبي العظيم وأسأل كيف خان الجسد الروح العظيمة وأسلمها للموت .

الحزن الزائد يا فدوى قد يقودك إلى الجنون قاومي الإحساس بالبؤس ، وكل فلسطيني يجب أن يقاوم الإحساس بالبؤس حتى لا يصاب بالجنون .

حين أصبت بالتهاب رئوي عندما كنت أدرس في الثانوية العامة أرسلني أبي إلى غزة ورؤية فلسطين ساهمت في إنقاذي من الموت رؤيتي لوطني يا أبي أنقذت حياتي، كيف عرف أبي أن إنقاذي من الموت يكون برؤية وطني .

حررني وطني من كآبة غريبة ، قاسمتك هذه الكآبة التي حدقت في رأسينا فترة طويلة ووصلت حتى

النخاع، الفكر المتألم هو ما تعلمته منك يا أبي لكنك قلت لي :لكن الحزن الزائد قد يقود للجنون .

حاولت قدر الإمكان أن أستفيد من قدراتك البلاغية وكنت أرى يا أبي أن كل ما تقوله يستحق الاهتمام .

وكنت أراقب أسلوب حديثك وكان يروقني أسلوبك في الحديث، وأما عقلي فهو يتقبل بسهولة ما يقوله أبي، وبرغم عقلك الكبير يا أبي إلا أنني كنت ألاحظ أنك تبحث بقلبك عن جوهر المعنى وحين كنت أرغب في الانتعاش الفكري كنت أطلب من أبي أن يرتل لي الشعر الإنجليزي .

وكنت أطلب منه أن يشرح لي بعض المعاني الغامضة فأبي عمق المعرفة ، كان أبي خائفاً على من مرض الروح فهو يدرك مدى حساسيتي وكان أبي يشفق على شفقة حقيقية ورغم معاناتي الا أنني كنت هادئة السلوك وأدرك أبي ضياعي وكان كل كلام أبي مقنعاً لي وعندما تترنح روحي ألجأ إليه .

شعر أبي بأنه أنهى مشروعه الكتابي فتوقف عن الكتابة قبل موته بسنتين ،وتستمر المناجاة مع أبي ، أبي الغائب الحاضر الذي كتب التراث الفلسطيني ليحميه ، أبي الذي اخترع أسلوباً خاصاً في الكتابة، أبي الذي شعرت دائماً أنه يكتب وطنه ويكتب ذاته وأعماقه، أبي الذي ملأ حياته كتابة بعد أن استعصى عليه الوطن، أبي الذي فهم تاريخ الفلسطيني وواقع الإنسان الفلسطيني، كان أبي عريقاً في علمه، وكان غنياً في وطنه وفقيراً في منفاه يصارع من أجل لقمة العيش وقد اعتمد على كثيراً في مساعدته، ونذرت نفسي له ولأمي ولأسرتي، عاش أبي حياته بطريقة صحيحة ورغم أنه كان يعلم أن الفلسطيني غير آمن في منفاه إلا أن الطمأنينة كانت تنبعث في روحه المطمئنة المؤمنة الآمنة، حرر أبي نفسه من أي اضطهاد، فهناك من يضطهدون أنفسهم ويجلدون ذواتهم ، حتى أعداؤه لا يجرؤون مهما كانوا أقوياء على إضطهاده .

فهم أبي معنى الحرية الإنسانية، والحرية الذاتية وتعلمت من أبي ضرورة أن أرضي عن نفسي، وأن أكون نفسي وأنا حرة إذا كانت حريتي لا تؤذي الآخرين ولا تؤذيني، إنها حرية الالتزام .

إن رضى الإنسان عن نفسه يحقق تساميها، ولنرضى عن أنفسنا، علينا ألا نرضي بجلد الذات، أن نعش لحظتنا هذا هو الدرس العظيم الذي تعلمته من أبي وعلينا ألا نحكم على أنفسنا بالشقاء .

الاندماج في الحياة الاندماج في الكون هنا يكمن سر الحياة وروعتها، التلاحم مع الكون هو ما يفعله الإنسان النشيط والمتحفز للحياة والمتفاعل مع الحياة هناك من يعيشون معنا وهم أموات أجل يا ابنتي .

نقل أبي حديقته التي في المجدل، نقلها إلى القاهرة، ليظفر برائحة الورود والشجر، كان أبي يعشق شجرة الزيتون تلك الشجرة المباركة، ويخبرني أبي عن احتفالات الزيتون في فلسطين، فعندما يجني الفلاح الفلسطيني يا فدوى الزيتون يقيم له الاحتفال، هذه الشجرة الرائعة تزرع في بلاد البحر الأبيض المتوسط .

كان أبى كاتباً قوياً وصاحب كلمة قوية وكان يعشق الكتابة في الصباح الباكر، ما أن يطل الصباح حتى يبدأ في الكتابة

زرعتها يا فدوى الآلهة "إيزيس "وانتقلت من مصر إلى اليونان، كان أبي يراقب كل ورقة جديدة على الشجرة وكان يضحك من أعماق قلبه وتلك صفة العباقرة الذين يحتفلون بأحزان الحياة وأفراحها .

كان أبي يرى أن الإسلام هو الذي أنجب العروبة، وكان أبي يمجد الإنسان أسوة بآلهة اليونانيين ، إن كان الإنسان خادماً أو زعيماً هو برتبة إنسان، وهذا يكفي عنده، وثائق أبي بلا عدد، وكتبه بلا نهاية ، كان عجين القضية خبز أبي اليومي، ففلسطين مقدسة ويجب أن تعود ، استمر أبي يكتب فمن المكتبة إلى المقبرة إنه عاشق للقلم، مات ممسكاً بالقلم، ومات واقفاً كما تموت الأشجار العريقة، أبي الديناميكية اللغوية .

كانت كل كلمة ينطقها أبي لها دلالاتها، ولم أجرب على أبي لغو الكلام، فأبي حيوية اللغة وتواضع الحقيقة وجوهرها في الشيخوخة كان أبي يجد السعادة وسط أسرته وظل أبي قوياً شامخاً وهكذا هو توصيفي الجوهري له ، لم أر أبي ضعيفاً في أي لحظة من لحظاته حياته .

ذكريات أبي لم تغب عنه الكلية العربية في القدس التي يذكر تاريخ إنشائها لقد أنشأت الكلية العربية يا فدوى بعد إضراب سنة 1936، إنها يا فدوى مبنية على جبل المكبر جنوب القدس، آه يا أبي كم أتمنى أن أرى القدس وأرى الأقصى والصخرة وجبل المكبر والكلية العربية، كان أبي يتحسر على فلسطين وقال لي "لم يكن للزعماء العرب وقفة جادة مع قضية فلسطين باستثناء الزعيم العظيم جمال عبد الناصر الذي بعثت القضية الفلسطينية على يديه ، وماتت بموته القضية الفلسطينية ونحن الفلسطينيون مطالبون أن نبعثها من جديد نعم يا أبي أرجو ألا تغيب إرادة شعبنا، وكان أبي يركز على ضرورة اهتمام الفلسطيني بالعلم .

البكاء يا فدوى لا يعيد الوطن، والحنين وحده لا يعيد الوطن بالكفاح بالقوة يعود الوطن ويردد قول الزعيم الخالد "ما أخذ بالقوة يعود بالقوة ."

هكذا عرفت بعد موتك كيف يحاصرنا الألم، وكيف يتغلغل الحزن إلى الجسد وكيف يدخل الظلام إلى دواخلنا، أتقوقع بعدك وأجبر نفسي على الحركة وقد كنت أحلق حولك كالفراشة تحولت الأشياء إلى مرارات .

كنت يا أبي رجلاً مختلفاً، ورحيلك المفاجئ عن الحياة، بدأ مختلفاً، وها أنت ترقد أمامي في عمق الموت تأملت وجهك كان مبتسماً وفي قمة العمق، ها أنت تبتسم للموت وخيوط ضوئية تشع من وجهك .

كنت يا أبي حالة وطنية، حالة فلسطينية شديدة الخصوصية، كنت شديد الإيجابية نحو وطنك وبذلت

جهداً من أجل فلسطين يفوق طاقتك لقد شاركت في المشروع الوطني الحديث، كان أبي يحلم بفلسطين وبدولة فلسطين ، كانت أحلامه تفوق الأمراض السياسية التي مرض بها السياسيون الفلسطينيون الذين كانوا يبحثون عن السلطة والمال والتسلط .

كان أبي يتقاضى 200دولار رغم أنه كان رئيس اتحاد كتاب فلسطين وقبل أن يموت بثلاثة أشهر قطعوا الراتب، فشعر بحزن شديد، كان أبي يتوجع لوجع أهالينا في المنافي أو داخل الأرض المحتلة، ومع ذلك لم يغب التفاؤل يوماً واحداً عن أبي، كان دائماً يقول لي" :تفاؤلوا بالخير تجدوه "لنا موعد مع فلسطين، كان يرى فتح وحماس شيء واحد وأذكر أنه ألح علي في القول يجب أن تعلمي أن حماس هي الجناح العسكري لفتح، كان أبي يرفض أي انقسام .

أعاود النظر إلى وجهك القرص الذي يشع نوراً، وأنت تبتسم للموت، كم أنت جميل يا أبي بوجهك الأبيض المستدير الناصع، وجهك بلا تجاعيد تأملت وجهك يملئ عيناي، حشدت طاقات إبصاري، ركزت على وجهك، إنها لحظات حارقة، أنت ترحل بعد أن أديت واجبك كاملاً، لم تيأس يوماً :كانت عندك جدوى الحياة .

كنت ديمقراطياً يا أبي، كنت تعقد لنا كل أسبوع اجتماعاً وتسميه اجتماع لحماية الأسرة وكنت لا تأخذ قراراً إلا بعد أن تطرحه علينا ونوافق عليه، كنت تدرك يا أبي إرادة التوحش التي تزيد عند أختي عايدة وكنت تحميني من أختي .

فأختي عايدة شديدة العنفوان لم أكن استطيع أن أهدئ من عنفوانها ، وحده أبي كان ينهرها فيوقفها عند حدها، لقد عرفت معنى التوحش الإنساني من أختي عايدة التي كنت أفاجأ بأنها يمكن أن تقذفني بأي شيء أمامها .

إنها تريد أن تمحي ذاتي وأبي كان يفهمها ويحميني من طغيانها ووحشيتها هذه هي أختي عايدة ظلمها بلا نهاية وكان أبي يقول لي أنت أبعد من ذلك يا ابنتي سامحي أختك عايدة إنها شقية إلى حد بعيد وتعيسة ..

بعدك يا أبي أحرث الحياة وأتشظي ، الحزن يخترقني وأتذكر طفولتي المريرة حين عشت أعماق الحزن يا أبي بسبب النكبة بل وأبعد من الأعماق، لمست العدم الذي أصابك رغم أنني كنت طفلة صغيرة .

كان أبي يناجي ربه، وكنت أسمعه يكلم ربه بصوت حنون، بعد موتك يا أبي عرفت أن الحياة تشبه قبض الريح وأنه لا شيء يدوم غير وجه ربك ذو الجلال والإكرام .

لقد عشت معك زمناً رائعاً، اللحظات الرائعة تحوى أسرار جمال الكون وسرية هذا الجمال، وسرية هذه الطمأنينة .

أطلقت نظرة أخيرة ، تركتك وأنا أشعر بأنك تريدني معك وعرفت يا أبي معنى حسرة الفراق وأنا التي شاركتك تعب الحياة كان لأبي في كل فجر تسابيحه، فقبل أن يشرب قهوته كان يقرأ القرآن الكريم ويسبح ربه، ترانيم أبي جميلة وترتيله للقرآن الكريم ويسبح ربه، ترانيم أبي جميلة وترتيله للقرآن الكريم حنوناً، والدين عنده يقين، ويردد دائماً والدين عند الله هو الإسلام، أما الكون فقد خلق بمشيئة الله، خلق الله الكون في ستة أيام ثم استوى على العرش .

كان لأبي قدرة كبيرة على الحوارات الثقافية، أما لغو الكلام فلا يستسيغه، كنت التوغل الكاشف لمعاني الحياة .

وأتصور أبي قبيل ساعات من موته، أقول له لا تتركني يا أبي يرتعش وجهه أفر إلى الناحية الأخرى وأبكي، يدير وجهه نحوي كانت عيناه تتوسل لي ألا أحزن عليه، أتذكر قوله جنسونا بجنسية أبدية هي الغربة، استودعك الحي الذي لا يموت، أتذكر أبي عندما أبحث عن مدلولات لأسئلتي يهديني كتاب .

كان أبي يخبرني ما يجول بذاتي فهو يقرأني شأن معظم العباقرة الذين يقرأون غيرهم، وكان أبي شأن كل العباقرة يجب أن يعيش لحظات جديدة غير مكررة .

كان أبي رحمه الله شديد القلق وخاصة في الفترة التي كنا فيها نتعلم، فقد كان همه الكبير هو أن يتعلم أولاده، كان أبي في هذه الفترة قلقاً إلى حد كبير، لكنه القلق الإيجابي النبيل، كان حزيناً على فقد الوطن لكن المقاومة ديدنه ..

ملامسة الجمال يا ابنتي تغمرك بسحر الحياة ، لقد لمست نسائم فلسطين الجنة فنسيت كل شيء .

وأسأل أبي حكيت لي يا أبي عن الكلية العربية التي كانت تسمى دار المعلمين والتي درست فيها، هل كان الانتداب البريطاني يسمح لكم ببناء الكليات التربوية؟

قال لي" :المسئولون البريطانيون قبلوا الفكرة على مضض وبعد إلحاح فالوعي التربوي والتعليمي كان موجودا عند رجال فلسطين وكانت لديهم الإستراتيجية للتعليم والتربية ."

ووضع الانتداب إستراتيجيات تربوية غير واضحة المعالم في فلسطين، وذلك في إطار تنفيذ صك الانتداب .

وكثيراً ما ذكرت أن أبي كان معجباً بأستاذه العظيم نيقولا زيادة وعندما دعاني برنامج ثقافي في قناة النيل الثقافية لأتحدث عن نيقولا زيادة استعنت بأبي، وحدثني أبي كيف أن هذا الأستاذ العظيم كان يتواصل إنسانياً مع الطلبة وكانت رحلة دير القرنطل وأريحا وغور الأردن والبحر الميت من الرحلات العالقة بذهنه، وكيف أن أستاذه أعطاه الفستق ليوزعه على الطلبة، فسحرته الطبيعة ونسى أن يوزع الفستق علماً بأن لأبي شهية قوية للطعام، لكن الطبيعة والجمال كانت لهما الغلبة، ملامسة الجمال يا

فدوى مغامرة، آه يا ابنتي لم تشاهدي فلسطين لقد اغتصبوها .

يا ابنتي لن نخسر فلسطين لن نخسر الأرض والهوية، آه يا ابنتي لقد شاهدت جنوب حيفا، حين سارت بنا السيارة بمحاذاة شاطئ البحر المتوسط ثم ***قليلاً لنجد أنفسنا أمام الفردوس، هذا الفردوس اسمه "عين حوض "وقد سماها الصهاينة عينهود .

ويقول لي أبي حدثني صديق لي إن عين حوض لازال طابعها عربي، كل بيت من شوارعها يختفي وراء الشجر، هذا الشجر الرائع كأنه يقطع صلتك بالعالم، جميع بيوتها تقع في بطن واد تحيط بها التلال، أما السكان فقد أجبروا على الرحيل والنزوح إلى التلال حيث يعيشون، واغرورقت عيناي بالدموع .

وتعلمت منك يا ابي أن أدخل في عالم التجلي الحر، وتعلمت منك اختيار الكتاب ارتقاء بحياتي .

نعم يا فدوى :فهم يرون بيوتهم عامرة بالسكان الجدد، إنهم يرون الأرض التي اضطروا إلى تركها، ولا يحق لهم أن يطأوا عشباً أو صخراً .

إن الصهاينة يخلعون الأشجار الخضراء أشجار الزيتون الفلسطينية العريقة العتيقة التي تشهد على عروبة فلسطين بينما نسمع في النشرات الإخبارية الصادرة عن وزارة الهجرة وعن الوكالة اليهودية لشئون المهاجرين الجدد، تهيب بهم الوكالة أن يغرسوا أشجاراً جديدة، ويغرس كل منهم شجرته الخاصة به، الأشجار عند الصهاينة أشبه ما يكون بالشيء المقدس، كما أن الفلسطيني يتخذ من شجرة الزيتون رمزاً لقدسية فلسطين، إنها شجرة مقدسة ورد ذكرها في القرآن الكريم، يتحدث أبي عن شجرة الزيتون فيلج عالم التجلي ، الصهاينة يتحدون أشجار الزيتون القديمة التي زرعها الفلسطيني وتشهد على عروبة فلسطين يجتثون هذه الأشجار، ويزرعون غيرها، كل شيء يحاولون تغييره ليثبتوا أن فلسطين لهم، لقد جردنا الصهاينة من أرضنا وبيوتنا، واستولوا على أملاكنا وحقوقنا إنهم يا فدوى يريدون تغيير المنطقة العربية كلها جغرافياً وحدوداً وسكاناً .

لقد اكتشفت يا أبي أنه يوجد في مصر من يقدس قضيتنا، فمن المصريين من يعشقون القضية الفلسطينية ويكرسون حياتهم لها إنهم رموز وعمالقة نعم يا ابنتي لقد أدركت عشق المصريين لفلسطين منذ وطأت أرض الكنانة .

عرف أبى التأرجح بين الشك واليقين، ويفكر ليصل إلى اليقين وهو الحكم الطيب والقوي أيضاً هو الذي عاش الحياة بإتقان، وأحاول مثله أن أتقن الحياة هل أستطيع ؟

عاش أبي في السبعينات والستينات عاش قوة الثورة الفلسطينية واستمر قوياً ولم يغادره الأمل ولم تغادره القوة، استوعب أبي وجوده وجعلني استوعب وجودي .

أبي ابن منظمة التحرير الفلسطينية كان ضد أي انقسام ويعتبر الانقسام نكبة لا تقل مرارة عن نكبة فلسطين عندما كنت أقول "حماس "كان يصرخ في وجهي، تذكري دائماً يا فدوى أن حماس هي الجناح العسكري لمنظمة التحرير الفلسطينية وفتح وحماس شيء واحد .

كان أبي يؤمن بوحدة الرأي الفلسطيني ، رأينا واحد هدفنا واحد إن الإنسان الواعي لا يفرق بين غزة ورام الله أهدافنا واحدة يا فدوى، الإنجاز هو هدفنا لابد من إلغاء الانقسام، لابد من إلغاء الاختلاف بالرأي، الإنجاز هو المحك، ولكن سبحان الله أينما يكون الإنسان يكون الخلاف .

كان وقف الإستيطان ضرورة يجب الانتباه لها، كان يتحسر على إستراتيجيات العمل وكان يتساءل أين السلاسة في التعامل؟ أين الهدف السامي؟ كثيرون يا ابنتي لا يرون الحياة على حقيقتها .

الدم الفلسطيني يا إبنتي غدا رخيصاً ، لا وألف كلا، الفلسطيني لن يكون رخيصاً على الأمة العربية وإلى متى ستفسد الصهيونية حياة الإنسان الفلسطيني والفلسطيني أيضاً في المنفى يعاني، في لبنان ممنوع من ممارسة العمل، ومسموح له فقط في العمل بالأعمال الهامشية، الفلسطيني في المخيمات لا دخل له، الفلسطيني في منفاه غير مستقر اقتصادياً، الفلسطيني في منفاه يعيش تحت خط الفقر، والأطفال في مخيمات الشتات يموتون جوعاً، ويعانون من الأمراض النفسية .

الفلسطيني يعيش الشتات، ملايين يتكدسون في المخيمات التي تتداخل فيها البيوت .

قضيتنا ومعاناتنا بسبب الانتداب الإنجليزي الذي ظن أنه أعطى الصهاينة وطناً لا يزول .إن جوهر الانتداب سحق أصحاب الأرض الحقيقيين .

فهدف الانتداب كان إقامة الوطن القومي الصهيوني كما أوجد الانتداب المؤسسات الصهيونية التي تحكم نفسها بنفسها .

أجل يا أبي سلم الإنجليزي وطننا للصهاينة .

آه يا وطني .

آه يا قلبي .

آه يا أبي .

النكبة يا فدوى ثم النكسة ووقع العرب يا ابنتي معاهدة "كامب ديفيد "فوقعوا صك الامتهان .

بعد كامب ديفيد يا أبي أصبح الزمن جثة وأصبح المكان جثة .

آه يا وطني

آه يا قلبي

آه يا أبي

نعم الفلسطيني الذي يشاهد بعينه مقتل أطفال خلقهم الله ويقتلون على يد العصابات الصهيونية .

الهواء لا يمر في المخيمات الضيقة، وأطفال يتكدسون في غرفة واحدة، ومنازل بلا سقوف، تغمرها الأمطار في الشتاء، منازل ضيقة مصنوعة من الزنك .

وإعاقات جسدية عند الأطفال أكثر من الكبار، بسبب الحروب ، قضيتنا سببها الانتداب الإنجليزي الذي ظن أنه أعطى الصهاينة وطناً .

نعم يا أبي رأيت هذه المخيمات حين زرت خان يونس وغزة، سقوف المنازل والجدران آيلة للسقوط ومتفسخة وغير مطلية، ينتظرون العمل في القطاف ويعيش الفلسطيني في البيت الضيق كأنه دجاجة في القفص ، الأطفال في الشوارع بسبب ضيق المنازل، فقر، بطالة ولا أمان في المنافي، الفلسطيني فقير إلى درجة لا يستطيع أن يخرج من المخيم نعم كنت ألاحظ أن أبي لا يشعر بالأمان، وإنه يشعر مع كل فلسطيني سواء قريب أو بعيد.

نعم يا ابنتي أنا حزين على كل فلسطيني، لقد تعب الفلسطيني من القضية المؤجلة، تعب من النكسات والوكسات، تعب من الحياة في أمكنة بلا سقف .

تعب من الحياة في الوحل، تعب وهو يعيش قريباً من وطنه، وهو ممنوع منه، ولا يفصله عن وطنه سوى الأسلاك الشائكة .

آه يا ابنتي لن يتحول حق العودة إلى لقمة خبز، لن نضحي بحق العودة فالفلسطيني يقدس فلسطين نعم يا أبي هم يجوعون الفلسطيني لينسى حق العودة فهل نساه ؟ لا يا أبي وألف كلا .

لن نتنازل لهم عن الأقصى، لن يستشهد الأقصى لن نسلم لهم القدس آه يا أبي رأيتهم في المخيمات ينقلون الماء في الأواني البلاستيكية، إنها يا أبي مخيمات بلا ماء، فقر الفلسطيني سرمدي، وبلا نهاية ولا نهاية للظلم الذي يتعرض له الإنسان الفلسطيني .

الفلسطيني في المنفى يشعر بالإغتراب، الفلسطيني في المنفى يحلم بغرفة، وأقصى حلمه سرير ودولاب، الفلسطيني في المنفى يحلم بالثياب التي أبداً لن يشتريها .

ويهتف الشعب يريد إنهاء الانقسام بين السلطة وحماس، ولكن كيف نحل أزمتنا يا أبي، وكيف نؤمن بوحدة همومنا ولماذا انهار ناموس الأخلاق عندنا وكيف نعيد لأنفسنا الأفق الواسع ؟

في الستينات عشت أروع مناخ للحرية اشتغل أبي في إذاعة منظمة التحرير .كان رجال المنظمة أو

رجال فتح في منتهى الوطنية وكان الجميع متعاونين ومتحابين والهدف واحد والحلم واحد، الحرية كانت هي روح الستينات وكان ما يشغل بال العالم الحرب الباردة بين روسيا وأميركا وحرب فيتنام ، الستينات كانت مولعة بالتجديد والتجريب كان الكاتب يملك حريته ويقول ما يريد .

في الستينات ظهر الهيبيون بطقوسهم الاجتماعية في هذا الوقت إنشغل أبي كثيراً بالسياسة وإنشغلت كثيراً بالأدب كوني طالبة أدرس الأدب واللغة في جامعة عين شمس .

سحرتني الستينات ، كما تحمس أبي كثيراً للقضية التي ينتمي إليها وأنتمي لها بقوة .بعد النكسة عانيت من انشقاق ذهني ، كيف حدث هذا؟ أما أبي فتكوينه الإبداعي وتكوينه القوي دفعه دفعاً بعد النكسة لمضاعفة نشاطه السياسي والإبداعي .

"و أهتف الشعب يريد إنهاء الانقسام "كيف نحل أزمتنا يا أبي؟ وكيف نؤمن بوحدة همومنا ؟ ولماذا ؟ إنهاء الخلاف ضرورى ، وكيف نعيد لأنفسنا الأفق الواسع؟

أين هو سلم الأولويات ؟ خدمة الوطن في رأس الهرم ، لا للأنانية ، لا للمصالح الذاتية، القضية أولاً . في الستينات كانت لدينا القوة الخلاقة نريد أن يعود للفلسطينيين هذه القوة الإبداع المتواصل الندوات الاحتجاج على الخطأ ، دعم الإيجابيات ، رأيت المحار يتفتح في بحر غزة فكان الحلم جميلاً .

كانت أمنية أبي أن يرى الشعب الفلسطيني موحداً، وأهتف لأبي الشعب يريد إلغاء الانقسام، مصلحة فلسطين فوق مصلحة المنقسمين كلنا في خدمة "فلسطين ."ألا زلنا قبليين يا أبي؟ إلى متى سنستمر قبليين ومنقسمين .

لابد يا فدوى من إنهاء قضية الانقسام إلغاء تاماً، فلسطين قضيتنا توحدنا، نعم يا ابنتي قضيتنا يجب أن توحدنا، أين الحل يا أبي وكيف نتوحد؟ كيف نرى المحار يتفتح على بحر غزة من جديد؟

أين هم أغنياء فلسطين ؟ لماذا لا يشكلون مؤسسات اقتصادية تساعد الشعب الفلسطيني قال أبي؟ قلت نعم يا أبي في الستينات والسبعينات والثمانينات كان الفلسطيني في الخارج يدعم فلسطين أذكر يا أبي إنني كنت أتقاضى 900 ريالاً سعودياً يخصم منها خمسون ريالاً، وكل مواطن فلسطيني يخصم منه لمساعدة فلسطين .

لماذا أصبح يا أبي الفلسطيني يبخل على فلسطين حين كنا ندعم القضية كان الكفاح المسلح مشتعلاً، وكانت القضية حية .لقد قدمنا الكثير للثورة والمطلوب أن نقدم .أعظم ما في أبي إنه رباناً على حب فلسطين ...أين أغنياء فلسطين يا فدوى؟

الفلسطيني الغني لماذا يا أبي يكون سلبياً تجاه وطنه؟ الطمع خصلة سيئة، والوطن هو الأبقى من المال إن ما لديك أيها الغني يكفيك ووطنك "أحق ."

لابد من أن يساعد الفلسطيني "فلسطين "لماذا أصبح الفلسطيني الغني سلبياً تجاه أخوته ..أغنياء فلسطين في المنفى موجودين حقيقة أن الفقر يطغي ولكن يوجد من هم أغنياء .التوحد يا إبنتي أيضاً ينقصنا .

أنا فلسطيني هذا شيء كبير وعظيم .أرجو يا فدوى أن يوقف العرب الانقسام السياسي والتعدد السياسي الفلسطيني، فالانقسام العربي يترك بصماته الخطيرة على القضية الفلسطينية هناك الهدف الأسمى، والهدف الأسمى هو تحرير "فلسطين "تحرير فلسطين سيحرر الفلسطيني من مهاوي الهلاك .

أي مناضل سياسي فاعل يجب أن يدعم من قبل العرب ومن قبل الفلسطينيين في المنفى تعرفين يا فدوى المستثمرون ذهبوا إلى فلسطين، لكنهم فشلوا سواء في غزة أو رام الله، رفضتهم السلطة ورفضتهم "حماس ."

آه يا أبي لقد زادت وتطورت الكراهية بين الشعب الفلسطيني .

الحزبية السياسية طغت في الأمة العربية ، الانقسام يا أبي يدمر قضيتنا وصورتنا العظيمة أمام العالم ويميت قضيتنا .

ليت العرب يكفوا عن الانقسام حتى لا يدفنوا وحتى لا تدفن الأمة العربية، تحت طوفان الكراهية هل تشعر روحك يا أبي بمدى حزني على ما آل إليه العرب ..أبحث يا أبي عن يقظة حقيقية للعرب .

يأتيني صوته نعم يا فدوى لكن العرب بدأوا يفهمون خطورة هذا الانقسام، أبشري سنتغلب على هذا الإنقسام .

هكذا أتذكر حوارات أبي ، ويضيف خيالي حوارات مستقبلية ، أخالها دائماً إيجابية تاريخنا عريق في المقاومة يا فدوى ولابد من تاريخ جديد ولابد من مقاومة مستمرة .

وماذا استفاد الحكام من استبدادهم؟

كيف يأتي واحد من السلطة يأكل أفخر الأطعمة ويطالب أهل رام الله بالتقشف؟ هذه التصرفات حين أفكر فيها أقترب من الجنون .

يا أبي أين إيجابيتنا؟ لقد أصبحت الحيرة رفيقتي ..أتذكر صورة غاندي يا أبي أتذكر جيفارا ، أتذكر جمال عبدالناصر ، كيف يأتي واحداً من حماس يرتدي بدلة إسرائيلية ويطالب بالمقاومة.

نعم يا فدوى هل كنا أكثر وعياً في الماضي؟

كانت البضائع الإسرائيلية ونحن في المجدل ويافا وأرض فلسطين كثيرة و كنا لا نشتري من الصهاينة،

إنها الحقيقة الصارمة، بل وبديهية من بديهيات النضال .

كان أبي رحمه الله يقدس كرامة الإنسان، وكان أبي يؤمن بالتسامح، وكان يقدس وطنه ويحبه ، رائحة فلسطين المقدسة في جلده، وكان أمينا بطبعه صادقاً مع نفسه ومع الآخرين، لا يعرف الرياء ولا يعرف المصانعة، صريح مع نفسه ومع الآخرين وهو الرجل العميق الذي يعشق البساطة .

ورغم عمقه الإنساني إلا أنه كان إنساناً ممتعاً في حديثه، كان أبي رحمه الله حلو الطباع طيب السريرة، ومافي قلبه على لسانه .

نعم عاش أبي فترة صعبة بعد النكبة وكانت النكبة شوكة في حلق أبي لم يشف أبي من علقم النكبة إلا في العصر الناصري فقد كان أبي ساخطاً على الحكومات العربية التي هي سبب النكبة لقد عشت طفولة شديدة المرارة ، فأبى كان شاحباً عصياً على الحياة، عصبي شديد النكد، وعندما التحق أبي بمنظمة التحرير الفلسطينية لم يسع إلى مواقع قيادية وسلطوية، ولم يسع إلى المال لكنه خدم الوطن بعلمه و لم يتوقف عن الكتابة .

فرق كبير يا إبنتي بين أن يعيش الإنسان في المنفى وليس فى وطنه، فالمنفى يا إبنتي مطرقة للفلسطيني ومسمار يخترق جلده إننا في المنافى فدائيون نعم يا أبي في اليرموك أغلقوا المخيم وقتلوا الفلسطينيين .

كان قلمه جريئاً وكنا نتحاور معاً حوار الباحث عن الحقيقة في زمن تنتحر فيه الحقائق وكان أبي يعود دائماً إلى البدايات في كشفه عن الحقائق .

وكان يسعى إلى الحقيقة ليصل إليها أجادله ويجادلني وأحب مجادلات أبي ونصل معاً إلى حقيقة الموضوع الذي نحلله وكنت أعتمد على أبي كثيراً لكنه كان يحب حواراتي ويقول استفيد منها ، حتى مشاكل أسرتنا كان يطلب مشورتي وكان يستنطقني وعلى قدر فهمى أعطيه رأي، كان أبي صريحاً وورثت عنه هذه الصراحة التي أعتبرها أحياناً مزعجة ولا استطيع التخلص من الصراحة، كان أبي يكره الخطأ لكنه كان يكره أن يتصيد الأخطاء للآخرين بل هو يغفر لهم الأخطاء ويسامحهم، لقد صاحبت أبي في رحلاته الفكرية الفلسطينية .

وكان أبي رحمه الله يعشق الثقافة الغربية وكان لديه وعي بالشمولي الجمالي والسياسي .

أتذكر يا أبي كلماتك الجريئة وأتذكر برنامجك خاطرة الصباح في إذاعة منظمة التحرير الفلسطينية .

لقد عشت مع أبي عذاب النكبة ، وغرقت طفولتي فى متاهات الحزن ثم حرر أبي عقلي من الخوف ومنحني الإستقلال الفكري في ظل قيمنا الرائعة .

تجاوز أبي موجات الغضب العارم بعد النكبة وكان يصب جام غضبه على الحكومات التي صنعت النكبة .

هكذا عاش أبى الكمال الثوري والكمال الثقافي وخرج أبي من صمته وسوداويته ووضع الكفاح نصب عينيه فقضية فلسطين، قضية التاريخ وقضية الوجود، وكان أبي رحمه الله يرى أن القضية الفلسطينية يجب أن تكون الشغل الشاغل لكل عربي، لأن ضياع فلسطين معناه ضياع العرب، وعلى العرب أن يفهموا ذلك جيداً .

كان أبي رحمه الله يثمن المقاومة ويقدس فلسطين ذات الرائحة العذرية الطاهرة في الوقت الذي نذر أبي نفسه للعمل وللوطن، إلا أنه عبر الأمل، عاش الطمأنينة ولم يحرم نفسه من السعادة، لكن أبي لم ينشد السعادة المادية، كان يكتفي بالقليل ويراه كثيراً رغم أنه ابن الأغنياء بل الأثرياء جداً، فقد كان جدي يمتلك سيارة، كان الوحيد الذي يمتلك سيارة في المجدل، وكان جدي إبراهيم عباس يرتدي القمباز الأبيض والبالطو الأبيض ويركب الحصان الأبيض الذي يبصم بصماته على الطريق .

وكان أبي يسكن فيلته الشاسعة في المجدل والمكونة من دورين وكان لديه العمارات والسيارات والكروم وكان أصدقاء جدي علياء القوم وأخيارهم.

كانت سعادة أبي العليا في التفرغ لخدمة قضيته عن طريق كتابة الوطن وكان هدفه الثاني تربية أولاده تربية راقية، وكان أبي خائفاً على أولاده من المنافي وهذا هو الجانب المظلم من العبقرية، فالعبقري يستقرئ المستقبل ومستقبل الفلسطيني غير آمن.

وقد رأينا ما يحدث للفلسطينيين في منافيهم ، هم يربون أطفالاً وهم في العراء ، إنهم يعاملون في بعض البلاد العربية بعنف رغم عدم تدخلهم في شئون منافيهم ، الفلسطيني أينما كان، وكيفما كان يعاني من عدم الإستقرار.

نعم يا أبي الفلسطيني في منفاه مسجون سجناً معنوياً لأنه محروم من أي حق من الحقوق التي يقدمها الوطن للمواطن إنه في المنفى وليس في الوطن لذا هو ممنوع من أي مواطنة .

إنه يا أبي الانكسار الإنساني .والصهاينة هم طاقة الشر اللامتناهية تلك الطاقة التي فرضت علينا دون ذنب .

تلك الصهيونية الشر الأزلي الذي نكبنا به نحن الفلسطينيون، نعم يا أبي الصهاينة لهم شراسة الشياطين ألم يتحول أوزوريس روح الخير إلى أشلاء على يد "ست "، أن أوزوريس الذي تحول إلى أشلاء هم أطفال فلسطين الأبرياء الذين التهمهم "ست "الشرير .

كان أبي دليلي في الحياة، كانت خطوات أبي قوية وكان حازماً ورقيقاً، يا راعي الأشجار أين أنت؟ كانت الطبيعة الرومانسية تنقذ أبي من منفاه، وتجعله يحلم بالوطن.

ولقد اتصف أبي بالتجرد، أي الشفافية وصفاء الروح، وبهما كان يدرك ما لا يدركه الآخرون .

وكان الوعي الإنساني عنده شاملاً وعميقاً وكان يكره الثرثرة الغير منطقية ولعل هذا الوعي، هو الذي جعله يفطن إلى ما يأتي وسيأتى .

إمتلك أبي المعرفة العلمية إلى جانب المعرفة الأدبية وكان يجيد اللغة العربية العريقة والإنجليزية واللاتينية وكان يملك الرؤية القديمة للقضية الفلسطينية فالثوابت لا تتغير .

وكان أبي أكثر جدية في الحياة فهو شخصية جادة، وكان رحمه الله قومي ويناديني بالقومجية .لقد غرس أبي بداخلي حب العروبة بعمق ، فكل بلد عربي هو وطني، هكذا عشقت العروبة مثل أبي ، ولقد غرست الكلية العربية القيم العروبية فى أعماق أبي، وكان أبي رحمه الله يعشق الثقافة المصرية ويقول لي منذ نعومة الأظافر وأنا عاشق لمصر، وكنت أحرص في المجدل على قراءة الهلال والمقتطف .

كان أبي رحمه الله صديقاً لأولاده ولعلها بصمات الكلية العربية فقد قال لي إن الأساتذة كانوا أصدقاء لنا يتحدثون معنا .

وكما علمني أبي الحوار وطرق النقد، والمناقشة علمت تلميذاتي في عمان ما علمه لي أبي، لكنني في مدارس السعودية لم أتمكن من ذلك .

وحين طلبت من طالبة أن تحاور زميلتها عن موضوع القراءة، اعترضت علي المفتشة، وحزن أبي عندما أخبرته بما حدث، وقال لي هل يتراجع التعليم في عالمنا العربي؟

أحب أبي فاكهة البرتقال حباً كبيراً وعرفت سر حب أبي لهذه الفاكهة التي تمنح من يأكلها دوام الشباب، عرفت أنه وجدي إبراهيم عباس كانا يتاجران بالبرتقال .

أنت يا أبي فلسطيني تراباً ذهبياً وزيتوناً وبرتقالاً وزعتراً ومرامية /أنت فلسطيني، شمساً وقمراً وبحراً لقد حمل أبي الروح الفلسطينية .

كان أبى وجدى وأعمامى يمتلكون حواكير البرتقال الشاسعة والبرتقال الذي كانوا يزرعونه هو البرتقال الفرنساوي، البرتقال الحلو، وقد أكل كثيراً أبي من هذه الثمرة، ولذلك عاش الحيوية والشباب الدائم وكان يخبرني أنه كان يذهب إلى البيارات مشياً على أرجله رغم أنه يملك السيارة يقول لي .

كنت أقطع شارع أبو جبين ثم المنشية وشارع يافا وأجلس في معرش البيارة، وطالما تخيلت هذا المعرش الذي حدثني أبي عنه، هذا المعرش الأسطوري، وهذا المعرش المصنوع من عروق الأشجار، أنت فلسطيني عرقاً وقلباً وروحاً ونبضاً ويحدثني أبي عن فناجين القهوة التي تأتي بها "جعبر " حارسة البيارة ويأتي زوجها البياري.

وكان أبي يعتز كثيراً بالكلية العربية في القدس والتي كانت تسمى دار المعلمين، وكيف كان يركب

الحنطور ليصل إلى الكلية العربية ولا يمل أبداً من وصف هذه الكلية التي عرشت في ذاكرته والتي هي عبارة عن صالة كبيرة كما كان يحدثني، وعلى جانبيها الغرف والمنافع وكما ذكر لى أن الكلية العربية مؤلفة من طابقين وكيف كانوا يتوجهون في الساعة الثانية عشر إلى الغداء، والغريب أن أبي استمر يحرص على أن يتناول طعام الغداء في الثانية عشر حتى لون طاولته في الكلية العربية يتذكر تلك الطاولة لونها أسود، ويحدثني أبي كيف أن طعام الكلية العربية كان راقياً .

"كان أبي مفكراً تربوياً وأخلاقياً، وفي أعماقه فيلسوف .وصوفي، وكان لديه نزوع عميق للتحليل وهذا ما علمني إياه، وقادني ذلك للاستنباط .

كيف كانت تحرص الكلية العربية على توفير أطباق الزيتون وزيت الزيتون والزعتر وهي أطباق يحبها الشعب الفلسطيني، وقد كان أبي ذواقاً للطعام الشهي فوالدته أسماء الحوت اللبنانية مشهورة بطهي الطعام اللذيذ، وقد تعلمت أمي منها، حنين الروح للوطن يزداد يا ابنتي كلما زاد البعاد .

حدثني أبي عن شوارع القدس المبلطة بالبلاط الحجري حدثني عن الأبنية التاريخية وهم في طريقهم للحرم الشريف، حدثني عن قبة الصخرة ذات الثمانية جوانب وحدثني عن البلاط الأزرق الجميل الذي يكسو جدرانها .

حدثني عن الخطوط والزخارف، حدثني عن الأنوار الباهرة التي يشع منها الجمال النوراني، حدثني عن الآيات القرآنية المكتوبة بخط رائع .

حدثني عن الأعمدة الداخلية التي تحمل القبة الداخلية القائمة فوق الصخرة الشهيرة التي يقال إن إبراهيم ضحى بالكبش من فوقها فدية لابنه إسماعيل، والمغارة التي تحت الصخرة، ومن فوق هذه الصخرة عُرج بالرسول العظيم النبي محمد إلى السماء ليلة المعراج .

لقد رأى أبي القدس الحبيبة أما أنا فلم أراها ويستمر يحدثني فيخيل لي أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه، ومن كانوا معه يزيلون بأيديهم ما قد تراكم فوق الصخرة من نفايات .

يتحدث أبي بلغة متدينة مملوءة باليقين ويحدثني أبي كيف أنه تعود على الدش البارد في الجامعة، وكيف تعود على تنظيف أسنانه، وكيف كان يتابع الثقافة في مصر .

القوة في وحدتنا يا ابنتي ..والمهانة في تفرقنا، الصهيونية معنية بتدميرنا ..آه يا فلسطين يا حبيبتي آه يا بلدي التعيسة .

الحبيبة مصر هي أم الثقافة العربية، وروح الثقافة العربية، وإنه كان من المعجبين جداً بمحمد حسين هيكل والدكتور طه حسين، وإبراهيم المازني والعقاد والشيخ عبد العزيز البشري، وكان يتابع أخبار الرحالة أمين الريحاني .

نعم يا فدوى كانت الكلية العربية تبث فينا روح الوحدة العربية، وكيف أننا نكون أكثر قوة عندما نتحد ، فالوحدة العربية ضرورة يا فدوى، كان أبي يخبرني بأهمية الوحدة العربية في الوقت الذي كان الجهلاء يسخرون من الوحدويين ويعتبرونهم الحالمين والمثاليين، لكنني أردد ما ردده عبد الناصر وما ردده أبي وأردده الوحدة العربية يا عرب ضرورة، وليست مجرد شعاراً للحالمين .

إنه أبي المعروف بأنه عاشق لشجرة زيتون في الكلية العربية هذه الشجرة اسمها شجرة فؤاد عباس نعم يا فدوى نشأت حميمية بيني وبين الشجرة نعم يا أبي أعرف حبك الحميمي للطبيعية .آه يا فدوى كانت الكلية العربية حقل زيتون كبير .

كان أبي يحرص أيضاً على قراءة جريدة المصور التي كان يصدرها ايميل زيدان، وكان يقرأ جريدة السياسة الأسبوعية، وكان يتابع أخبار الأدباء والأدب في مصر .

كان أبي يرفض اللحن في اللغة العربية، وكان ينهرني كثيراً على أي خطأ نحوي .وكان يلحظ حتى أساتذة الجامعة يلحنون، وحتى بعد أن ضعفت ذاكرة أبي لم يلحن في اللغة .

كانت حياتنا هنية في وطننا، لكن الحياة الهنية لم تدم، ومنافى الفلسطيني تختلط بالموت، تاريخ أسود لم أنساه يا فدوى إنه التاريخ الذي احترق فيه قلبي ..ذهبت الأيام الجميلة كان جدك يرتدي القمباز الأبيض ويركب الحصان الأبيض مثل أحمد عرابي .

حياتنا الحقيقية يا فدوى انتهت حين هجرنا من فلسطين ، تصاعد الألم ، وعشت عتمة الحياة كانت الأحداث تتصاعد عجائبية .إنها أزمة كونية مرت علي وعصفت بي أزمة كونية أقوى من كل شيء يمكن أن أتخيله .

فهزات المنافي أحزنتني، الحزن السري والسريري هاجمني ولم يتركني .سيطر علي التكرار وأصبح اللاشيء مضاعفاً لأن الوطن هو كل شيء وإذا فقد الوطن فنحن أمام لا شيء بل يتضاعف اللاشيء ليصبح الإنسان في فراغ حقيقي وهذا ما شعرت به .

اللاشيء أصبح شعاري في الحياة، وأنت يا فدوى فطنت لهذا الذي أسميه لا شيء بعد أن فقدت الوطن.

الذي ينقصني يا ابنتي هو الوطن وبدونه لا حياة ولا شيء يستحق أن نعيش من أجله، لم احتمل البعد عن فلسطين ولم يعد شيء يعنيني في هذه الحياة .كنت أفضل الصمت لأن حدة التفكير ستفقدني صوابي، وفي هذه الفترة التي امتدت طويلاً كرست نفسي للحزن .

مصر يا فدوى هي نبراس الأمة العربية ومصر السبب في وجودي واستمراريتي بعد أن اضطررنا لترك فلسطين والجراح تنزف في سنة .1948

لقد هاجرنا في يوم 25كانون الثاني 1948إنه اليوم الحزين الأسود يوم داكن لا حلم –لا دمع –لا

شمس يوم جف فيه وجودي وضاع كياني وهرب اسمي من الحياة .

في هذا اليوم يا فدوى تذكرت كيف كنا نهتف في ساحة الكلية العربية ضد وعد بلفور، هتفنا فلسطين عربية، كنا نهتف ضد الصهاينة، وضد الإنجليزي كنا نقول" :انكص على عقبيك يا بلفور "حاولت أن أكون قوياً وقد تعلمنا في الكلية العربية أن نعتمد على عقولنا أكثر من مشاعرنا .

آه يا فدوى لا يا ابنتي كان الألم أكبر من أي عقل وكنت أسأل نفسي الصهاينة تجمعوا في فلسطين من دول مختلفة كيف يمكن أن يتعايشوا مع بعضهم .

كنت يا فدوى أسير إلى مصر، وقدماي تتجه نحو الرجوع، وأتصور المدى أمامي خواء، ساقاي لا يحملاني .كيف نغادر فلسطين؟ وكيف أغادر المجدل ويافا كيف؟ كل خلية في جسدي تعشق فلسطين، السماء داكنة وبلا نجوم، إحك لي يا أبي عن يافا .

عشقت يافا يا فدوى يافا التي تعني الجميلة ، أثنى أبي على مدينة يافا المتحضرة، لقد انتقيت والدتك فلك من "يافا "خفق قلبي بحبها إذن أنت تعترف بالحب يا أبي، عيب يا فدوى وغنيت لها في الأتوبيس أغنية عبد الوهاب :

"صبحت حياتنا سوا –واتحققت كل الأحلام –مادام جمعنا الهوا إزاي تفرقنا الأيام؟

ردي ردي ردي علينا نعم كنت أسمع زغاريد الصباح وكانت الحياة تصدح بالأمل .

يحدثني أبي عن مدينة يافا، وهي مدينة الإشعاع في فلسطين ثقافياً ورياضياً وصحفياً وتجارياً وسياسياً ويصف لي أبي مكتبة يافا المكتبة العامة المشيدة فوق قسم من الجامع الكبير وكان يوجد قاعة لإقامة الندوات والجدير بالذكر أن أبي مولع بالكتب وقد كان يملك مكتبة في المجدل، وكان كبار المفكرين عندما يحتاجون إلى كتاب مهم ولا يجدونه يقولون حتماً سنجده عند فؤاد عباس، كذلك كانت له مكتبة في القاهرة تحوي آلاف الكتب، فأبي عاشق للكتب، يعشقها عشقاً حميمياً وهو عاشق للغة العربية وهي تنساب إنسيابا عنده .

ويحدثني أبي عن مكتبة يافا وكيف كانت تقام فيها الندوات ..ندوات المثقفين الزائرين لفلسطين، وكان المثقفون المصريون يأتون إلى هذه القاعة ويقيمون الندوات ويلقون المحاضرات، وكان أدباء يافا يفعلون ذلك أيضاً .

وحدثني عن نوادي التمثيل في يافا وتأثرت نوادي التمثيل بيافا بالتمثيل في مصر فمصر دائماً هي المؤثرة في كل الشعوب العربية، حدثني عن حي العجمي، كنت أنصت إليه وكأنني أسير معه في حي العجمي الذي أحبه أبي أقول لأبي لقد انتقم عبد الناصر لفلسطين .

نعم عبد الناصر أجبر اليهود على ترك مصر، عبد الناصر حارب يا فدوى في فلسطين وعرف كيف ذبح

الصهاينة الشعب الفلسطيني ليجبر على الرحيل قامت المجازر وسلخ لحم الفلسطيني امرأة أو شيخاً أو طفلاً لازال مستباحاً وسمعت امرأة تقول بحزن لقد أجبر جمال عبد الناصر على الخروج من فلسطين ، ونسيت هذه المرأة إن الصهاينة سرقوا وطناً بأكمله، لقد استباح الصهاينة أرضنا وعرف عبد الناصر ورأى بأم عينيه ما فعله الصهاينة بالشعب الفلسطيني ، إنه ليس احتلالاً إنه إحلال يا أبي، لقد حكت لي صديقتي في الكلية كيف أن أسرتها سلكت الطريق إلى فلسطين ووقفت بجانب بيتها ومسحت دموعها وطرقت الباب ففتحت لها امرأة صهيونية فقالت لها أم صديقتي :اشتقت لمنزلي أريد أن أراه قالت لها المرأة الصهيونية سأجلب لك البوليس قالت أم صديقتي :أملك أوراق تثبت ملكية الأرض فماذا سيقول البوليس ، ونعم يا فدوى تلك جريمة غريبة نادرة لم يعرف مثلها التاريخ، تعود أمي تلح على أبي ليحكي عن يافا رافضة تماماً سرقة يافا وسرقة زمن يافا فيقول لي :فلك أمك هي يافا المثقفة، وأمك كانت مذيعة في يافا .

وكان أبي يحدثني كثيراً عن القدس وهي ثالث أقدس مدن العالم بعد مكة والمدينة، وهي التي من على الصخرة المقدسة عرج النبي محمد عليه الصلاة والسلام عرج إلى السماء، وقد كانت القدس لآلاف السنين رمزاً )لأرض الميعاد (عند المؤمنين من أتباع الديانات الثلاث، وفي ذلك تلتقي الديانات الثلاث في الفكرة الروحية، والفكرة الروحية ذاتها تعلن عن ذاتها وبقيت القدس رغم تقلب حقب التاريخ فيها ورغم كل الحروب والمنازعات التي تشهدها بقيت دائماً قبلة الحجاج وملجأ يلجأ إليه المؤمنون من كل الديانات، من مختلف الوجود، وقد حرصت السلطات العربية التي ساعدتها في الغالب على بقائها .

هكذا أصبحت القدس شعاراً سياسياً للصهاينة ..الصهاينة يخدعون أنفسهم خداعاً ذاتياً غريباً،وهذا أكبر دليل على تسامح الدين الإسلامي، ودليلنا على التسامح أن كنيسة القيامة أقدس مقدسات الديانة المسيحية، هذه الكنيسة مدينة بالشكر للتسامح الإسلامي والعظمة الإسلامية في المحافظة عليها عبر مئات السنين، وذكر لي أبي ان مفاتيح هذه الكنيسة في عهدة أسرة مسلمة من الأسر المقدسية العريقة، لكن يا ابنتي يبدو أن زمن التسامح الديني قد ولى، ونجم التسامح الديني قد أفل منذ ظهور الحركة الصهيونية، وغلبت التحية التقليدية للعقائديين الصهاينة يحيون بعضهم كل رأس سنة، بقولهم السنة القادمة في القدس، هكذا أصبحت القدس شعاراً سياسياً للصهاينة يسعون لتحقيقه، فالقدس بمفهوم الصهاينة، لم تعد المدينة المقدسة لدى الديانات المختلفة، بل هي فقط لهم، إنها صهيون القديمة التي لابد من استرجاعها ظلماً وبهتاناً، الصهيونية يا ابنتي منغلقة على نفسها وتهويد القدس أحد دعائمها، ترسم وتخطط له منذ زمن بعيد، الناحية الدينية يا ابنتي ليست سوى ستار يخفون خلفه ما يبذلونه في سبيل تطبيق أهدافهم التوسعية، واليهودية كديانة يسيء العقائديون الصهاينة استغلالها لتنفيذ مآربهم السياسية، لا يمل أبي ولا أمل حين استمع له وهو يحكي عن معشوقته مدينة القدس، قدس الأقداس لا أعرف لماذا حين أغمض عينيه الغمضة الأخيرة قلبه يختتم حياته بالعودة الغيبية إلى القدس نعم روحه تعود هذا ما شعرت به وهو يغمض عينيه وعلى وجهه ابتسامة سعيدة هل أعاد

**الموت أبي إلى مجدل عسقلان ؟ وهل ستطير روحه إلى القدس ؟**

**الجسد الثقافي ممدود أمامي والوجه الثقافي يضئ الغرفة .نعم يا أبي أنا حزينة ولكن أخبرني كيف أغير يا أبي واقعي، بعدك يا أبي أدخل في متاهة البحث**

**نعم وجدت نفسي أبحث عن البديل، إنني بحاجة ماسة للرعاية الروحية والرعاية الفكرية ووجدت البديل في "ملهم "ملهم أنقذني من ضياعي الروحي والفكري ملهم الموسوعي العبقري لولا ملهم الموسوعي العبقري لفقدت صوابي في الحياة، ولولا ملهم وهو رمز لكاتب عبقري لولا ملهم لضعت في غياهب الحياة ملهم الذي يعشق الهوية الفلسطينية وهو الكناني العروبي .**

**ملهم الذي يفهم الذات العروبية والذات الفلسطينية الكنعانية على وجه الخصوص، إنه ملهم الذي أنقذني من متاهات الحياة بعد موت أبي وتشتت عائلتي في البلاد العربية، وأصبح القلم أيقونة هذا الحب الذي يحتفي بالقلم .**

**إنه حب كبير فهل يختفي القلق من حياتي؟ وأنت يا فدوى إنك امرأة خاصة جداً عشت حياتك مندهشة تثيرين الأسئلة وأب يهدئ من روعك ويمنحك الإجابة أب يتقن الحياة ليعلمك كيف تتقنين الحياة وفجأة مات أبي، وبملهم عادت الجدران حنونة علي ووجدت نفسي أكتب أبي ويشجعني ملهم ، لقد أدخلتني النكبة في متاهة البحث عن الذات .**

**وأدخلتني عائلتي القاسية في متاهة البحث عن الذات كان أبي يرعاني ووجدت فجأة أخي الحبيب عبد الناصر يتحول إلى أب لي وعبد الناصر أخي يجمع في الشبه بين جمال عبد الناصر وبين أبي يا إلهي حين توفى الرئيس العظيم عبد الناصر شعرنا أن ما حدث لنا شيء غير عادي بدرجة كبيرة.**

**من يفعل الخير يجده –لا تخف على يا أبي ها هو ناصر الشقيق الذي ينقي أخلاقه كما ينقي الماء الطاهر ، هاهو يحميني بعدك .**

**كان أبي مفكراً كامل التكوين ويفهم أولاده .قال لي أبي إن ناصر أكثر أولادي شبهاً بي شكلاً وفكراً إنه ناصر الذي ينقي أخلاقه لتصبح يا أبي شفافة مثل الماء الشفاف، كان أبي يؤمن بالحق والأخلاق والعراقة وكانت هذه الصفات تظهر في متن ما يكتب وقد ورث أخي ناصر عن أبيه هذه الصفات، وكان أبي يعتمد على حدسه وأخي ناصر مثله ،نعم يا أبي احك لي كيف دخل الصهاينة فلسطين بفعل القوة الغاشمة للإنتداب البريطاني .**

**نعم يا فدوى سلبوا منا الأرض، والأرض أغلى ما يملك الإنسان وقد شبهها العرب بالعرض فلا فرق بين الأرض والعرض، أرض الإنسان هي التي تمنحه الوجود والقوت والكرامة ، نعم يا ابنتي نكبة 48 هي قاع الألم عند كل فلسطيني وما الذي فعله العرب؟**

أطالوا المناقشات الغير مجدية .وعقدوا هذه المناقشات وخرجنا نحن الفلسطينيون باللاوطن، لكننا في وطننا العربي لا نعدم أبداً تأييد الجماهير التي هي الأنضج من الحكام ومع كل ذلك تمادي الصهاينة وصمت العرب وإلى الآن يا أبي يصمت العرب، متى نخرج من هذه الفوضى ؟ ويطيل أبي التفكير فإيقاعه في الحياة رزين .

إنني شديدة القلق على العرب، وأتساءل إلى متى تكبت الحقائق؟ نعم يا أبي ألا يدرك العرب إن الصهاينة هم العدو الأول لهم ويجب ألا ينسى العرب أن فلسطين بوابة العرب في مواجهة المشروع الصهيوني .

نعم نحن أمة شديدة الالتهاب، ولكن أين التخطيط وأين الفعل؟ فلسطين أرض عربية وهي ملك للفلسطينيين أما المنهج السلوكي الذي تمارسه الصهيونية علينا فيجب أن يكون مرفوضاً من قبل ضمير العالم .

أجل يا إبنتي أرفض أن أقول أننا ضحية للظروف، الصهاينة خلقوا هذه الأكاذيب وهذه الخرافات، لماذا يغرق العرب لماذا لا يضعون أصابعهم على الحقائق؟

"العالم العربي سيظل مرتجفاً إذا لم تعالج القضية الفلسطينية أفكار الصهاينة الذين يقتلون الأطفال ، والصهاينة لا يمكن أن يكونوا يهوداً .

علينا يا ابنتي أن نقاوم لنسترد فلسطين وكفانا الله شر ألاعيب الصهاينة .لعبة التقسيم وألاعيب المجازر هل نكنس كل هذا ونظن أن قلب الصهيوني أصبح نظيفاً هراء كل هذا يا أبي الانتداب البريطاني يا ابنتي متهم والصهيونية متهمة والضحية شعبنا البريء .

أين الضمير العالمي؟ أين العدالة؟ أين الحق؟

لن نحلم بحل جديد يا أبي لا حل سوى المقاومة .أجل يا أبي العالم العربي كله سيظل مرتجفاً إذا لم تحل القضية الفلسطينية والديمقراطية ستموت في معاقلها لو أنكرت حق الفلسطيني .

لابد من إنهاء التطفل الصهيوني على عروبتنا وعلى فلسطيننا إنهم الاستحلاليون إنهم المتطفلون . ويجب أن يرحلوا فدوام الحال من المحال.

ظلت ذكريات أبي الخاصة بالكلية العربية حية عنده وتمثل يوتوبيا لحياته وقد دربته الكلية العربية على الاستمتاع بالمعرفة، وأسأل نفسي هل يسعى أبي إلى المعرفة في قبره، وأستغفر لا أحد يعرف ماذا يحدث بعد الموت والذي أعرفه أن جرعات المعرفة كانت عالية جداً عند أبي رحمه الله ، مات أبي والقرآن الكريم يقول "فبصرك اليوم حديد "تأدب أبي بأدب الإسلام ومال بعض الشيء إلى اليسار، لكنه اليسار اليميني لأن معطيات فكره إسلامية ، وقد درس أبي الآداب الغربية وأجاد كما ذكرت

اللاتينية وتأثر بالآداب الغربية التي ازدهرت في القرن التاسع عشر، لكن الحضارة العربية محفورة حفر في قلبه وعقله، إنه عاشق للحضارة العربية، إنه عروبي وإسلامي بهرته الحضارة الإسلامية وهي منحوتة بداخله، حين أذكر أبي لا أذكر الفكر بل قوة الفكر، وعمق الفكر وقد تعلمت من أبي النظرة الشمولية وقوة الفكر لا يمنحها الله إلا لقليلين، هؤلاء العباقرة منسيين في عالمنا العربي للأسف الشديد ومع ذلك كان أبي بسيطاً ومهيباً ومحباً، لكني لاحظت عليه أنه لا يحب مجالسة المكارين وكان حكيماً في كل الأحوال فيما يقوله لأنه إعتاد أن يفكر قبل أن يتكلم، وكان أبي رحمه الله لا يحب المبالغة في الأمور، ولا ينقص من أهميتها، وكان أبي ينصت باهتمام كبير لمن يحدثه، ويستفيد من حديث الآخرين فلكل إنسان قيمته وذكائه، ولكم أذهلني العمق الذي يفهم به شخصيات من يقابلهم، وخاصة من أفراد الأسرة، وكان لأبي قدرة كبيرة على التواصل مع الناس، لكنه قد يرفض بعض الشخصيات التي تكون فاسدة، فأبي لا يحب الإلتواء، ما جلست يوماً مع أبي إلا وفهمت منه الأشياء فهماً مضاعفاً .

كانت أحب البرامج إلى نفسي برنامج "خاطرة الصباح "كانت الخاطرة بمثابة شذى يأتي من "فلسطين "كان أبي صاحب ضمير فكري حي ولا يعيش حياة مألوفة لأنه كان يجالس الكتب أكثر من مجالسته للبشر، ذكرت أن أبي عشق اللغة العربية وكان يحاسبني حساباً عسيراً لو كتبت كلمة بالعامية أو أخطأت في التشكيل .

كان لأبي سلامة الرأي، ونزاهة الفعل وأمانة الحس وشموخ الروح وشجاعتها ، كان في رأيه شجاعاً كفلسطين الشجاعة .

أردت يا أبي أن تكتب كل شيء وأنا مثلك أردت أن أكتب كل شيء ولكن لا يستطيع أي إنسان أن يكتب كل شيء فما تحواه الحياة كثير وما يحواه العذاب كثير .

وعندما تضيق عليه حياة المنفى يبحث عن الإنفعال ليثبت أنه يعيش حتى لا يفقد ذاته في المنفى وتصمت أمي وتصمت وتعرف أنه ليس غاضباً منا بل من الظروف القاسية .

معذور أبي فالمنفى سرمدي والقضية لا تنتهي ...منفانا طويل طويل يا أبي ، المجدل وجغرافية المجدل تحت جلده تنن.

وحين يختبئ أبي في حزنه أعرف أنه يعاني من الضياع النفسي أدرك ذلك وأتألم في صمت عليه .

بعد ذلك يخرج من صمته ويؤدي عملاً كبيراً لخدمة القضية الفلسطينية ويهدأ العنفوان بعد أن تخرج الكلمات من أجران الحزن والحقيقة الحزينة .

آه يا أبي النزيف الفلسطيني لا يتوقف وألوان النزيف بكل لون ...وتنوح الحقيقة يا أبي على أطفال فلسطين الذين استشهدوا في غزة وتحولوا إلى رمل، كل دروب الكلام يا أبي لا تستطيع أن تصف طفلاً

وهو يموت فزعاً على أيدي الصهاينة وأشعر يا أبي أن الشمس تعري العرب إلى حد الفضيحة .

بدمي أكتبكم يا أطفال فلسطين الشهداء ويصبح الحزن متاهي .

الزمن يجري وأنا أجري وقلمي يجري ليكتب قضيتي ولأكتب أبي بكل حنين .

إنه أبي الذي اصطفته اللغة واصطفته فلسطين ليكتب تراثها، لقد رفض أبي كامب ديفيد وهو المقيم في مصر فهنا الرأي مساوي للوجود، لكن مصر الحبيبة قدرت عشقه لفلسطين، وقد عشق أبي مصر كما عشقتها وكان أبي يعشق علماء وأدباء مصر ويقدرهم وكان لأبي مكتبة هي كل حياته وكان أبي يهوى جمع الكتب النادرة .

لقد عشت مثلك يا أبي في السعودية، في فترات كانت صعبة، وكنت أنظر من نافذة السيارة إلى قرى السعودية مثل الخرج والقصب حيث كنت أقيم في الرياض وناصر يقيم في الخرج وأحمد في القصب .

وكنت أرى أشجار الشوك، ومع ذلك فالبدو الأذكياء احترموا الطبيعة التي عاشوا فيها، واندمجوا بها رغم أنها شحيحة، إنهم يعرفون أسماء الأشجار كلها التي تنمو عندهم، ورغم أن الشجيرات المغروسة قليلة في الصحراء، إلا أن السعودي يقول "كله خير من عند الله ."

لم يحج أبي، لكنه عمل عمرة وقال لي "الركوع في المسجد الحرام لا يعادله إلا الركوع في خمائل الفردوس الغامض المحبب للنفوس المطمأنة ."

كان أبي يخاف من الموت كما ذكرت، وكان يعشق الحياة وأنا مثله أعشق الحياة، لقد أبدع الله حين خلق الكون وأبدع حين خلق الإنسان .وأنا وأبي نعشق هذا الإبداع الرباني البالغ العظمة، وكان أبي يعتبر أن خوف الإنسان من الموت، قد يكون السبب في تقصير عمره .

وكما ذكرت عشق أبي الحياة، وخاف من الموت الخوف الكبير .

وهذا السبب جعلني أصر أن أرى وجه أبي وهو ميت فرأيت وجها مبتسماً مطمئناً، وجه أبيض خالي من التجاعيد ومستدير كالقمر، وكان أبي مطمئناً فتصورت روحه تحلق في المجدل في فلسطين، أسبح يا أبي في بحر الحزن وأشعر بدونك بخوف شديد، أيها المناضل والمكافح .

إشتغل أبي في قرى السعودية بعد أن فشل في تجارة الأقمشة، وكان يعاني كثيراً من الحر في الظفير ، ورغم الجو اللافح ورغم التخلف في ذلك الوقت، فقد شهدت قرى السعودية تقدماً ملحوظاً في فترة لاحقة، ورغم الجو اللافح والتخلف إلا أنه قال لي "إنني أتمنى عودة ابن بطوطة ليصف أسراب سيارات الكاديلات الفاخرة والكازينوهات والمنتزهات والعمارات ."

أجل يا أبي لكن كل هذا لم يغير من طبيعة الناس التي يجب أن تتغير وتتطور مع الزمن ، ولابد من الإنتصار على عصابات الجهل، لكن حكى لي أبي إنه أصاب هدوءاً في الظفير، هذا الهدوء عالج

أعصابه المنهارة هذه الفترة تحدثت عنها باسهاب فترة النكبة وحرائقها لاحظت أن التوازن عاد لأبي في الظفير والتألق بلغ ذروته حين عاد للقاهرة بعد أن وظفه ابن خاله "شفيق الحوت "في إذاعة منظمة التحرير الفلسطينية، وأبي يعد من مؤسسي "منظمة التحرير الفلسطينية ."

لكن كما ذكرت إن أبي أصاب هدوءاً في الظفير وهي قرية بالقرب من جدة، عالج هذا الهدوء أعصاب أبي المتعبة المكدودة بسبب النكبة الشرسة، ثم عاد أبي ليستقر في القاهرة وليعمل في إذاعة منظمة التحرير وعندما كان أبي في جدة كان يكتب في جريدة "البلاد ."

الاستنارة العلمية كانت هدف أبي بل هدفه الرئيسي في الحياة، وكان يعرف شعائر الرأي وأهميته، وكان أبي قوياً بغير عنف .

أكتبك يا أبي فأكتب ذاكرة وطني فلسطين إن رومانسيتك العبقرية هي التي جعلتك تقضي حياتك كلها، وأنت تكتب الوطن شبراً شبراً وحرفاً حرفاً، تفعل ذلك لتخرج من أجران الحزن والحنين وكنت تردد دائماً على مسامعي إننا العرب يلزمنا –إرادة المعرفة .

و إرادة القوة، لسنا دول عاجزة ، وهيا إلى الوعي .

وصفه الدكتور "حسام عقل "بأنه صاحب القوة الناعمة ، وكانت لأبي تلك القوة الناعمة ، حيث وصفه بهذه الصفة عندما وقف لتأبينه نعم يا دكتورنا النابغة "حسام عقل "كان أبي يطبق مقولة ديكارت "أنا أفكر إذن أنا موجود ."

كانت تشغلك يا أبي الأحداث الكبيرة والصغيرة .

كان كل همك أيها المناضل قضيتك، أخالك في لجة الموت تحلم بالقدس وتحلم بالمجدل وتحلم بكرومك التي سرقوها وببرتقالك الذي سرقه الصهاينة .

وأوقفت يا أبي خوفي من الحياة

كنت تثق بي أكثر مما أثق بنفسي

وتؤمن بمصداقيتي أكثر مما أؤمن بنفسي

وكنت تعرف أن فدوى تعرف سر إبداعك وقوة شخصيتك، وكنت تعرف أن فدوى تخاف الحياة وكان هدفك أن توقف خوف فدوى من الحياة ومن تيه الشتات وأوقفت يا أبي خوفي من الحياة .

كان أبي يخاف أن يثقل على أحد إلا فدوى فهو يطلب مني أن أنفذ ما يريده بارتياح وكان أبي يصر أن الإنسان عليه أن يؤمن بأن الأمور ستسير إلى الأفضل .

لكن في أعمق أعماقه كان يشفق على الإنسان الفلسطيني ويشفق على المستقبل الغامض الذي ينتظر

الفلسطيني في الأرض المحتلة أو الشتات .

لكن أبي كان يستغل جمال الطبيعة في إسعاده، وكان ذواقاً للطعام الشهي ولا ننسى أن أمه لبنانية وأهل لبنان مشهورون بالطهي الشهي .

وكنا نتناول الطعام الشهي في الحديقة حيث تتسلق الخضرة حولنا لقد حرص أبي وأنا معه على زراعة حديقتنا .

حتى نرى اللون البحري لأشجار الزيتون وهي تحتض بحر فلسطين وسمائها .

ما هذا يا أبي لقد نجحت في أن تخلصني من الخوف من الحياة كافحت في السعودية واستأجرنا البيت الجميل الواسع المزروع بالأخضر البحري، وبعد عودتي من السعودية أصبحت قوية ولا أخاف شيئاً سوى مخافة الله وأصبحت قوية واسعة الخطوات مثلك .المطلق أفقي والحرية حرية وطني ، لم أعد أحوم حول نفسي لا أعرف ما أريد.

قلت لي "أنت يا فدوى نطفة الحرية "أجعليها تنير وتزهر في الزمن لا خارج الزمن ..كنت تخاف على أن أموت داخل الزمن .

حكيت لي الوطن، حكيت لي تكوينك الأول، كنت معي يا أبي ضد قابيل وكان رأيك في أن فدوى ابنتك لا تعرف الكراهية لا تعرف إلا أن تحب، هكذا قلت لهابيل الذي ترصد طيبتي وقلبي المسالم الذي لا يعرف الحقد بشهادة معظم الأقارب .

عرفتك يا أبي، فعرفت نفسي يا أسطورتي الفؤادية كنت تحكي لي فلسطين، فأصغى لشحناتك الروحية والقلبية عن فلسطين .

كنت مستبشراً خيراً، والعلماء الحقيقيون والمفكرون الحقيقيون، هم الذين يستبشرون ولا يغلقوا الأبواب ، العظماء لا يجلدون الذات فجلد الذات يقودنا إلى التأخر، لقد إستمرأنا جلد ذواتنا .

العباقرة الحقيقيون يعرفون أن ثبات الحال من المحال .العقل ديدنك وكنت تقول لي "فدوى الإرادة هي ديدن الحياة ."

وكنت تحذرني من الهزيمة، وكنت أضحك وأقول لك وما هي دساتير الهزيمة .فتقول لي السوداوية، وفقد الإرادة والبطش في النفس وإنهزام القوة، ابق على قوتك وتذكري كلمات أبيك مقاومة مقاومة مقاومة نعم يا أبي ثورتنا لن تموت، والأجساد القذرة التي تخون النضال هي التي تتعفن بينما أجساد الشهداء تضئ على درب الحرية .

الخونة يا أبي هم الذين يتعاطون النسيان ويدعون إنهم أرباب القضية وأصحابها إنهم الذين احتلوا القضية وملكوها، وعزلوا المناضلين الحقيقيين وها أنا يا أبي أنظر في خريطة فلسطين وتمر من

أمامي حيفا والنقب والقدس والجليل، والمجدل، وخان يونس .

وقال لي أبي :حذاري يا ابنتي من كروب اليأس ومن ضياع الأمل، لا تضع جدراناً بينك وبين الأمل وكان إذا حدثني أبي يستحوذ على تفكيري .

اقول لك يا أبي كانت قضيتنا تحتمي بالألم، وتتوسل بالضعف، صوتك القومي يعلو وتقول لي !!!الألم لا يصنع تفوقاً"

الإرادة تصنع التفوق، والقوة تصنع التفوق والصمود يصنع التفوق، كنت تريدني إنسانة قوية وكنت القوى ولكن حين صعدت روحك إلى بارئها أحسست أنك أشركتني في عملية الصعود يومها استيقظت الساعة التاسعة صباحاً أنا لا أحب الاستيقاظ في التاسعة، لكنني أحب الاستيقاظ في العاشرة لكنني استيقظت اليوم الذي صعدت فيه روحك إلى الخالق العظيم أحسست بهذا الصعود ألم ثقيل وحمل ثقيل جسم على صدري وكأن صخرة كبيرة وضعت على رأسي وعلى صدري حالة غريبة بعد ساعة دقت الخادمة الباب، قلت لها أبي قد مات سألتني بدهشة كيف عرفت وقلت لها أحسست بصعود روحه للسماء ولا أعرف لماذا أحسست أن الملائكة تزفه في رحلته إلى السماء كان وجهه مبتسماً .

وسألته يا أبي كيف سأعيش وحيدة بعدك قال لي" :الحياة تصنع نفسها بنفسها ."طالما قلت لك يا ابنتي كوني قوية، ولا يكبر عليك البحر، أمسك بالقلم، وأكملي دور أبيك أرجوك يا ابنتي حذار من الشعور بالضياع .

غطى أبي جوانب ثقافية وفلسطينية وعربية كما غطى الجوانب التراثية الفلسطينية وعاش أبي مراحل القضية الفلسطينية، وفطن إلى المرحلة التي تحول فيها الحلم الصهيوني في فلسطين ليصبح واقعاً .

وحين تزوجت من الدكتور محمود قمر طبيب أمراض النساء كانت علاقتي به علاقة حب غنائية حين يبلغ الحب مطلقه وسعدت يا أبي لسعادتي وأحببت محمود كثيراً واحترمته كثيراً أما محمود فقد رأى فيك الأب الحنون، لقد سيطرت على غنائية الحياة فترة زواجي من محمود، وكنت يا أبي تشعر بسعادتي المطلقة .وكان محمود لا يبخل علي وعليك بالحنان والمال .

لقد عشنا أنا ومحمود وأنت وأمي عشنا صباحات فردوسية رائعة نأكل الطعام اللذيذ ونغني للحياة وللصباحات المشرقة وكم أسعدني هذا التوافق وكانت الروح الفؤادية تنشر عبقها حيوية وحياة، فحيويتك يا أبي فائقة وقدرتك على تطويع الحياة لا حد لها .

وكنت تعمل بجدية كبيرة في موسوعة بيت المقدس بل أعطيتها جل وقتك فلتتراجع كل المشاكل أمام عملك الموسوعي الضخم .

لاحظت على أبي أنه لا يعرف المجاملة أو المديح إنه واقعي وصادق فيما يقول .

وإنه يضع الإنسان دائماً أمام الحقيقة لأن الحقيقة عنده مقدسة .

وقال لي أبي "الوعي يا بنتي لم يفارق الإنسان الفلسطيني، وقد عرف عن الفلسطيني التصاقه بوطنه فلسطين جسد الفلسطيني وروحه، الفلسطيني اكتشف عبقرية فلسطين .

حدثني أبي عن التجهيل والاضطهاد الذي تعرض له الشعب الفلسطيني في العصر التركي وعصر الانتداب البريطاني على فلسطين، فلسطينيات أبي كثيرة صرخات الحرية يا فدوى استمر شعبنا يصرخها صرخات الحرية كانت تنادي بوقف الهجرة الصهيونية إلى فلسطين ونجد يا ابنتي مثقفين أدركوا خطورة ما يحدث في فلسطين أمثال "سعيد الكرمي، وعلي الريماوي، وإبراهيم الدباغ والصفدي وغيرهم ."

ويحكي لي أبي عن مناضل فلسطيني اهتم بالتراث الفلسطيني هذا المناضل اسمه إسعاف النشاشيبي الذي كان يقول كما يقول أبي "نريد خلقاً عربياً"، نريد قلباً عربياً، نريد لساناً ينطق بالحق، نريد لساناً ينطق بالحق، وكان يقول أين المعقل وأين المصنع ؟

آه يا أبي وآه يا إسعاف لازلنا نحتاج إلى هذه الأشياء التي ذكرتها مر سبعة وستون عاماً ونحن لازلنا نحتاج لنفس الأشياء .

وحدثني أبي كثيراً عن العلاقات الثقافية الرائعة التي كانت تربط بين مصر وفلسطين، وأخبرني أن كتاب وأدباء ومشاهير مصر كانوا يزورون فلسطين .

وذكر لي أبي أن اليعقوبي شارك المصريين في مصائبهم في حادث دنشواي سنة 1908، وذكر لي أن إبراهيم الدباغ استنكر الاعتداء على سعد زغلول، هكذا نرى أن أواصر الصداقة والمحبة بين الشعبين المصري والفلسطيني شديدة القوة ، مفتي فلسطين اتصل بطلعت حرب لإنشاء فرع لبنك مصر في فلسطين، وذهب طلعت حرب إلى فلسطين لهذه الغاية ، لكن الصهاينة في مصر أفشلوا المشروع .

المازني زار فلسطين والدكتور محمود عزمي وأحمد أمين وفي 1927إشتركت فلسطين في مهرجان "أحمد شوقي . "

وقلت لأبي "أجل يا أبي فلسطين ليست مستحيلة على الفلسطينيين ويقول أبي ما قاله الشاعر "كلما قلنا عساها تنجلي قالت الأحداث هذا مبتغاها ولكنها تنجلي بإذن الله "

وألقى النشاشيبي خطبته المشهورة، أشاد فيها بالفصحى، وكان النشاشيبي يرى أن شوقي أشعر شعراء العرب بعد المتنبي وفي المهرجان بويع شوقي أميراً للشعراء .

هكذا كانت حكايات أبي لي عن فلسطين لا تنتهي لقد كان أبي صاحب ثقافة موسوعية .وجملة دائماً أرددها، فلسطين ليست مستحيلة على الفلسطينيين، هذا ما يقوله المنطق التاريخي والوثائق

التاريخية، وأبي كان يقول لي فرق كبير بين أن يعيش الإنسان في المنفى وبين أن يعيش في وطنه .

وأقول لأبي كم هو مؤلم يا أبي أن يروم الإنسان العيش في سلام لكن الآخر قابيل لا يقبل ذلك ويصر على قتلك .

أجبني بأي حق؟ والخالق العظيم هو الذي شكل أرواحنا .لا تخط نحو الموت إقفز باتجاه الحياة، تعرفين يا فدوى المغنطة والترياق لا مجال لهما عندي .وهذا دستور أبيك في الحياة .

نعم يا أبي كنت مع الصبح الطالع للثورة الفلسطينية التي أفرحتني كثيراً، وأفرحتك كثيراً، اشتعلت الثورة في صدري وصدر أبي ، كان أبي طائعاً للثورة ورغم الأخطاء إستمر أبي طائعاً .

كان حمال المحامل يتقبل أخطاء الأصدقاء وكان كثير من أصدقائه يعرفونه حق المعرفة ويعتبرونه المبحر في العلم والتراث "فؤاد عباس "هو المرجع ومكتبته هي المرجع، وأصدقاؤه يعرفونه بأنه الذاكرة الفلسطينية الواعية، وكانت لأبي طباع الجذور، كان جمل المحامل يحبس الدمع لم أر دموع أبي إلا مرتين مرة حين توفت جدتي أسماء الحوت، ورأيتها حين خرجت المقاومة الفلسطينية من بيروت وكان يقول عيني يا عيني يا فلسطين وآه من حراب الأهل والأصدقاء ، إنها اللعنة يا إبنتى ، يارب ماندخل زمن العويل .

لقد اكتشفت فجأة يا أبى أن أختى عايدة وآمال لا تحبان فدوى ، وسبب الكراهية ربما لأنى لا أعرف الكراهية.

آه يا أبى بعد أن مت يا أبى دخلنا فى زمن الإنقسام والعويل .

كان الحزن يعصف بأبى أمام الخلافات الفلسطينية ، كنت أنظر فى وجهك يا أبى وجه المنارة ، ويدب الأمان فى نفسى ، أنظر فى وجهك فيختفى شجر المنافى وأرى زيتون فلسطين وبرتقالها ، كان الحنان فى جفونك .

كتبت فى إذاعة منظمة التحرير برنامج "خاطرة الصباح "أقول :

أبى الطليعى أنهك الأقلام وسهر الورق ، وعلمنى كيف أعشق الورق وأفكر كما يفكر النخبة ، وقفت على قبرك يا أبى أغنى أغنية الرجوع _أغنية فيروز التى تعشقها ، وأغنيها ونفحات الإشراق تلف روحى ، سنرجع يوما إلى حينا ونغرق فى دافئات المنى ، سنرجع مهما يمر الزمان ، وتنهى المسافات ما بيننا .

كانت الكتابة مغموسة عند أبى بنغمة التفاؤل عكس الكثير من المفكرين الفلسطينيين ، إنه كان بعيدا عن فكرة جلد الذات .

أمسك أبى بقضيته من خلال التمسك بعروبته ، وهذا هو الطريق السليم ، فلن تقوم للعرب قائمة إذا

تفرقوا وبدورى أؤكد على ذلك ، أقول ذلك وأنا أرى سكينا غادرة تدق خاصرة الأمة العربية .

أنا لا أصرخ يا أبى قلبى هو الذى يصرخ خوفا على الأمة العربية وأنا أكتب ، لقد انتهت رحلتك فى المنفى بالموت ، وبكى فؤادى يا فؤادى .

الأصلاء يا فدوى لا يفرطون أبدا فى عروبتهم ، آه يا أبى الأصلاء يخيطون العالم العربى حتى يصبح جسدا واحدا وهناك من يريد أن يمزق هذا الجسد .

الأصلاء يا فدوى لا يفرطون فى عروبتهم ، نعم يا أبى كنت العروبى المحض الصميم ، كنت عروبيا حتى العظم ، وهو صاحب بنية فكرية فلسطينية وكانت أفكاره تراثية فى المقام الأول ، لقد عاش الزمن الفلسطينى وعاش القضية الفلسطينية .

كان أبى يفتن بسحر اللغة العربية ، وكان لأبى حس رومانسى فائق ، خاصة فيما يتعلق بالحنين إلى فلسطين ، كان أبى رومانسيا فائقا ، وكان أيضا قويا قوة فائقة ، كان يجمع بين النقيضين .

لقد حصدت من بحره لآلئ الأفكار وجوهرها وأعظمها ، إنه السراج الفكرى الذى أشعل فكرى ، وترك لى حكايات فلسطين حية لا تموت أحكيها وأحكيها لأن الوطن يا أبى لا يموت حين نحكيه لأولادنا وأحفادنا .

وسيظل عام 1948هو العام الصادم لأبى فانشطر قلب أبى شطرين ، شطر فى فلسطين وشطر حمله معه إلى مصر ، وهذا العام هو العام الذى قصم ظهر الأمة العربية إلى يومنا هذا ، وحال هذا العام دون صعود العرب وتقدمهم .

لقد زرعت الصهيونية فيروس فى جسد الأمة العربية واستمرت المعاناة إلى يومنا هذا ، نعم يا أبى لقد جنستنا الصهيونية بجنسية اسمها الغربة ، وسرقوا منا فلسطين .

عانى أبى كثيرا من الألم الوجودى والقلق الوجودى ، وعمق الألم عنده فلسفة الحياة ، مات أبى فعرفت كيف يكون الزمن ضنينا حين نفقد الأحبة ، لقد فهمنى أبى ، فهم ابنته التى تبحث عن معانى الحياة وفهم أبى فداحة وأثر النكبة على إبنته وفهم أبى كم أحب فلسطين حين قلت له رأيت فلسطين تشبه حلمى بها .

وكان يقول لى ركزى فكرك على الوطن ، ركزى على فلسطين وركزى على ثقافتك ، وأدعوك دائما للسمو بفكرك وسلوكك .

نعم يا أبى عشقت السمو وآمنت بالحرية وبحقوق الإنسان لكن يا أبى ما حدث فى غزة جعلنى أعرف أن الغرب يتواطأ علينا ، نحن الذين آمنا بقيم الغرب ، الغرب يا أبى يصر على قيادة العالم ولكن من فوقية وأمريكا غول العالم .

تراجع الدور الأمريكى إقتصاديا وإستراتيجيا ، وتعرضت أمريكا والغرب لأزمة إقتصادية فعام 2008 يسمى عام الإنهيار المالى الغربى .

هاهو الغرب يخترع لنا الخطر الأخضر والخطر الأخضر هو الإسلام ، وهاهى المؤامرات تمزق العالم الإسلامى .

وأنا فدوى التى عشقت الموسيقى الغربية ، عشقت موسيقى شتراوس وموسيقى موزار وبيتهوفن ، تعلمت السمو من الموسيقى الغربية ، وهاهى الحضارة الغربية بدمويتها تنتهك السمو الفكرى ، لقد سقطت المرجعية الحضارية التى يدعيها الغرب .

حدث ذلك بعد أن استشهد أطفال فلسطين وأصبحوا أكبر من الموت وامتزج دمهم بالأرض ، فأى سمو نأخذه يا أبى من الغرب ؟؟

لقد مات السمو عند الغرب وعليهم أن يقيموا جنازة له ، مات السمو عندهم وماتت البراءة بعد أن امتزجت دماء أطفال فلسطين بأرض فلسطين وبعد أن سيحت الشمس جثثهم ولم يجدوا من يدفنهم ، وقبل أن يموت الغرب موتا ماديا مات موتا أخلاقيا .

الرمادية السياسية تكاد تحطمنى ومثلها الرمادية الإجتماعية وقد فهم أبى نفسيتى .

ما أن أدخل مكتبة أبى وإلا وأشعر بأن أبى لازال على قيد الحياة ، فالكتب تجعل روحه تخفق فى المكان وكتبه تخرجنى من وجع الفراق ، وأسأل نفسى ربما حاول أبى أن يجمع كل ما قاله فلاسفة البشر ، ربما حاول ذلك !!!

كان يقول لى إكتشفى الحياة واعرفى ماهو جديد فى الحياة ، أنام فى سريرى وحيدة وربما أصبح السرير تابوتا ، هكذا نحن الفلسطينيون مشتتون .

نعم أنا أعيش وحيدة ، أريد للشمس أن تخيم فوق قلبى أكثر مما تخيم حول عيناى ، أنت فى منفاك وحيدة ، وحياتك داخلك .

ومرة ثانية يعاودنى السؤال هل ما أنام عليه تابوتا أو سريرا ؟ يا إلهى كم الوحدة قاسية ، وأتذكر أبى وهو يقول لى لا تقلقى يا فدوى فأضحك وأقول له :ألست رائد القلق ؟ أليس هو منهجك التشكك فى كل شئ لتعرف كل شئ ؟

استمرى يا فدوى فى مشروعاتك الثقافية ، الثقافة تغير كل شئ وتمنحنا عالما جديدا ، أعرف يا فدوى أن لديك حضورا أدبيا ، أريده يا ابنتى الحضور المدعم بالمعرفة ، المعرفة المعرفة ، آه يا يوتوبيا أبى ، آه أيها العميق تريد فدوى مثلك تنشد العمق المعرفى .

فالرمادية السياسية تكاد تحطمنى ومثلها الرمادية الإجتماعية ، والرمادية الإقتصادية ، ويأتينى صوته

يذكرنى أن المعرفة هى القيمة الكبرى والإنسان هو القيمة الأكبر .

أحيانا نجلب التعاسة لأنفسنا حين نعطى الأمور أكثر من نصابها ، هكذا أسترجع أحاديث أبى ، وهذا الإسترجاع يريحنى نفسيا .

هكذا أستبعد المدافن والحفائر وأتصور أبى يحدثنى ، فالروح خالدة لاتموت ، إنه أبى الذى رصدنى من الداخل ، وحكى لى وطنى ، ذاكرته رصدت الأماكن فى فلسطين ورصدت الزمان فى فلسطين .

أعيش يا أبى لأدرك فلا حياة بلا إدراك ، أحكى لك يا أبى وأشعر أن كلماتى تطير إليك وتحلق فى سمائك وأنت تلتحف الصفصاف فى قبرك ، أقول لك :يا أبى الصهاينة ذبحوا غزة وذبحوا أطفال غزة ، فى حرب إمحائية ، هذا ما فعله النتن نتنياهو عندما توحدت غزة مع الضفة ، النتن خائف من قيام دولة فلسطينية تتمتع بسيادة كاملة .

الغريب يا أبى مع كل هذا الإنتهاك الذى يتعرض له الشعب الفلسطينى إلا أنه صامد الصمود الأسطورى أحكى لأبى وأشعر بروحه ، الحضور بيننا مستمر ، حضور الروح للروح ، أعيش يا أبى لأدرك الحياة ، إننى يا أبى الحبيب أعيش لأدرك ، فلا حياة بدون إدراك ، ورغم أن إدراكى حزين إلا أننى أعدك يا أبى أن أقدم الفعل على اليأس والأمل على الإحباط .

أقول لك يا ابى لا زالت الأنغام تأتى من أعماقى وهذا يدل على أننى أحيا وكما علمتنى يا أبى أنا لا أفتقد شجاعة الحياة ، وهذا ما علمته لى .

فكلما ضلت نفسى يا أبى من فرط الحزن أعود بها للإنتباه ، أبى حبيبى كلماتى التى أخطها أكتبها لتسافر إليك وأنت ترقد تحت صفصافة غريبة فى المنفى .

أقول لك يا أبى الموت يحيا وأنت حى فى قلبى وصوتك راسخ فى حياتى ، موتك يا أبى شفافا ، ولن يكون فى يوم من الأيام كثيفا .....و أنت يا أبى دائما معى .

رصدت أبى من الداخل ، أبى الذى أدرك مدى رومانسيتى وشفافيتى وخاف على من الإنكسار على شاطئ الواقع ، وهاهى فدوى تقاوم الإنكسار ، وصوت أبى أريد وعد من إبنتى فدوى بمقاومة الإنكسار .

هل أرضى يا أبى بتخلى الأهل وخذلانهم ؟ لقد رسمت لك حياتك يا فدوى وعليك أن ترسميها الآن ، إرسميها بقوة .

أنت ومن بعدك يافدوى من يملك بذور مصير فلسطين ، إقبضوا على بذوركم لتزرعوها فى أرضنا الحرة الشريفة .عودى لنفسك وفكرى .

اقسم بالله يا أبى أن أزرع بذور النضال فى فلسطين الحبيبة ، أنت ومن بعدك من جيل بعد جيل يملكون

بذور المصير ، وعليكم أن تحافظوا على بذور المصير لتزرعوها هناك فى أرضنا المعشوشبة المسروقة ، أرضنا أرض الأنبياء .

يناوشنى تعب رهيب ، أتحداه وأتمرد عليه ، الموت يا فدوى للذين لا يعرفون معنى الحرية ، إنكسار الروح لا يعرفه الأحرار ، واليأس لغة لا يفهمها الأحرار ، دافعى يا فدوى عن حلمك الكبير ، وطنك المغدور ، نعم ليس هناك أنيس يا فدوى لكن يبقى الحلم أكبر أنيس .

يا فدوى أنت وحدك ، أهلك ليسوا معك ، الله معك ، قلمك معك ، الحياة معك ، لا تجعلى ذاتك الداخلية عدوة لك ، صالحيها ، الحلم معك ، أنا معك حتى وأنا فى اللحد ، لا تقولى لى كما كنت تقولين :الكرة الأرضية تدور بى بخطى واسعة ، آه يا أبى هل أستطيع أن أسير مثلك ؟ أسابق الزمن مثلك ؟

لقد مات أبى بسبب ثورته ، لقد ثار على أختى عائدة التى اتصفت بشراسة غريبة ، كنت أعد لأبى كوبا من الشاى طلبه منى حين تعالى صوتها :لقد احرقت الإبريق وانقضت على لتضربنى فقام أبى ليمنعها فاختل توازنه ووقع على الأرض فورمت رجله، هذا الورم زاد وزاد إلى أن قضى عليه ، بعد هذه الوقعة التى وقعها بدا أبى يعانى سكرات الموت ، أبى لم يمت وقت الوقعة ولكن فى الحقيقة أبى مات منذ أن وقع ولزم فراشه عاش أسبوعا بعد الوقعة وغاب عن الوعى .

بعد أن مات وقفت أمام مكتباته فى المنزل فأبى لا يملك مكتبة واحدة بل عدة مكتبات ، كان يرتبها ، وقفت لأكتشف أسرار تلك المكتبات التى تعج بكتب كثيرة ودوسيهات كثيرة ، لا توجد شاردة أو واردة إلا كتبها فى الحقيقة .

كانت صدمة موت أبى فادحة على قلبى وعقلى ورفضت الإعتراف بموته فموته كان صدمة عنيفة على ، لم أتحملها وكلما أردت إستنشاق رائحة أبى أذهب إلى المكتبات التى تملأ حجرات بيتنا الواسع فأشم عبق أبى ، وأتذكره يقول عالمنا لا يخلو من الخير فأقول له :عالمنا إما أخيار أو أشرار ، لقد خلق الله يا أبى الخير وخلق أيضا الشر .

(على مذبح الوطن نتعلم الحرية والحرية تجعل الأمل موجودا لا يغيب )

أقول لك يا أبى :ما أقسى أن تكون هزائمنا من دواخلنا !!!!هنا تكمن المصيبة الكبرى ، وحده وطنى فى قلبى ، لكن يا أبى أحبائى يحملون لى السكاكين وأصبح الفلسطينية الغريبة المحاصرة .

الحرية تخرج من ذاتى ، والخيانة من ذواتهم وإخوتى حراب لا تقل عن حراب الصهاينة ، إخوتى يا أبى يلتهمون الحياة إلتهاما ولا يشبعون .

لست مهزومة يافدوى لأنك حرة طليقة معبأة بشفافية الخلود ، إحفرى يا إبنتى فى صخرة الحياة على أن تكون صخرة الحياة هى صخرة الحرية وعلى مذبح الوطن نتعلم الحرية .

ويرن صوت أبى ستعود مواسمنا وسنوقد لها الشموع الخضراء ، أرجوك يافدوى لا تشعرى بالقنوط .

هكذا أحاور أبى عندما تشتد قسوة الوحدة على وهذه المحادثات الداخلية المتخيلة تخفف عنى كثيرا وكأننى أسمع صوت أبى ، والعزلة والهموم يكرعها الإنسان الفلسطينى كرعا أينما كان وكيفما كان .

أبى عرف ألم الضياع ، لكنه أبدا لم يعرف ألم اليأس ، وظل أبى يقدح زناده الفكرى ، كان أبى من المعجبين بالثقافة المصرية فمصر هى أم فلسطين ، بل أم العرب ، بل أم الدنيا .

أحب أبى كثيرا أستاذه الدكتور نيقولا زيادة أستاذه الذى كان يرتب الرحلات خارج القدس وهو أستاذ يصادق تلاميذه ، أحب أبى وطنه وعشق القدس وكتبها حرفا حرفا ، بوركت يا أرخبيل القدس ، بوركت يامن كتب القدس وكتب كل شئ فيها فى موسوعته الرائعة الشاملة الموثقة "بيت المقدس "والمرتبة حسب الحروف الأبجدية .

ولا زالت تدهشنى إلى الآن طريقة التعليم فى فلسطين فى هذا الوقت المبكر جدا ، حيث كان الدكتور نيقولا زيادة يطلب من تلاميذه فتح الكتب والإجابة على السؤال الذى كتبه على السبورة )اللوح (بل ويعطيهم الحرية كاملة فى إنتقاء الإجابة من الكتب .

هكذا فهم الدكتور نيقولا زيادة أن التعليم ليس المراد منه التلقين والحفظ بل توالد الأفكار ووضعها فى مكانها المناسب ، وكان الطلبة يقرأون ماكتبوه ، وكان الدكتور نيقولا زيادة يشير إلى الإجابات الممتازة وفى قناة النيل التى أعدت برنامجا عن نيقولا زيادة أشرت إلى ذلك .

هكذا كان الدكتور نيقولا زيادة يعلم الطلبة الإعتماد على المصادر ويعودهم على الإبداع وتوليد التفكير الإبداعى ، وليس طريقة النقل المعتمدة على الحفظ ، كان يعلمهم طريقة البحث العلمى فى هذه الفترة المبكرة ، هكذا كان التعليم فى فلسطين ، نحن نفتقر الآن إلى هذه الطرق الهادفة فى التدريس .

وكان أبى يذكر من الصفوة "عارف قعوار "من الناصرة ، و "فطين يوسف بولس "من كفريا سيف عكا ، و "نايف نمر نمر "من صفد ، و "جميل عارف البديرى "من القدس ، و "عبدالفتاح الفاخورى "من طولكرم ، و "محمد الأشقر "من طولكرم و "على صالح جبريل "من مجدل عسقلان ، و "عارف الطويل "من قضاء الرملة ، و "سهيل كرم حبيب "من ترشيحا ، و "حسن البطة "من خان يونس ، و "أشرف شوا "من غزة ، و "نصرت فضة "من عكا ، هؤلاء من صفوة المجتمع الفلسطينى .

وكان أبى يقف كثيرا عند أستاذه الدكتور نيقولا زيادة ، يقول عنه الشيخ ومؤرخ العروبة والإسلام ، وهو كما قال لى مؤرخ موضوعى يطرح الإشكالية التاريخية ويعالجها من مختلف الزوايا .

فلندقق هنا فى طريقة التفكير الشمولية التى يتحدث عنها أبى بإقتدار ، وهو يحاول غرسها فى طريقة

تفكيرى ، وقد أخبرنى أبى أن نيقولا زيادة ترجم الكثير من الكتب ، واحترف نيقولا زيادة دراسة التاريخ والتراث ، وقد تأثر والدى رحمه الله بنيقولا زيادة تأثرا كبيرا .

وعند قراءتى لنيقولا زيادة عرفت كيف نقل هذا المدرس العبقرى إلى تلاميذه الطريقة التى يصل بها المثقف المفكر إلى عمق المسألة الثقافية والفكرية .

هكذا نقل إليهم فكره العميق والماورائى ، والإنتقال من الكل إلى الجزء ، ومن الجزء إلى الكل ، وعلمهم كيف يكون التاريخ فى حركة ذهاب وإياب ، وعلمهم الكشف عن العلاقات الإنسانية ، علمهم شتى أساليب الحياة التى تمارسها الجماعات البشرية ، لقد استوعب أبى فكر أستاذه تماما ، هذا الرجل نيقولا زيادة سما إلى العالمية بفكره ، وأنجب تلاميذ سما بفكرهم إلى العالمية ، وتشهد على ذلك الموسوعة التى كتبها أبى ، كان أبى رحمه الله ورحم أستاذه نيقولا زيادة متأثرا بأستاذه إلى حد كبير .

وكما أخبرنى أبى كان نيقولا زيادة متأججا بعروبته ، ويصر على عظمة العرب والإسلام ، يصر على الإزدهار الإسلامى والعروبى ، ومثله أبى كان يصر على أن الإزدهار الإسلامى والعروبى لابد أن يعود ، لقد استلهم نيقولا زيادة التراث واستخلص ابداعات السلف ، واهتم أبى بالتراث الفلسطينى شغله الشاغل ، فكتب خمسة كتب فى التراث الفلسطينى ، بالإضافة إلى مقالات متعددة فى كبرى الصحف والمجلات العربية .

لم يلتصق أبى بفلسفة معينة ، رأيته يحمل تفكيرا إنسانيا مسالما وغير متعصب ، وتفكيره الإنسانى محايد ، ولا يعرف عواطف الكراهية المسمومة ويعيش بحب أكبر من الحب الذى حوله .

ولو تحدثت عن ينابيع العبقرية عند أبى –الوراثة –وقد ورث هذه العبقرية عن خاله الشاعر العظيم "محمود الحوت "ومحمود الحوت هو الشاعر اللبنانى الذى عشق فلسطين –عبقرية المكان – وأقصد القدس التى درس فيها ، فالمكان هو الملهم العظيم لكل عبقرى يستبطن عبقريته ويخرجها بفعل المكان .

أساتذة الكلية العربية كان لهم أثرهم فى تعميق ثقافة أبى الإسلامية والعروبية ، وأساتذة الكلية العربية عشقوا الثقافة العربية والإسلامية وحتى المسيحيين منهم عشقوا الحضارة الإسلامية والثقافة الإسلامية ، فنيقولا زيادة على سبيل المثال ثقافته ذات جذور إسلامية عميقة .

كان أبى يردد دائما أن أجمل أيام حياتى قضيتها فى الكلية العربية ، كان أبى يبيت فى منزل الكلية العربية ويقول لى :كان نظام الكلية العربية يفرض علينا السير على الأقدام يوميا والصعود إلى جبل المكبر وكنا نتعرض لبرد الصباح يوميا وكان الثلج يعفر وجوهنا ويغطينا أحيانا ، لكننى يا إبنتى أشهد أننى لم أتناول حبة أسبرين واحدة طيلة دراستى فى الكلية العربية ، إن برد الشتاء فى القدس صحى جدا ، بل ويبعث على النشاط والقوة ، وكنا إذا وصلنا بوابة الكلية وجدناها وسط فراغات فسيحة

بعضها ملاعب ، وتحفها المنات من أشجار الصنوبر ، وكان هناك كوخ جميل فى ملعب كرة القدم وفوجئنا فى يوم من أيام الجمع بأستاذنا "أحمد سامح الخالدى "يجمعنا فى الكوخ ويسمعنا اسطوانة أغنية "الجندول "على الفونغراف لأول مرة فى حياتنا ، لا تتصورى مدى سعادتنا ، فأنا يافدوى عاشق للثقافة المصرية وللفنون المصرية .

نعم يا أبى وأنا مثلك عاشقة لمصر ولفنها وثقافتها ، لأول مرة يافدوى أستمع لهذا العمق الموسيقى وصوت عبدالوهاب يصدح فى القدس ، هكذا استمعت لأول مرة للجندول فى القدس ، لقد حرص مربينا "أبوالوليد "رحمه الله على تربية حس الجمال عندنا نحن الطلبة فى هذا الوقت المبكر من حياتنا ، هكذا يتحدث أبى بحنين شديد عن الكلية العربية وأساتذة الكلية العربية .

كان أبى يعشق القدس ويعشق الكلية العربية ومن شغاف قلبه كان يتمنى لهذا البناء العظيم أن يعود ويصبح من كبريات جامعات العرب فى القرن الواحد والعشرين ، هذه هى أمنية أبى فؤاد عباس وهو واحد من الصفوة الذين درسوا بالكلية العربية بالقدس .

نعم يافدوى القدس هواؤها عطر ، ويذكر أبى أن المرحوم "أحمد سامح الخالدى "هو الذى وضع اللبنات الأولى لهذا الصرح )صرح الكلية العربية (أستاذى العظيم لم يتحمل ماحدث للقدس وفورا انتقل إلى الرفيق الأعلى ، لم يتحمل احتلال الصهاينة لفلسطين ومات حين دقت طبول النكبة .

وأبى مثل أستاذه ، لكن أبى هرب إلى قلمه ، أصبحت الكتابة عنده حالة ديمومة وإستمرارية فحزنه على فلسطين محفور فى قلبه ، كان يهرب من الألم إلى القلم .

قال لى السفير محمد صبيح الذى كان أبى يعتز به كرجل خدم قضية فلسطين بصدق ونزاهة ، قال لى : فؤاد عباس عظيم لأنه أمسك بالقلم من أول النكبة إلى وقتنا الحاضر ، كتب القدس وكتب الفولكلور الفلسطينى فأبى هو النموذج لما يجب أن يكون عليه الفلسطينى .

إنه أبى المناضل الذى جرح وهو يوزع الدقيق على الناس ، وقد قال لى نقص الطعام كان عاملا مهما فى إضطرار الفلسطينى إلى الهجرة ، فنقص الطعام الذى فطنا إلى خطورته كان كارثة على الفلسطينى

إنه المناضل والموسوعى الذى كتب موسوعة بيت المقدس ، إنه المبدع والسياسى أبى فلسطينى وعروبى متدين وحداثى حتى النخاع وهو مناضل عمالى اهتم بشؤون العمال الفلسطينيين ودرب الجناح العسكرى لفتح "حماس. "

إهتم بالجانب التنموى فى عالمنا العربى ، هل مت يا أبى ، لم تمت إلا قليلا لأننى أتذكرك دائما وأتذكر الأيام القاسية والرائعة فى آن واحد .

لكن الحياة يا أبى تفوق إحتمالى بعدك ، لقد جعلت من الحياة كلها ابداعا رغم القسوة البالغة المفروضة

علينا وأقصد النكبة .

بعد النكبة أصبحت المقاومة الثقافية هدف أبى ، هكذا استبدل أبى الألم بالمقاومة الثقافية متحديا الألم الخفى المزمن الذى سببته النكبة ، وهذه المقاومة الثقافية اتبعتها لمقاومة الشتات وأخبرك يا أبى إننى إتبعتها لأقاوم طعنات الكراهية التى تطعننى بها أختى عايدة ، إنها تسفك صحتى فأهرب للكلمات .

وظل ممسكا بالقلم إلى وقتنا الحاضر ، كتب فلسطين وكتب القدس ، إن موسوعته موثقة وتحوى كل شاردة أو واردة عن القدس ، كان أبى يجتر الأمكنة والذاكرة ، نعم يا معالى السفير كانت القدس قلمه وروحه .

وظل أبى لفترة طويلة يجتر حزنه ، لقد عاش عمره كله من أجل القدس التى عشقها ، عشق أبى تراب القدس وأجمع النقاد على أنه مؤسسة بأكملها لا تستطيع أن تقوم بما قام به فؤاد عباس .

كان أبى فلسطينيا حتى النخاع ، وكان صاحب عزيمة فولاذية ولم يكن أبى يعرف المراوغة ، فهو إنسان لا يعرف إلا الخط المستقيم ، وكان أبى يرى فى المفاوضات وهما ذاتيا ، وهذه المفاوضات الإنسان الفلسطينى مجبر عليها ، وكان أبى يرى أن عنصرية الصهاينة قاتلة وهم لا يعترفون بالآخر .

وهاهى القدس تسألنى أين حبيبى فؤاد عباس ؟ نعم يا قدس الأقداس كان أبى يعشقك ، وكان يتمنى أن يدفن فيك ، وتسألنى القدس لماذا لم يطبع أحرار العرب موسوعة بيت المقدس الموثقة والمرتبة ترتيبا أبجديا ؟ إنها موسوعة شهدت لها لجنة القدس بالعظمة وشهدت لها جريدة الأهرام أعظم جريدة فى العالم العربى .

المؤسسات الثقافية والصحف العربية والمجلات العربية أشادت بموسوعة بيت المقدس ، لقد شهد المفكرون العظماء للموسوعة التى كتبها أبى ، وقد طبع على حسابه الخاص تسعة أجزاء وفى يوم وفاته سرق 21جزءا ، سرقت الأجزاء التى لم تطبع ، الغريب أن أبى ظل يحرس الموسوعة طوال حياته وفعلا سرقت بعد موته مباشرة ، سرقت أثناء الدفن .

وأسأل بدورى أين الهيئة القومية التى كان من الممكن أن تطبع الموسوعة ؟ ولكن زال عجبى عندما رأيت الأقصى يهود والعرب صامتين ، ماذا حدث يا عرب ؟ أين الشهامة الإسلامية والنخوة الإسلامية ؟ وبدلا من أن تحاربوا بعضكم حاربوا عدوكم الحقيقى .

كتب أبى الموسوعة بمعطيات حقيقية ومن الأرشيف التاريخى الموثق ، وكان لأبى ذاكرة تاريخية رائعة ، لقد وضع أبى كل شئ عن القدس فى سياقه التاريخى ، كما كتب فولكلور فلسطين ، فقد كان أبى من الذين مثلوا الذاكرة الجمعية للشعب الفلسطينى .

إن أبى لم يستبعد صغيرة أو كبيرة عن القدس ، لقد وضع كل شئ عن القدس فى سياقه التاريخى

وتناولت الموسوعة الأمكنة ووصل عددها فى الموسوعة إلى 600مكان أو موقع أثرى ، لقد ورد فى الموسوعة ماورد فى أكثر من ألف كتاب من كتب التراث العالمى والعربى والإسلامى ، تناول أبى الأعلام فى القدس ووصل عددهم إلى 2220علما منهم الأنبياء والصحابة والتابعون والرهبان والخلفاء والسلاطين ، وذكر القادة الذين شاركوا فى حروبها واستشهدوا ودفنوا فى أرضها وتناولت الموسوعة الأمكنة ، ووصل عددها إلى 600مكان أو موقع أثرى ، وذكرت الموسوعة قرابة ثلاثمائة بيت من الشعر العربى والجاهلى والإسلامى والحديث ، وتضمنت الموسوعة الوثائق والنصوص التى تعرضت للقدس ، وكان أبى حريصا على ربط هذه الوثائق بالأحداث ، رغم الطابع التاريخى التوثيقى الذى يغلب على الموسوعة .

كان أبى وجلا على القدس ويقول لى :الإستيطان الإسرائيلى أحاط بالقدس إحاطة السوار بالمعصم والعرب صامتون .

ويأتى فى صدر أهداف الموسوعة التدليل على عروبة القدس وأهميتها الإسلامية ، ولم يكن منهجه الحديث المباشر عن عروبة القدس وأهميتها فى الإسلام ولكن أغلب ما تتحدث عنه الموسوعة فى صفحاتها هو بحد ذاته يتحدث تلقائيا عن عروبة القدس وأهميتها الإسلامية ، وتتحدث الموسوعة عن أول قبلة فى الإسلام وعن ثالث حرم فى الإسلام وعن إسراء الرسول صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى .

إن أهداف الموسوعة هو إبراز الرصيد الحضارى الضخم فى القدس ، هذا الرصيد الذى خلفه الأنبياء والصحابة والشهداء والقادة والخلفاء والرؤساء والملوك وكذلك الشيوخ والرحالة والشعراء والفقهاء ، من الذين عاشوا فى القدس .

جمع أبى كل شئ عن القدس مبعثرا فى آلاف الكتب من التراث الإسلامى والعالمى ، وأبرز أن القدس فى عصر المماليك كانت إحدى المراكز العربية والإسلامية فى دراسة وتدريس العلوم الشرعية والدنيوية واللغوية ، مثلها مثل القاهرة ودمشق وغيرها من المراكز العلمية فى العالم الإسلامى ، والتى أثرت التراث العلمى بشكل عام وكان هذا هدف عظيم من أهداف موسوعة بيت المقدس .

كان أبى رحمه الله يؤمن بأن قضايا القدس الراهنة والتى تبدو غاية فى الصعوبة والتعقيد فى حاجة ماسة إلى معلومات موسوعية عن القدس لأننا فى عصر المعلومات ، وهذه المعلومات هى زاد المثقفين والمعنيين بشؤون القدس .

حبيبك يا قدس رحل

فمن يكتبك

**من يغار عليك**

**من يغار على أقصاك**

**من يجير القدس من دنس العدا**

**لكننى يا أبى أقول ما يقوله الشاعر :**

**أبشر فبيت القدس يتلو منبجا**

**ولمنبج لسواه نموذج**

**كان أبى يفرغ فى الكتابة مثالياته وشوقه الدفين إلى فلسطين وكان يوثق قضيته العادلة ، كتب أبى موسوعة بيت المقدس وهو عمل حضارى يخرج من المكتبة العربية ، أشرف أبى وحده على هذه الموسوعة ، فهو المحقق والباحث ، والموسوعة تحتوى على الكثير من المعلومات الخاصة ببيت المقدس وأسمائها وقدسيتها وجبالها ووديانها ومدنها وقراها وأبراجها وماضيها وحاضرها .**

**كما تشير الموسوعة إلى ماكتوت به هذه المدينة من لظى الحرب ، ومانعمت به من نسائم السلام ، وما شعرت به من رحمة العدل ، وما شقيت به من طاغوت الإستبداد ، وما شهدته من ندوات ومجالس أهلها ، إلى جانب إجتماع ومؤتمرات غير أهلها .**

**وقد نشأت فكرة موسوعة بيت المقدس عندما كان أبى مسؤولا عن قسم المعلومات ، كان أبى لايضيع وقته ، وكان شعاره ليس لدينا وقتا لنخسره ، فالوقت عنده محل استفادة ، وكان أبى كاننا ثقافيا جرينا فى كتاباته ولم يعرف رهاب الكتابة ، وقد أخذت عن أبى جرأته وقدراته اللغوية .**

**منحنى أبى الحرية فى الإبداع ، وهو يعرف إننى إبنة جامعة عين شمس قسم اللغة العربية ، إبنة عزالدين إسماعيل وعبدالقادر القط ، ولطفى عبدالبديع ومصطفى ناصف ، وهؤلاء العظماء تعلمت منهم الإلتزام الثورى والأدبى وتعلمت منهم التمرد الثقافى ، وعلمنى أبى إستقلالية الشخصية ومعانى إشراقات الحياة .**

**كان لأبى خبرة طويلة فى الكتابة عن فلسطين وكان شديد التواصل مع قضيته ، عاش أبى بين صفوف المجاهدين ، درب فتح وحماس ، دربهم عسكريا وثقافيا .**

**حواراته معى عن فلسطين كانت بديعة ، وكنت أقول له إحك يا أبى فالوطن يحيا بالحكى ، ويحكى لى أبى كيف كان فى وطنه غنيا ومنعما يمتلك الأراضى والحواكير ويملك السيارة والفرس والكروم .**

**لقد كان أبى ذا مال وجاه يقول لى :**

كانت مجدل عسقلان لا يحتلها الصهاينة وكانت فلسطين عروس الأوطان العربية.

عاش أبى فؤاد عباس بين صفوف المجاهدين المتطوعين فى الخنادق ، ومارس الحياة بين صفوف العمال وتصبب عرقا مع عرقهم ، وكان يأكل معهم ، فهو الغنى المتعاطف مع الفقير .

وقال لى :كنت أتلذذ وأنا أعمل فى صفوف العمال ، لذلك لم يكن غريبا على أبى صاحب الروح الجماعية والعاشق لفلسطين أن يكون فى صفوف المجاهدين سنة 1948وأن يصاب فى فخذه إصابة بالغة جعلته يتحرك مع الأسرة فى إتجاه مصر الحبيبة ليتلقى العلاج .

من منطلق الوعى السياسى إستمر أبى يحكى لى الوطن ، ويحكى لى عدائية المحتل الآثم الذى يقتل وهو يستبيح القتل ويشرع إبادة شعب بأكمله ليحل محله .

حنينى إلى الستينات لا يغادرنى ، وأنا مثل أبى نجلس معا ، ونتمنى أن يعود هذا الجيل لقيم الستينات قيم الحق والحرية وقيم النضال من أجل الحرية ، إن روح الستينات رائعة .

أفلست السياسة العربية بعد كامب ديفيد ، وعاش أبى فى القاهرة وهو يناجى الحجر والزيتون فى فلسطين .

أسلوبى حين أكتبك يا أبى أو أكتب نفسى هو أسلوب حزين ، فالأسلوب هو الكاتب نفسه ، أعرف يا أبى أن مشكلة الشر حيرتك كثيرا كما حيرتنى ، والصبر العميق ديدننا فى الحياة وديدن كل فلسطينى .

كان أبى يشفق على شفقة حقيقته وكان لقوته الفكرية قادرا على أن يحررنى من ألمى السرمدى على فلسطين ويحول هذا الألم إلى مقاومة .

**الفهرس**


| الموضوع | الصفحة |
|---|---|
| الإهداء | 3 |
| تقديم | 5 |
| بداية الكتاب | 7 |
| فؤاد عباس أيقونة التراث الفلسطيني | 9 |
| البداية | 10 |
| أحزان أبي | 14 |
| فلسطين تموت ياأبي | 21 |
| حياة أبي في فلسطين | 29 |
| شخصية الشيخ عباس | 40 |
| حكاء فلسطين | 42 |
| تاريخ حياة أبي | 49 |
| فعل الصهاينة | 59 |
| قدرات أبي اللغوية | 74 |
| احك ياشاهد التاريخ | 95 |
| الرحيل القسري | 102 |
| مقتطفات حياتية | 105 |
| يابنتي أجلي الدموع | 106 |
| علمني أبي | 129 |
| الصديق الخائن | 130 |
| الفهرس | 177 |


*******

مع تحيات دار الحسيني للطباعة والنشر والتوزيع

**رئيس مجلس الادارة**

عبد القادر الحسيني

**المشرف العام**

محمد عبد القادر الحسيني

**المدير العام**

عصام عبد القادر

نائب المدير

مختار عبد القادر الحسيني

**الهيئة الاستشارية للدار**

الدكتور حسام عقل  الدكتور علي جاد الحق

الدكتور لطفي سيد صالح  الدكتور بسيم عبد العظيم

الدكتور رمضان الحضري